

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190495

UNIVERSAL
LIBRARY

شعراء النصرانية

بعد الاسلام

القسم الثاني

شعراء الدولة الاموية



تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر تباعاً في مجلة المشرق



طبع

في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين

في بيروت

سنة ١٩٢٤

ابن ابي حية بن الكاهن وهو سلمة اسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان * ثم اوصل نسبة الى قضاة من اكبر قبائل العرب . وفي تاج العروس (١ : ٥١٣) دعا جدّه « كُرَيْزاً » وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٣٤) ومثله ابن ذرّيد في الاشتقاق (ص ٤٢٠) انه من بني عُذرة احدى قبائل قضاة . وجعل ابن ذرّيد ابا الحية كاهناً ليس ابن الكاهن كما ورد في الاغاني

﴿ اسمه واسرته ﴾ قيل انه دُعي بهذبة وهو اسم طائر وقيل انه من هذبة الثوب اي تحله وطرته . وكان اسم ابيه خشم والحشم جماعة النحل واميرها وكان من وجوه رهط بني عامر . اما هذبة فكان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة . وقال ابو الفرج : « وكان لهذبة ثلاثة اخوة كلهم شاعر وهم حوط وسيحان والواسع . واثمهم حية بنت ابي بكر بن ابي حية من رهطهم الأدنين وكانت شاعرة ايضاً » وقد دعاها شارح الحماسة (ص ٢٣٤) باسم ربحانة . وكان لهذبة كذلك اختان تُدعى الواحدة سلمى وهي زوجة زيادة بن زيد الذبياني من بني رقاش الآتي ذكره والاخرى فاطمة التي تغزل فيها زيادة فكانت سبب الشر بين القبيلتين

﴿ دينه ﴾ كان هذبة نصرانياً كما يشهد عليه شارح الحماسة (ص ٢٣٥) حيث يدعوه زيادة هو ورهطه بأمة المسيح . ولا غرو فانه كان من قضاة التي اثبتنا نصرانيتها في كتابنا النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص ٢٩ ، ١٣٧ ، ٤٥٨) ونصرانية فروعها كسليح وجرم وبهراء وكلب . وكان هذبة من رهط بني عامر النصارى . ولعل اسم الكاهن بين اجداده يدل على كهنة النصارى لا يُراد به الساحر ﴿ اخباره ﴾ ان غاية ما اخبره القدماء عن هذبة ما جرى بينه وبين صهره زيادة

ابن زيد من الخلاف والضغائن التي افضت به الى قتل زيادة والى ما لحقه هو من القصاص بسببه فأقيد به على . ووجب سنّ البادية وهي بنس السنن اما تفاصيل هذه الرواية المشرومة فقد وردت في عدة تأليف كالآغاني (٢١ :

٢٦٤ - ٢٧٠) وشرح الحماسة (٢٣٢ - ٢٣٦) وكامل المبرّد (٧٦٥ - ٧٦٨) وغيرهم تختصرها عنهم . روى ابو الفرج (ص ٢٦٥) عن عيسى بن اسمعيل : كان أول ما هاج

الحرب بين بني عامر بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط هذبة وبين بني رقاش وهم بنو

قرّة بن خنيس بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط زيادة بن زيد ان حوطاً بن حشرم اخا هذبة راهن زيادة بن زيد على مجائين من ابلها وكان مطلقها من الغاية على يوم وليلة وذلك في القبط فتزودوا المساء في الروايا والقرب . وكانت اخت حوط سلمى بنت حشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع اخيها على زوجها فوهنت اوعية زيادة ففني ماؤه قبل ما صاحبه ففني ذلك يقول زيادة :

قد جعلت نفسي في آدمي محرم الدباغ ذي هزوم (١)
ثم رمت في عرض اليوم في بارح من وهج السموم
من اطلع وهج النجوم

وقال زيادة ايضاً :

قد علمت سلمة بالعيس ليلة سمار ومرسيس (٢)
ان ابا المسور ذو شريس يشفي صداع الأبلع الدليس (٣)

(قال) فكان ذلك اول ما أثبت الضغائن بينهما
ثم ان هذبة وزيادة اصطجا وهما مقبلان من الشام في ركب من قومه .
فكانا يتعاقبان السوق بالابل وكانت مع هذبة اخته فاطمة فنزل زيادة وقال رجلاً
اولاً : « عوجي علينا وأربعي يا فاطمة » فغضب هذبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته
فنزل وارتجز باخت زيادة وكان اسمها ام الخازم وقيل ام القاسم . فشتمة زيادة وسبه
هذبة فصاح بهما القوم ووعظوها حتى امسك كل واحد منهما على ما في نفسه وهذبة
اشدّها حنقاً لانه رأى ان زيادة رجز بأخته وهي تسمع واغت زيادة غائبة لم تسمع
رجزه فضيا ولم يتجاوزا بكلمة حتى رجعا الى عشاثرهما
ثم زاد حتى رهط هذبة اذ سمعوا أذرع اخا زيادة يرجز بزفر عم هذبة فلم
يزالوا يترصدونه حتى خلوا وضربوه الحدة ضرباً مبرحاً فراح بنو رقاش وقد
اضرموا الحرب

(١) قال اليزيدي : المحرم الذي لم يُدبغ . والمزوم الشقوق

(٢) المسور ابن زيادة فتكتي يابوه

(٣) العيس موضع . ويروي : الحيس والحيس . والمرمار والمريس الشدة والاختلاط

أما زيادة هُدبة فجعللا يتهاديان الاشعار ويتفاخزان ويطلب كل واحد منهما
العلو على صاحبه في شعره . فمما قاله زيادة قصيدة اوّلها :

أراك خليلاً قد عزمت التجنباً وقطعت حاجات الفؤاد فأصحباً

وفيه يقول متفخراً :

انا ابن رقاش وابن ثعلبة الذي بني العزّ نبياً لقومي فناصرموا
بأسياهم عنه فأصبح مصعباً ولا كائناً حين نسبته أباً
أتم وأتقى بالنبيين الى العليّ ملكنا ولم نملك وقدنا ولم نقد
بأية أنما لا نرى متوجهاً ولا ملكاً الا اتقانا ااكم
ملكنا الموك واستبحنا جمهم ندامى وأردافاً فلم تر سوقاً
بني هادياً يعلو الهوادي أغلباً بأسياهم عنه فأصبح مصعباً
ولا كائناً حين نسبته أباً واكرم ما في المناصب منصباً (١)
كأن لنا حقاً على الناس ترباً من الداس يعلونا اذا ما تصبنا
ولا سوقاً الا على الخرج أنعبا وكنا لهم في الجاهلية موكبا
نوازيها فأسئل اياداً وتغلبا (٢)

ولما لجّ الشر بين رهط هُدبة ورهط زيادة قال قوم لزيادة له : اهج هُدبة
وقومه . فقال : اني لم ابسط لساني على قوم قط الا جهدوا على تبلي (ويروى :
قتلي) من شدة هجائي ولكن انطلقوا للضربة . فخرج زيادة في رهط قومه فيهم اخوه
نقاع يطلبون هُدبة فوجدوا الحيّ خائفاً ووجدوا هُدبة واباه خسرماً فضربوهما
بسيوفهم فاصاب خسرماً شجّات في رأسه ووقع بذرّاع هُدبة حز وضرب نقاع برجله
ريحانة ام هُدبة فقال قائلهم :

شجّجنا خسرماً في الرأس سبماً وخدّنا هُدبة اذ هجنا
كذلك البدر ان العبد يوماً اذا وفّقته بالسيف لانا

فاجابه هُدبة (من الوافر) :

وان الدهر موتف طويل وشرّ الخيل اقصرها عنانا

(١) ويروى : أوفى . . . في المناسب منسباً
(٢) ويروى : فلم تك سوقاً . . . فأسئل زيادة

وليس اخو الحروب بمن اذا ما مرته الحرب بعد العصب لانا

ثم ان هذبة جمع رهطاً من قومه واصحابه فقصدا لزيادة وكانت ربحانة ام هذبة نهته عن الخروج فلم يثته واتوهم ليلاً في واد يقال له خشوب وزيادة وابيائه على ماء يدعى سحنة فمضوا حتى بيتوا زيادة فلما غشوه جعل يرتجز ويقول وفي رجزه اشارة الى دين هذبة وقومه :

من اين جاءت عارم القبح لا مرحباً بأمة المسيح
لن تقبلوا العقل مع النضوح ولن تديحوا الحي في سريح
حتى تذوقوا خدب الصفيح (١)

وجعل نفّاع اخوه يرتجز ويقول :

اني اذا استخفى الجبان بالحدّر وكان بالكف شهاب كالشرر (٢)
صدق الفناء غير شمشاع المذر حمال ما حملت من خير وشر

وهي طويلة ثم التقي هذبة وزيادة فضرب هذبة زيادة فأطن داغضة رجله اي عضلتها فاعتمد على رمح وجعل يذّيب بسيفه عن نفسه حتى غشيه هذبة فصرعه وزعموا ان زيادة جدع انف هذبة في تذيبه عن نفسه وضرب القوم زيادة حتى ظنوا انهم قد اجهزوا عليه . ثم اتوا منزل أذرع اخي زيادة فصوّتوا به فخرج عليهم فصاّضهم ونجا منهم فقال هذبة :

وكانت شفاء النفس مما أصابها غدا تئد لو نلت بالسيف أذرعا
واقسم لو ادر كنه لكسوته حساماً اذا ما خالط العظم أرمعا

ثم رجع الى زيادة فوجده صريماً بين النساء فضرب عاتقه بالسيف حتى خرجت الرئة من بين كتفيه . فانصرف الى اهله فأخبرهم وشبّت الحرب بين الحيين ونأى كل واحد منهما عن صاحبه

(١) الحدب الضرب الشديد . ضربة خدياء ورجل اخدب اذا كان فيه هوج

(٢) قال الشارح : الحدّر المكان المظلم فسمي يوم النيم اليوم المذر

ثم تنحى هذبة مخافة السلطان واستعدى اصحاب زيادة عليه والعامل على المدينة يومئذ سعيد بن العاص فارسل الى ابي نعيم عم هذبة واهله فحبسهم بالمدينة . فلما بلغ هذبة ذلك اقبل فامكن من نفسه وتحلّص عمه واهله
 ﴿هذبة في الحبس﴾ امر سعيد بن العاص بهذبة الى الحبس فلما دخله قال (من الوافر) :

أَلَا نَعَقَ الْغَرَابُ عَلَيْكَ ظُهْرًا أَلَا مِنْ فَيْكِ مِنْ ذَاكَ التَّرَابُ
 يُخْبِرُنَا الْغَرَابُ بَانَ سِتْنَائِي حَبَائِبُنَا فُقِدْتُكَ يَا غَرَابُ
 وقال ايضا يذكر عرسه (من الطويل) :

وَلَمَّا دَخَلْتُ السَّجْنَ يَا امَّ مَالِكٍ ذَكَرْتُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلَقٍ سُورٍ
 وَعِنْدَ سَعِيدٍ (١) غَيْرَ أَنْ لَمْ أُبْجِ بِهِ ذَكَرْتُكَ إِنْ الْأَمْرُ يُذَكَّرُ بِالْأَمْرِ
 وقال ايضا يعمل نفسه بالخلاص (وافر) :

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرْجٌ قَرِيبُ
 فَيَأْمَنَ خَائِفٌ وَيُفَكُّ عَانٍ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْغَرِيبُ
 وبقي هذبة في حبسه وسعيد بن العاص يكره الحكم بين الحيين فرفع امرهما الى معاوية وبعث معهم بهذبة فوفد الى معاوية وفد بني رقاش وفيهم عبد الرحمان بن زيد اخو القتيل . وفد بني عامر وفيهم ابو جبر عم هذبة . فلما صاروا بين يدي معاوية قال له عبد الرحمان اخو زيادة : يا امير المؤمنين اشكو اليك مظلمتي وقُتل اخي وترويع نسوتي . وتكلم ابو جبر كأنه يرد عليه فقال معاوية لهذبة : اخبرني خبرك . فقال هذبة : ان شئت ان اقص عليك قصتنا كلاماً او شعراً فعلت . قال : أنشدني فمضى ان استغني عن قصصك بشعرك . فقال هذبة هذه القصيدة مرّ تجلاً بها

ولمبدر غناء في بيتيها الاولين (من الطويل) :

ألا يا لقومي (١) للنوائب والدهر
وللأرض كم من صالح قد تأكمت (٢)
فلا تثقي ذا هيبة لجلاله
ومنها :

فلما رأيت أنها هي ضربة
عمدت لأمر لا يُغير والدي
وكم نكبة لو أن أدنى مرورها
فان تك في اموالنا لا تضيق بها
وان يك قتل لا أبا لك نصطبر
دُمينا فرامينا فصادف رَمينا
وانت امير المؤمنين فما لنا
وراءك من معدى ولا عنك من قصر

فقال له معاوية : اراك قد أقررت بقتل صاحبهم . قال : هو ذاك . فقال عبد الرحمن : أقدني . فكره ذلك معاوية وضمن بهذبة عن القتل فقال معاوية لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم المسور وهو غلام صغير لم يبلغ وانا عنه وولي دم ابيه . فقال : « انك لا تؤمن على اخذ الدية او قتل الرجل بغير حق أو ما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك والمسور احق بدم ابيه اذا احتمل فان شاء قتل وان شاء أخذ العقل » . ثم كتب الى سعيد في المدينة ان يحبس هذبة الى ان يبلغ ابن زيادة فضمنه السجن

(١) وبرى : لقوم . وبرى : قد تودأت وتلمأت

(٢) وبرى : ولا تميز . الحزاية الاستحيا . اي لا يأنف منه ولا ينجزى

(٣) وبرى : وان صبر فصبر للصبر

وتربص بلوغ المسور بن زيادة فكث في السجن ثلاث سنين وقيل ستاً وقيل سبعا .
وقال هذبة في السجن اشعاراً كثيرة منها ما روي عنه ومنها ما ذهب . ولما شخص
هذبة الى المدينة فجلس بها قالت أمه :

أيا إخوتي اهل المدينة أكرموا اسبركم ان الاسير كريم
فرب كريم قد قراه وضافته ورب امور كلهن عظيم
عصا جلها يوماً عليه فراضه من القوم عياف أشم حلیم

قال ابو الفرج : فأرسل هذبة عشيرته الى عبد الرحمان في أوّل سنة فكلموه في
قبول الدية فامتنع قائلاً :

أبعد الذي بالتعنف نف كويكب رهينة رمس في تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابي وبقياي اتي جاهد غير مؤتل

فرجعوا الى هذبة بالابيات فقال : لم يؤيسني بعد . فلما كانت السنة الثالثة . بلغ
المسور فارس هذبة الى عبد الرحمان من كلمه فأنصت حتى فرغوا ثم قام مغضباً
وانشأ يقول :

سا كذيب اقواماً يقولون اني ساخذ مالا من دم انا واتره
فاقم لا انسى زيادة مرة من الدهر الآريثا انا ذاكره
وكان ابن أبي لم يعير بسوء ولا دس جرّبت فيما أعابره

وقال ايضاً :

يعزي عن زيادة كل صاح (١) تحلي لا تأوبه العموم
وكيف تجلد الاثنين عنه ولم يقتل به الثار المنيم
فلو كنت القتل وكان حياً تجرد (٢) لا ألف ولا سووم
ولا جئمة في الرحل مثلي ولا ضرع اذا أنسى تووم
ولا هيابة بالليل نكس ولا ورع اذا يلقى جثوم
غشوم حين يصر مستقداً وخير الطالبي الوتر الفشوم

ونفض فرجعوا الى المدينة فاخبروه الخبر فقال : الآن ينست منه . وقيل ان سعيد

ابن العاص وعدهُ بمائة ناقة حمراء كدية هدية فلم يقبل وقال: ولو ملأت لي قَبَتِكَ
هذه ما لَأَ ما فديتُهُ لقوله (من البسيط):

لَنَجِدَعَنَّ بِأَيْدِينَا أَنْوَفَكُمْ وَيَذْهَبُ الْقَتْلُ فَيَا بَيْنَنَا هَدَرًا
فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ

قال شارح الحماسة (ص ٢٣٥) والمبرد في الكامل (ص ٧٦٥): فمكت هبة في
السجن ما شاء الله ان يمكث حتى ادرك المسور بن زيادة . وجعل عثمُ عبد الرحمان بن
زيد يقدم المدينة فيمكلمهُ القرشيون وغيرهم وكان اهل المدينة رُقُوا لهدية لوفائه
وشعره وانهُ اَوَّل مصبور رأوهُ في المدينة بعد زمن النبي صلعم وأضعفوا له (وقيل
للمسور) الدية حتى بلغت عشر ديات . وكان مثنى عرض عليه الديات الحسين بن علي
ابن ابي طالب وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عمر بن الخطاب وسعيد بن العاص وعمر
ابن عثمان بن عفان ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش . فأبى الا القود
وروى في الاغاني (٢١: ٢٨٠) ان جميل بن معمر العُدري دخل على هبة السجن
وهو محبوس بدم زيادة بن زيد واهدى له بُردَيْن من ثياب كساهُ ايأهما سعيد بن
العاص وجاءهُ بِنَفَقَةٍ . فلما دخل اليه عرض ذلك عليه وسأله ان يقبلهُ منه . وكان جميل
هجا قومهُ بني عامر فردَّ هديتَهُ قائلاً: خُذْ بُرْدِيكَ ونفقتك فاليك عني . فخرج جميل
فلما صار في باب السجن خارجاً قال: اللهمَّ أَغْنِ عني أَجْدَعَ بني عامر . (قال) وكانت
بنو عامر قد قَلَّت فجالفت لا ياد

﴿موت هبة بن الحشرم﴾ قال ابو رياش في الحماسة (ص ٢٣٦): فمات عبد
الرحمان في تلك السنين قبل احتلام مسور بن زيادة . فلما احتلم خرج به في تلك الليلة
الى المدينة . وفي الاغاني (٢١: ٢٧١) ان عبد الرحمان لم يَمُت بعد قال: « وذهب عبد
الرحمان بالمسور وقد بلغ الى والي المدينة سعيد بن العاص وقيل مروان بن الحكم
فأخرج هُدية » . وفي الحماسة « ان اخوان هُدية من قُريش ارسلوا اليه كفتناً وحنوطاً
فأخرج في سلطان الوليد بن عُتبة بن ابي سفيان فقال هُدية (من الطويل):

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نَوَاحِ النَّوْاحِ وَقَبْلَ أَطْلَاعِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ (١)

وقبل غديا ويل نفسي على غدٍ
إذا راح اصحابي تُفيض عيونهم
وإذا راح اصحابي ولست بُرائح (١)
وغودرتُ في لحدٍ عليّ صفاخي
يقولون هل أصاحتمُ لأخيكُمُ
وما القبرُ في الارضِ الفضاءِ بصالح

وقال لما خرج الى القوم وفي قوله ما يدلُّ على الورع والتقى المسيحي (من الطويل):

أذا العرشِ أني لا تُذُبِّكِ عائدُ
من النارِ ذوبتِ اليك فقيرُ (٢)
بغضِ اليّ الظلمِ ما لم أصبْ به
من الظلمِ مشعوفُ الفؤادِ نفيرُ
واني وان قالوا اميرُ مسلطُ
وحجابُ ابوابٍ لهنَّ صريرُ (٣)
لأعلم ان الامرُ امرُك ان تدنُ
فربُّ وان تغفرُ فانت غفورُ

وقال الرواة: فلما كان في الليلة التي قُتل في صباحها ارسل الى امرأته يستقدمها ليودعها وكان يمينا وانه مشا ولدان. فلما اتته حادتها وكى وبكت ولما قبلها سمعت قعقة الحديد فاضطربت فتنجى عنها قاذلا (من الطويل):

لقد زعمتُ ام الصبيّين اني
أفقرُ جناني وازدهنتي المخاوفُ
وأذنتني حتى اذا ما جعلني
لدى القلب اذ ذاك استقلك راجفُ
فان شئتُ والله انتهيْتُ وانني
لأن لا تربني آخر الدهر خائفُ
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه
جأجى يدمى حدُّها والحراقفُ

وقيل ان هدية بعث الى عائشة بقول لها: استغفري لي. فقالت: ان قُلت استغفرت لك. قال المبرد: ولما خرج به ليقاد بالحرّة جعل يأنس الاشعار فقالت له حبي المدنية: ما رأيت قلباً أقى منك أتشد الاشعار وانت يُمنّى بك لتتبل وهذه خلقت كأنها

(١) وفد روى صاحب الحاشية (ص ٥٥٨) هذين البيتين لابي الطيّم جازن شرقي بن حنظلة القيني

(٢) ويروى: اني مسلم بك. ويروى: اني عائد بك مؤمن. وترى لاتي اليك فقيرُ

(٣) ويروى: امير ونافع وحراس ابواب

ظيُّ عطشان تولول (تعني امرأته) . فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حُبِّي فقال
(طويل) :

وجدتُ بها ما لم تجدْ أمٌ واحدٍ ولا وجدٌ حُبِّي بَابِنِ أمِّ كِلَابٍ (١)
وإني طويلُ الساعدِ نِ شَمَرْدَلٍ على ما اشتَهتْ من قوَّةٍ وشَبَابٍ (٢)
فانقمت حُبِّي داخلةً الى بيتها فأغلقت الباب في وجهه . وقال في الاغاني : لَمَّا مرَّ
بهذبة على حُبِّي قالت له : في سبيل الله شَبَابُكَ وَجَدْتُكَ وشَعْرُكَ وَكِرْمَكَ فقال (١) من
الجلول :

تَعَجَّبُ حُبِّي مِنْ أُسِيرٍ مُقَيَّدٍ (٣) صليبِ العصا باقٍ على الرَّسْفَانِ
فلا تَعْجَبِي مِنِّي (٤) حَلِيلَةَ مَالِكٍ كذلك يَأْتِي الدهرُ بالحدَثَانِ
واخبروا انه لما خرج به صاحب الشرطة ليقتل جعل الناس يتعرَّضون له ويخبرون
صبره ويستنشدونه . فلقية عبدالرحمان بن حسان بن ثابت الانصاري فقال له : أنشدني
يا هذبة . فقال : أعلى هذه الحال ؟ قال : نعم فانشدته (من الطويل) :

وما أَتَصَدَّى للخليل وما أرى مُريدًا غني ذي الثروة المتقطَّبِ
وما أَتَبِعُ الألوَى المدِّي بودِّه عليٍّ وما أَنَاي من المتقربِ
ولا أَتَمْنَى (٥) الشرَّ والشرُّ تاركِي ولكن متى أَحمَل على الشرِّ أركبِ
ولستُ بِمِفْرَاحٍ اذا الدهرُ سرَّني (٦) ولا جازعٍ من صرفه المتقلبِ
وما يعرفُ الاقوامُ للدهرِ حَمَّةً وما الدهرُ ممَّا يكرهون بمُعْتَبِ

(١) ويروى : وما وجدتُ وَجْدِي جا أم (٢) ويروى : رأته طويل الساعدين . . . كما
انتفشت . ويروى : كما انبعت . فالشمر دل الحسن الخلق وقيل السريع
(٣) ويروى : مكبل (٤) ويروى : منه
(٥) ويروى : ما اتبغى . ويروى : ولستُ بياغي (٦) ويروى : مسني

وللدهر في اهل الفتى وتلاده نصيب كحز الجازر المتشعب
 وحر بني مولاي حتى غشيته (١) متى ما يحر بك ابن عمك تحرب
 ولما قدم نظر الى امرأته وكانت من اجمل الناس فدخلته غيرة وقد كان جدع
 في حريم فقال (من الطويل) :

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا ولا تعجي مما أصاب فأوجعا (٢)
 فإن يك أنفي بان منه جماله فما حسي في الصالحين بأجدعا
 وما حسنت نفسي لي العجز مذبدت نواجذها ينججن سماً مسلعا
 فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أنعم القفا والوجه ليس بأزعا
 كليا لاسوى ما كان من حد ضرره لدى الزاد مبطن العشيات اروعا (٣)
 ضروبا بلحيه على عظم زوره اذا الناس (٤) هشوا للفعال تقنعا
 أضهب لا يرضيك في الحي قاعدا اذا ما مشى او قال قولا تبلتعا
 وحلي بذي أكرومة وحمية وصبر اذا ما الدهر عض فأوجعا (٥)
 وكوني حبيبا او لأروع ماجد اذا ضن أعشاش الرجال تبرعا (٦)
 وليس اخو الحرب الشديدة بالذي اذا زبنته جاء (٧) للسلم أخضعا
 ولكن اخو الحرب الحديد سلاحه اذا حملته فوق حال تشجعا
 أخو الحرب لا يناد للحرب مثنه ولا يظهر الشكوى اذا كان موجعا

(١) وىروى : خشيته

(٢) وىروى : ولا تجزعى . . . وأوجعا (٣) وىروى : من جد ضرره أكينيد
 مبطن العشيّة . وىروى : أعيد مبطن الضحى (٤) وىروى : اذا القوم (٥) وىروى :
 عض فاسرعا . وىروى : فأوجعا (٦) وىروى : وكوني حبيبا . جامد . . . اباش الرجال
 (٧) وىروى : اذا رفته كان

رَكوبٌ عَلَى أَثْبَاجِهَا (١) مَتَخَوِّفٌ لَعَوْرَاتِهَا حَتَّى إِذَا الثَّقَلُ أَضْلَعَا
وَحَشَمَهَا بِقَوْلِهِ :

فَإِنَّ الثَّقِيَّ خَيْرُ الْمَتَاعِ وَأَمَّا نَصِيبُ الْفَقِيٍّ مِنْ مَالِهِ مَا تَمَتَّعَا
فَأَدْرَكُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ فَقَالَ لَهُ : يَا هَذْبَةُ تَأْمُرْنِي أَنْ أَتَزَوَّجَ هَذِهِ بَعْدَكَ
(يعني زوجته وهي تثنى خلفه) . قَالَ : تَعَمَّ أَنْ كُنْتُ مِنْ شَرْطِهَا . قَالَ : وَمَا شَرْطُهَا .
فَكَرَّرَ عَلَيْهِ الْآبِيَاءُ . فَحَالَتْ زَوْجَتُهُ إِلَى جِزَارٍ فَاخْذَتْ شَفْرَتَهُ فَبَجَّدَتْ بِهَا أَنْفَهَا
وَجَاءَتْهُ تَدْمِي مَجْدَعَةً . فَقَالَتْ : أَتُخَافُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هَذَا نِكَاحٌ ؟ (قَالَ) : فَرَسَفَ فِي
قِيُودِهِ وَقَالَ : الْآنَ طَابَ الْمَوْتُ . وَقِيلَ لَهَا : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ مَرْوَانَ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ
لِهَذْبَةَ عِنْدِي وَدِيعَةً فَأَمْسَلْتُهَا حَتَّى آتَيْتُهَا بِهَا . فَقَالَ : اسْرِعِي فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا . وَكَانَ
جُلَسَاءُ لَهَا بِأَزْوَاجِهِمْ فَضَتْ إِلَى السُّوقِ وَانْتَهَتْ إِلَى قِصَابٍ وَقَالَتْ : اعْطِنِي شَفْرَتَكَ
وَاخْذِ هَذَيْنِ الدَّرْهَمَيْنِ وَأَنَا أَرُدُّهُمَا عَلَيْكَ . فَفَعَلَ فَقَرَّبَتْ مِنْ حَانِطٍ وَارْسَلَتْ مَلْحَفَتَهَا
عَلَى وَجْهِهَا ثُمَّ جَدَعَتْ أَنْفَهَا مِنْ أَصْلِهِ وَقَطَعَتْ شَفَتَيْهَا ثُمَّ رَدَّتِ الشَّفْرَةَ وَاقْبَلَتْ حَتَّى
دَخَلَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَقَالَتْ : يَا هَذْبَةُ اتْرَانِي مَتَزَوَّجَةً بَعْدَ مَا تَرَى . قَالَ : لَا . الْآنَ طَابَ
الْمَوْتُ

ثُمَّ خَرَجَ يَرْسِفُ فِي قِيُودِهِ فَإِذَا هُوَ بِأَبْوَيْتِهِ يَتَوَقَّعَانِ الشَّكْلَ وَهُمَا بِسَوْءِ حَالٍ فَأَقْبَلَ
عَلَيْهِمَا وَقَالَ مُعْرَبًا عَنْ رَجَائِهِ بِالْآخِرَةِ (مَنْ الْخَفِيفُ) :

أَبْلِيَانِي الْيَوْمَ صَبْرًا مِنْكُمْ أَنْ حَزَنًا إِنْ بَدَأَ بِأَدَى شُرٍّ (٢)
لَا أَرَانِي الْيَوْمَ إِلَّا مَيِّتًا (٣) أَنْ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارَ الْمُسْتَقَرِّ
إِصْبِرَا الْيَوْمَ فَإِنِّي صَابِرٌ كُلَّ حَيٍّ لِقِضَاءِ (١) وَقَدَرِ

قَالَ فِي الْإِغَانِي : فَدَفَعَ هَذْبَةُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخِي زِيَادَةَ لِيَقْتُلَهُ فَاسْتَأْذَنَ فِي أَنْ

(١) وَيُرْوَى : رَحُوبٌ عَلَى أَثْبَاجِهَا

(٢) وَيُرْوَى : إِنَّ حَزَنًا فَلِكَمَا الْيَوْمَ يَسِرُّ (٣) وَيُرْوَى : مَا أَظُنُّ الْمَوْتَ إِلَّا مَيِّتًا

(٤) وَيُرْوَى : لَفَنَاءُ

يُصلي ركعتين فأذن له فصلاهما وخفف ثم التفت الى من حضر فقال : لولا أن يُظنُّ بي الجزع لأُطلبهما فقد كنت محتاجاً الى إطالتهما . ثم قال لأهله إنه بلغني أن القتل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه فإن عثقت فاني قابضٌ رجلي وباسطها ثلاثاً . ففعل ذلك حين قُتل . وقال قبل ان يُقتل (من الطويل) :

إن تقتلوني في الحديد فأنني قتلْتُ اخاك مطلقاً لم يُقَيَّد

فقال عبد الرحمن اخو زيادة : والله لا قتلتهُ ألا طلقاً . من وثاقه فأطلق فقام اليه وهز السيف ثم قال :

لقد علمت نفسي وانت تعلمه لأقتلن اليوم من لا ارحمه

ثم قتلته . هذه رواية من لم يقل يموت عبد الرحمن . أما حماد الرواية فقال ان الذي تولى قتله السور دفع اليه عنه السيف وقال له : قم فاقتل قاتل ابيك . وفي كامل المبرد (ص ٢٦٧) ان هذبة قال لابن زيادة : أثبت قدريك وأجد الضربة فاني ايتمكت صغيراً وراملت أمك شابة . . . ما اجزع من الموت . وفي شرح الحماسة (ص ٢٣٦) : انه لما يرك للقتل قامت امرأة زيادة أم السور فسأت السيف ثم قالت لابنها : اضرب بابي انت وامي . فضربة ضربة أبانت رأسه . وفي الاغاني : فضربة ضربتني فقتله بهما . ووثب رهط هذبة فنحوه عنه حتى دفن . فقال واسع اخوه برثيه (من البسيط) :

يا هذب يا خير فتان العشيرة من يُفجع بمثلك في الدنيا فقد فُجعا
الله يعلم أني لو خشيتهم أو أوجس القلب من خوف لهم فرعاً (١)
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم حتى نعيش جميعاً او نموت معا (٢)

﴿رتبته بين الشعراء﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢١ : ٢٦٤) هذبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز وكان شاعراً راويةً كان يروي للحطيئة . . . وكان جميل

(١) ويروي : احسن القلب . ويروي : اوجع القلب . . . جزعا

(٢) هذه الايات تمثل ما ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب لما بلغه قتل

اخيه محمد (الاغاني)

(ابن معمر) راوية هُذْبَة « وقد افادنا ابن النديم في الفهرست (ص ٧٨ و ١٥٩) انَّ السَّكْرِي « عمل اشعار جماعة من الفحول » ذكر من جملتهم « هُذْبَة بن الحشرم » وصهره « زيادة بن زيد » ولا بُدَّ ان يكون ديوانهما مقفوداً . ومما روي عن مروان بن ابى حفصة وعن حماد الراوية قولهما (الاغاني ٢٧٥) « كان هُذْبَة اشعر الناس منذ دخل السجن الى أن أُقيد » وفي قوله هذا شاهد على ما قيل بأن اشعر الشعر ما أنشده صاحبه متجرّداً عن الغايات مندفعاً اليه بعواطف غريزته . وحدث مُصْعَبُ الزَّيْرِي قال : « كنّا بالمدينة اهل البيوتات اذا لم يكن عند احدنا خبر هُذْبَة وزيادة واشعارهما ازدريناه وكُنّا نرفع من قَدْر اخبارهما واشعارهما ونُعْجِبُ بها . » وقد امكن القراء ان يستدلوا على شعره المطبوع في ما سرّ من اخباره وها نحن نضيف اليه ما وجدناه متفرقاً في كتب الادباء لئلا تأخذه يد الضياع . فمن ذلك ما رواه ابو ثَّامٍ في حماسه (من الوافر) :

إِنِّي مِنْ قُضَاعَةٍ مَنْ يَكِيدُهَا أَكِيدُهُ وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانِ
ولستُ بِشَاعِرِ السَّفَسَافِ فِيهِمْ ولكنْ مِدْرَهُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ (١)
سَاهِجُونَ مِنْ هِجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَنْ هِجَانِي

ومن جيد شعره قصيدته البائية التي قالها في الحبس جمعناها من كتب مختلفة كأماشي القسالي (١ : ٧٢) والحماسة البصرية (ص ٣٧) وخزانة الادب (٤ : ٨٢-٨٣) (من الوافر) :

طَرِبْتُ وَانْتَ أَحْيَانًا طَرُوبُ وكيف وقد تملّك (٢) المشيبُ
يُجِدُّ النَّأْيُ ذَكَرَكَ فِي فَوْءِ أَدِي اذا ذَهَلَتْ عَلَى النَّأْيِ (٣) القلوبُ
يُورِّقُنِي اكْتِثَابُ ابْنِ نُمَيْرٍ (٤) فقلبي من كآبته كئيبُ

(١) السَّفَسَافُ ما لا خبر فيه من الافعال والاقوال . والمِدْرَهُ السيد الذي يُدْفَعُ بِهِ الشرّ فينظم امور الحرب (٢) ويروى : تَشَاكَ (٣) ويروى : عن النَّأْيِ (٤) قال النخعي : ابو غنم ابن عمه كان مسجوناً معه . وقيل رجل من قرابته كان يزوره في حبسه

فقلتُ له هداك الله مهلاً
عسى الكربُ (٢) الذي أمسيتُ فيه
فيأمنَ خائفٌ ويُفكُّ عانٍ
ألا ليتَ الرياحَ مُسَخَّراتُ
فنجبرنا الشمالُ اذا اتتنا
بأننا قد حللنا دارَ بلوى
وقد علمتُ سُميَ أنْ غودي
وأنْ خَلِقتي (٦) كرمٌ وأنِّي
أعينُ على مكارمها وأغشى
وقد ابقى الحوادثُ منك ركناً
وأنِّي في العظامِ ذو غناء
وأنِّي لا يخافُ الغدرَ جاري
وكم من صاحبٍ قد بانَ عني
فلم أبدِ الذي تحنو ضلوعي
مخافةً ان يراني مُستكيناً
ويشمتَ كاشحٌ وَيظنُّ أني

وخيرُ القولِ ذو اللَّبِّ اللَّيْبُ (١)
يكونُ وراءَهُ فرَجٌ قريبُ
ويأتي اهله الرجلُ الغريبُ
بحاجتنا تباكرُ (٣) او تؤوبُ
وتُخبرُ اهلها (٤) عَنَّا الجنوبُ
فتُخطُّنا المنايا او تُصيبُ (٥)
على الحدَّانِ ذو أَيْدٍ صليبُ
اذا أبدتْ نواجذها الحروبُ
مكارمها اذا كعَّ الهُيُوبُ (٧)
صليباً ما تؤيسُّه الخطوبُ
وأدعى للفعال (٨) فاستجيبُ
ولا يخشى غوائلِ القريبُ
رُميتَ بفقده وهو الحبيبُ
عليه وأنِّي لأنا الكئيبُ
عدوُّ او يساءُ به قريبُ
جزوعٌ عند نائبةٍ تنوبُ

- (١) ويروي: ذو البعج المصيبُ
(٢) ويروي: للحاجتنا تراوح
(٣) ويروي: فأننا قد نزلنا ... المنيّة
(٤) ويروي: خلافتي
(٥) ويروي: وادعى للسّاح
(٦) ويروي: المنيّة
(٧) ويروي: اذا هاب الهُيُوبُ
(٨) ويروي: وادعى للسّاح

فَبَعْدَكَ سَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طُرُقًا إِلَيَّ وَرَابَنِي دَهْرٌ يُرِيبُ
وَانْكُرْتُ الزَّمَانَ وَكُلَّ أَهْلِي وَهَرَّتَنِي لَغَيْتُكَ الْكَلِيبُ
وَكُنْتَ تُقَطِّعُ الْأَبْصَارَ دُونِي وَانْ وَغَرْتَ مِنَ الْغَيْظِ الْقُلُوبُ
عَلَى أَنَّ الْمَنِيَّةَ قَدْ تُوَافَى لَوْقَتِ وَالنَّوَابِ قَدْ تَنُوبُ
فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا لَنَاظِرُهُ قَرِيبُ

ومأ رواه هذبة في الحاسة البحترية (ع ٢٤) قوله (من الطويل) :

مَشِيتُ الْبَرَّاحَ لِلرِّجَالِ شَبِيبَتِي إِلَى أَنْ عَاصَتْنِي كَبْرَةٌ بِمَشِيبِ
فَلَا تَقَرُّوا أَفْوَاحَكُمْ إِنَّنِي شَجَاً إِلَى الْحَقِّ وَالْأَضْرَاسِ غَيْرُ حَبِيبِ
لَعَمْرِي مَا شَتَمْتَنِي لَكُمْ أَنْ شَتَمْتَكُمْ بِسِرٍّ وَلَا مَشِي لَكُمْ بِدَيِّبِ
وَلَا وَدُّكُمْ عِنْدِي بِعَلَقٍ مَضْنَةٍ وَلَا شَرُّكُمْ عِنْدِي بِجَدٍّ مَهَبِ
فَلِإِنْ عَاجَلْتُمْ رِيَاضَةَ مُضْعَبٍ مُدِلَّ عَسِيرِ الصُّلْبِ غَيْرِ رَكُوبِ
وَقَاسَيْتُمْ غَرْباً يَمُدُّ عَنَانَهُ كَفَرَبِ الْفَرَاتِ جَاشَ يَوْمَ جَنُوبِ

ومن روايته فيها (ع ٨٨١ و ١٣٨٨) (من الطويل) :

وَبَعْضُ رَجَاءِ الْمَرْءِ مَا لَيْسَ نَائِلًا غَنَاءٌ وَبَعْضُ النَّاسِ (أ) أَغْنَى وَأَرْوَحُ
وَأَخْرُ مَا شَيْءٌ يَغُولُكَ وَالَّذِي تَقَادَمَ تَنْسَاهُ وَإِنْ كَانَ يَفْدَحُ

وقد روى أيضاً (ع ١٠٤) وكذلك في اصلاح المنطق (ص ١٦٢) (من الطويل) :

وَكَذَبَ قَوْلَ الْعَانِيْنَ سَهَاحَتِي وَصَبْرِي إِذَا مَا الْأَمْرُ عُصْرُ فَأَضْجِرَا

وَإِنِّي إِذَا مَا الْمَوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ مَدَى الشَّيْرِ (١) أَحْمِي الْأَنْفَ أَنْ تَأْخُرَا
وفيه يقول :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ إِذَا اخْتِيرَ قَالُوا لَمْ يَقُلْ مَنْ تَخَيَّرَا
مَنْ الرَّافِعِينَ الْهَمُّ لِلذِّكْرِ وَالْعُلَى إِذَا لَمْ يَبُوءْ إِلَّا الْكَرِيمُ لِيَذْكُرَا
رُزِينَا فَلَمْ نَعُزَّزْ لَوْ قَعْتَهُ بِنَا وَلَوْ كَانَ فِي حَيٍّ سِوَانَا لِأَعْثُرَا
وَمَا دَهْرُنَا إِلَّا لَيْكُونَ أَصَابِنَا بِنَقْلِ وَلَكِنَّا رُزِينَا لِنَصْرَا

وروى له أيضاً (ع ١٣٦٧) في ذم الزح قوله (من الطويل) :

وَرُبَّ كَلَامٍ قَدْ جَرَى مِنْ مُمَازِحٍ فَسَاقَ إِلَيْهِ سَهْمٌ حَتَفٍ فَعَجَّلَا
فَدَعُ عَنْكَ قُرْبَ الْمَرْحِ لَا تَقْرَبْنَهُ كَفَى بَامِرِي وَعِظًا إِذَا مَا تَكْهَلَا

ومن روايته أيضاً (ع ١٧٣) في استطابة الموت قوله (من الطويل) :

مَضَى قَدْماً يَدْعُو الْحَيَاةَ عَنْهَا وَيَدْعُو الْوَفَاةَ الْخُلْدَ ثَبَتُ مَوَاقِفُ
ومن البحر والقافية ما جاء في أحد مخطوطات مكتبتنا الشرقية يصف عفافه
(ص ٢٦) :

وَإِنِّي لِأَخْلِي لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَالْقَلْبِ أَلْفُ (٢)
حَذَارِي الرَّدَى أَوْ خَشْيَةَ أَنْ يُجَرَّنِي إِلَى مَوْقِفٍ أُرْتَمَى بِهِ أَوْ أَقَادَفُ

ومما رواه له أيضاً (ع ٥٣٧) (من الطويل) :

صَبُورٌ عَلَى مَكْرُودٍ مَا يَجْشَمُ الْفَتَى وَمَرٌّ إِذَا تُبَغِيَ الْمَرَارَةُ مُمِيقٌ

(١) ويرى : قدى الشبر . القيد والقاد والقيدى القدر

(٢) ويرى : وأصرم ذات الدلّ والقلب واله . ويرى بعد هذا البيت :

يَظَلُّ بِهَا الْهَادِي يَنْقَلِبُ طَرْفُهُ مِنْ الْهَوْلِ يَدْعُو وَبَلَهُ وَهُوَ رَمَفُ

وجاء له في مبادئ اللغة للاسكافي قاله وهو سائر الى الموت (من الوافر) (ص ٥١) :

أَشْدُّ قَبَالٍ نَعْلِي لَا يَرَانِي عَدَوِي لِلْحَوَادِثِ مُسْتَكِينَا

وفي كتاب مجموع الليف (Ms de Paris, 3388, ff. 168^r) له دبة يصف
ديكاً صاح في غير وقت الصبح فلمّا رأى الليل كفّ عن الصياح (من الطويل) :

وَمُسْتَجْدِلٍ يَدْعُو الصَّبَاحَ وَقَدْ رَأَى عَرَانِينَ مَشْهُورٍ مِنَ الصَّبْحِ أَبْلَقَا
إِلَى غَيْرِ هَيْجَاءٍ ضَحَّتْ غَيْرَ أَنَّهُ دَجَا فَوْقَهُ لَيْلُ التِّمَامِ فَأَطْرَقَا

ومما رواه أبو علي القالي في اماليه (٢: ٢٠٦-٢٠٧) في وصية عبد الله بن شدّاد
لابنه محمد قوله : « أَيُّ بُنَيٍّ إِذَا أَحْبَبْتَ فَلَا تُفْرُطْ وَإِذَا ابْغَضْتَ فَلَا تُشْطِطْ . . .
وَكُنْ كَمَا قَالَ هُدْبَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَدْرِي (من الطويل) :

وَكُنْ مَعْقِلًا لِلْحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الْخَنَا فَإِنَّكَ رَأَى مَا حَيْتَ وَسَامِعُ
وَأَحِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إِذَا ابْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

فترى من هذه الامثلة ما طبع عليه هدبة من البلاغة وجودة القرينة والتفنن في
المعاني . وعسى ان يعثر احد الادباء على نسخة من ديوانه فيغني بنشرها آثار لغتنا القديمة

٢ موسى بن جابر

﴿ اصله ونسبه ﴾ هو موسى بن جابر احد شعراء بني خنيفة اهل اليمامة . روى
صاحب الاغانى (١٠: ١١٣) ان يسمع بن مالك قسم سائر بطون بكر بن وائل
على جُذَمَيْنِ جُذَمٍ يَقَالُ لَهُ الذُّهْلَانُ وَجُذَمٍ يَقَالُ لَهُ اللَّهَازِمُ فَالذُّهْلَانُ بَنُو شَيْبَانَ بْنِ

ثَعْلَبَةَ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ وَائِلٍ وَبَنُو ضَبِيْعَةَ بْنِ رَبِيعَةَ . وَاللَّهَازِمُ قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَتَيْمُ بْنُ

اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم وعنترة بن اسد بن ربيعة . (قال) وقد دخل بنو قيس ابن عكابة مع اخوتهم بني قيس بن ثعلبة . وأما حنيفة فلم تدخل في شيء . من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليامة في وسط دار مضر . وكانوا لا ينصرون بكرراً ولا يستنصرونهم . فلما جاء الاسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتأهزموا ودخل معهم حلفائهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن مصعب بن علي فصاروا جميعاً في اللاهزم . وقال موسى بن جابر الحنفي السجيني بعد ذلك في الاسلام (من الطويل) :

وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِلَدَةٍ سَوَى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسَ عَيْلَانَ وَالْفَزْرِ (١)
بِرَأْيَتِهِ أَمَا الْعَدُوُّ فَحَوْلَانَا مُطِيفٌ بِنَا فِي مِثْلِ دَائِرَةِ الْمُهْرِ
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَقْنَا وَحَالَقْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ (٢)
فَمَا أَسْلَمْتَنَا بَعْدُ فِي يَوْمٍ وَقَعَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْمَدْنَا السُّيُوفَ عَلَى وَتَرِ (٣)

اهله وزمانه . لم يفدنا الكتبة شيئاً عن رهط موسى بن جابر . وقد نسبته في الاغانى الى سحيم وسحيم بطن من حنيفة . ودعاه ياقوت في معجم البلدان (٤) : (٩٥٥) بالعبدي واهل في قوله اشارة الى بني عبدة عشيرته . وقال صاحب خزائن الادب (١٤٦: ١) : «ويقال له ابن الفريضة وهي أمه . وجاء له في شعره ذكر ابن عم يدعى زيدا وقيل اخوه» . وقد ذكر التبريزي في حماسه الى تمام خاليه مرداساً وعامراً :

(١) يروى صفة البلدة اي متوسطة . والفزرق لقب لسعد بن زيد مائة . يريد حل بين مضر والفزرق وبأى عن ربيعة لان قيساً والفزرق من مضر (٢) ويروى : أحنأ قال في خزائن الادب (١) : (١٤٧) يقول : «لما خذلتنا عشيرتنا وهم ربيعة اكتفينا بأنفسنا فأقننا بدار الحفاظ والصبر وأنخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر . وهذا مثل ضربته لاستسلامهم فيما نخضوا فيه بعد دم وعذقم وبلانهم وصبرهم واستعائهم عن القاعدين»

(٣) ويروى : عدد يوم كريمة ولا نحن اغضينا الحفون . . . قال شارح الحماسة (ص ١٦) : «اي ما خذلتنا عشيرتنا في يوم حرب ولا نحن اغضينا جفوتنا على وتر وحقد . يعني انضم ادركوواكل ثار» وهذه الايات رواها ابو تمام في الحماسة ليجي بن منصور الحنفي وقد غلطه ابو رياش واثبتها لموسى بن جابر

ابني شمس بن لآي من بني انف الناقة وأمه من بني العنبر فقال موسى يدعها
(من الطويل) :

إذا ذُكر أبنا العنبرية لم تَضِقْ ذِرَاعِي وألقى بأسِهِ مَنْ أَفَاخِرُ (١)
هَلالان حَمَلانِ في كُلِّ شَتْوَةٍ من الثِقَلِ ما لا تَسْتَطِيعُ الأَبَاعُ (٢)

أما زمانه الذي عاش فيه موسى بن جابر ففي عهد اواخر الخلفاء الراشدين واوائل
الدولة الاموية كما يستدل على ذلك من بعض اقواله

﴿دينه﴾ كانت النصرانية شائعة في بني حنيفة كما اثبتنا ذلك بشواهد عديدة
في كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ض ١٢٩، ١٢٩، ١٤٩) وبقيت على
دين النصرانية زمناً بعد الاسلام (س ٤٥٦). فلا عجب اذا وافق موسى قومه في دينهم .
وصرح صاحب خزنة الادب بنصرانيته حيث قال (١ : ١٤٦) : «ويقال كان نصرانياً»
﴿شعره﴾ ذكر في الحُرانة انه كان «احد شعراء بني حنيفة المكثرين» الا ان
ما يُعرف من شعره لا يتجاوز بضعة قطع متفرقة في كتب الادباء الاقدمين وفي
المعاجم ما يدل على انهم كانوا يعولون عليه في فصاحة اللغة . وها نحن زوي ما عثرنا
عليه من ابياته . فمن ذلك ما ورد في حماسة ابي تمام (١ : ١٥٧-١٥٨) يصف ترفع
نفسه (من الكامل) :

لا أَشْتَهِي يا قومَ الاَ كارهاً بابَ الأميرِ ولا دَفَعَ الحَجابِ (٣)
ومنَ الرجالِ اسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ ومنَ نَدُونِ حُضورِهِم كَالْغائبِ (٤)

(١) اراد بابني العنبرية خالتيه مرداساً وعامراً ابني شمس وكانت امهما من بني العنبر .
يقول اذا ذُكر هذان الرجلان من اهلي لم يُعَيِّنِي أَمْرٌ مِنْ أَفَاخِرِهِ بل اردُّهُ على عَقِبِيهِ مُدْبِراً
(٢) اي ان الممدوحين مشتهران يتكلفان في سنة الجَدْبِ والمجل وفي المقارم وقرى
الضيوف اثقالاً ويصطنعان صنائع ما لو صارت اجراماً ووُزنت ليجزت عن النهوض بها الإبل مع
صبرها على ثقل حملها لانه جللها

(٣) ويروي : الا مكرهاً . يقول لا آتي بابَ الامراء ولا اعرَضُ لدَفَعَ الحَجابِ الاَ كارهاً
(٤) ويروي : وشهودهم كالفائب . يقول ان بين الناس من يشبهون بروجهم ونفاذهم
الأسِنَّةَ المَذْرُوبَةَ اي المَحْدُودَةَ . ومنهم من نَدُونِ اي يُجْلَدُ لا فائدة فيهم وسيان حضورهم او
غيبتهم . المَزْنَدُ مشتق من الزند الذي يضرب به المثل في القلّة

منهم ليوثٌ لا تُرامُ وبعضُهم ممَّا قَمَشَتْ وَضُمَّ حَبْلُ الحَاطِبِ (١)

وممَّا ورد في امالي القاضي (٣١-٧٢-٧٣) ما حُفِّقَ قال : « كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان امر قطري بن الفجاءة المازني (٢) . فكتب اليه عبد الملك : اوصيك بما اوصى به البكري اخاه زيدا . فلما ورد الكتاب لم يدر الحجاج ما اوصى به البكري فقال لحاجبه : ناد في الناس : من اخبر الامير ما اوصى به البكري اخاه زيدا فله عشرة آلاف درهم (٣) . فقام اعرابي قد طالت اقامته وقال : انا اعرفها . فأدخله على الحجاج فقال : ما قاله البكري لزيد ؟ قال : هو موسى بن جابر الحنفي قال لابن عمه زيد هذه الابيات (من الطويل) :

اقولُ لزيدٍ لا تُتَرَتِّرْ فإِنَّهم يرونُ المِنايا دونَ قَتْلِكَ او قَتْلِي (٤)

فان وَضَعُوا حرباً فَضَعُوهَا وإنْ أبوا فُشِبَ وَقُودُ الحَرْبِ بالحَطْبِ الحَزْلِ (٥)

فان عَضَّتْ الحَرْبُ الضَّرُوسُ بنابِها فَعَرَضَتْ نارَ الحَرْبِ مِثْلَكَ او مِثْلِي (٦)

فقال الحجاج : وايبك اني اهدي وقد صدق امير المؤمنين « عَرَضَتْ نارَ الحَرْبِ مِثْلِي او مِثْلَهُ » ثم قضى حاجته . ومما روي لموسى ايضا في الحماسة قوله (من الطويل) :

(١) ويروى : منهم أسود اي منهم كالأسود الكاسرة المنية ومنهم من تَفَقَّشَهُ اي تَلَعَّاهُ وتَجَمَّعَهُ في رِزْمَةٍ واحدة كما يَضُمُّ الحَاطِبُ رِزْمَةَ حَطْبِهِ جامعا بين الخيد والردي . يريد انه لا غناء عندهم

(٢) وفي حماسة ابي تمام (ص ١٨٠) ان الحجاج كتب ذلك لما خلع عبد الرحمان بن الاشعث ابن قيس (٣) وفي الحماسة : قضيت حاجته

(٤) وفي الحماسة : قلت لزيد . ويروى : لا تُتَرَتِّر . ولا تُتَرَتِّر . ولا تُتَرَتِّر . وكلها بمعنى متقارب اي لا تُكثِرِ الكلام ولا تُعَلِّقْ فائهم لا يصلون الي واليك الا بعد ان نذيقهم كأس المنون . او يكون المعنى : انهم مستعدون لتضحية نفوسهم لينالوا ارضهم منك او مني

(٥) في الحماسة روى هذا الشطر هكذا : فَعَرَضَتْ عَضَّ الحَرْبِ مِثْلَكَ او مِثْلِي . فبدله من ثاني شطر البيت التالي . يقول : ان سالوا فسالنا وان أبوا فأسمعنا نار الحرب

(٦) روى في الحماسة الشطر الاول : وان وَضَعُوا الحَرْبَ العوان التي ترى فُشِبَ . . . الحرب الضروس الشديدة . والعوان التي قُوتِلَ فيها مرة بعد أخرى . اي ان انتشبت نار الحرب فعدتها مِثْلَكَ او مِثْلِي . يقال : فلان عَرَضَتْ كَذَا اي مُطِيقٌ لَهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ

أَلَمْ تَرَيَا أَيَّ حِمَيْتُ حَقِيقَتِي وبأشرتُ حَدَّ الموتِ والموتِ دُونَهَا (١)
وَجَدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وقلتُ أَطْمَأْنِي حِينَ سَاءَتْ ظَنُونُهَا
وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَفِي الدِّمَّ رَبُّهُ بِنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهَيِّنُهَا (٢)

وروى أيضاً صاحب الحماسة لموسى (ص ١٨١ - ١٨٢) قوله يُلوم قومه على
قعودهم عن نصرته واعتلالهم بالمعاذير الكاذبة (من الطويل) :

ذَهَبْتُمْ وَلُذْنِم بِالْأَمِيرِ وَقَلْتُمْ تَرَكْنَا أَحَادِيثًا وَلَحْمًا مُوَضَّعًا (٣)
فَمَا زَادَنِي إِلَّا سَنَاءً وَرِفْعَةً وما زَادَكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَخَضُّعًا (٤)
فَمَا نَفَرَتْ جَنِّي وَلَا فُلٌ مِبْرَدِي وَلَا أَصْبَحْتَ طَيْرِي مِنَ الْخُوفِ وَقَعًا (٥)
وقال يهجو قومه لَمَّا خَذَلُوهُ (من الكامل) :

كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَا لَكَ مُرَّةً عِنْدَ الْلِقَاءِ اسِنَّةٌ لَا تَنْكُلُ (٦)
فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَا رَأَتْ أَشْيَاعَهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحْوُلُ (٧)

(١) الحقيقة ما يجب على الانسان حمايته . اي دافعت عنها حتى الموت . ودونها بضم التون
صفة اي حميتها والموت قريب منها

(٢) اي لا خير في مال لا يصون صاحبه من الذم

(٣) قال شارح الحماسة : «يقول التجأتم الى الامير وقلمتم تركنا قوماً يقولون ولا يفعلون
فهم كاللحم الموضَّع تعلق الأطاع بتناوله وأخذه . وإن رُويَت «تركنا» على البناء على المجهول
كان المعنى ادعيت علينا لما اردتم مفارقتنا وخذلانا وقلمتم تركنا احدثونا للناس»

(٤) قال : «اي فلم يزدني قولكم الا ارتفاع محلّ ولم يزدكم في الناس الا تذلاً لان
من لا يصلح لشهرته لا يسكن اليه الناس البعداء

(٥) قال : «يجوز انه يريد لم ينخزل لمّا اتهم واحبرتم اصحابي الذين هم كالجن ولا فُلٌ
لساني الذي هو كالبرد ولا ذُعرٌ جأشي فصار طيري واقعة . يريد ذكاهُ ونشاطه . وبُشبهه
الرجل الدافذ في الامور بالجنّي والشيطان . ووقوع الطير كناية عن ضعفه»

(٦) نكَل جَبَن وضعف . ولا ابا لك تخفيض وليس بدعا .

(٧) يقول اصبحت حنيفة بعد ماثرها في الحرب تتقلب كبعض مشايعها وانصارها كما

يعرض للريح التي تتقلب احياناً

وروى ياقوت لموسى بن جابر (٤: ٩٥٥) (من المتقارب) :

فلا يَنْزُرْكَ فيما مَضَى مُخِيفٌ قُرَيْشٍ وَأَكْثَارُهَا
غَدَاةَ علا عَرْضَا خَالِدٌ وَسَالَتْ أَبَاضٌ وَهَدَّارُهَا
يريد محاربة خالد لمسيلمة الكذاب في قرية الهدار وبها كان مولده ونشأته فقتله
خالد ودخل اهل قرى اليمامة في صلح الهدار. وأباض وادى في اليمامة
وروى له صاحب مجموعة المعاني في باب النجدة والبأس (ص ٣٨) قوله (من الطويل) :
وَأَنَا لَوْ قَافُونَ بِالْمَوْقِفِ الَّذِي يُخَافُ رَدَّاهُ وَالنَّفُوسُ تَطْلَعُ
وَأَنَا أَنْعَطِي الْمَشْرِفَةَ حَتَّىهَا فَتَقْطَعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتُقْطَعُ
وفي حسانة البحتري (ص ٧١) روى قول موسى في ترك قطع الاخ القديم
للمستطرف (من مجزوء الكامل) :

لَا كُلُّ مُطَرِّفٍ هَوَايَ وَلَا مِنْ طَوْلِ صُحْبَةٍ صَاحِبِ أَقْلِي
فهذا كل ما صبر على الدهر من شعر ذلك «الشاعر المكثّر» والله اعلم
وروى الجاحظ لابن جابر في كتاب الحيوان (٤: ٩٣) قوله (من الرمل) :
طَرَدَ الْأَرُوى فَمَا تَشْرِبُهُ وَنَفَى الْحَيَاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَبْلِ
٣ شَمْعَلَةُ التَّغْلِي

اسمه ونسبه هو شمعة ويقال شمعل وقد فسروه بالخفيف النشيط. والناقاة
الشمعلة النشيطة السريعة. والاصح على ما نرجح ان هذا الاسم اعجمي كاسماعيل .
وبه عرف شاعر آخر يدعى شمعلة بن الاخضر النخعي. وأما نسبته فالشائع انه ابن
فائد بن ابي حجرة بن خيرى بن بني حدس بطن من بني لحم النصارى (اطلب
الاستقاق لابن دريد ص ٢٢٧) واختلف بعضهم في هذا النسب . قال ابن حبيب
(الاغالي ١٠ : ٩٩) انه شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني فائد وهم رهط
الفرس. وسماه في مجموعة المعاني: شمعل بن الحصين التغلبي

زمانه كان في اواسط عهد بني امية اعني في اواخر القرن السابع واول القرن

الثامن في أيام عبد الملك بن مروان وابنيه الوليد بن عبد الملك وهشام كما سيأتي من اخباره

﴿ مقامه ودينه ﴾ كان شمعة رئيساً لبني تغلب ذا قدر عظيم وفضل عظيم وهينة وجمال وبلاغة في المقال وشاعراً ظريفاً وكان نصرانياً عريقاً في دينه كقومه التغلبيين الذين ثبتوا بعد الاسلام على دينهم وكانوا يسكنون الجزيرة وعلى حدود الشام . وكان شمعة بصفة رئاسته على بني تغلب يتردد على عاصمة الشام ويدخل على الخلفاء .

﴿ استشهاده في سبيل دينه ﴾ قال شهاب الدين احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٨ م) في كتابه مسالك الابصار في مالک الانصار (من مخطوطات لندن 103-104 p. 575, Br. Mus.) : « شمعة بن فائد ذو نخوة دينية ، وحمية جاهلية ، وأنفة أساء فيها النية ، كان نصرانياً له أهبة بادية ، وقدر عظيم في البادية ، يُشار اليه ويُسار ، ويُغار له من رآه من عاقبة البرار ، والمصير الى النار ، فطالبه هشام بن عبد الملك بالاسلام لما رأى من فضله وجماله ، وما أعجبه من هيئته وإضاءة حاله ، وأحب له الدخول في الدين ، وأن يكون من المهتدين ، فامتنع وأبى ، وأتبع هواه ليكون لجهنم خطباً ، قال الله تعالى (سورة القصص ٥٦) : اِنَّكَ لَا تُهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . فقال له هشام : إن لم تفعل لأطعنك لحماً فقال شمعة : « ولو قطعني لما أسلمت على هذا الوجه . فلما خلى عنه قال اعداؤه : اطعمه هشام لحماً . فقال شمعة (من الطويل) :

أَمِنْ حَزَّةٍ فِي الْفَخْدِ مَنِي تَبَاشَرْتُ عِدَايَ (١) وَلَا نَقْصُ عَلَيَّ وَلَا وَتْرُ
وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَ الدَّرُّ لَا عَارٌ بِمَا صَنَعَ الدَّرُّ

وقد روى البرد في الكامل هذا الخبر ونسبه الى عبد الملك بن مروان قال (ص ٥٢٤) : « كَلَّمَ شَمْعُلُ التَّغْلَبِيَّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَلَاماً لَمْ يُرْضِهِ فَرَمَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْجُرُزِ فَخُذْ وَهُشَمَ (ويروى : هُتَمَ) فَقَالَ شَمْعُلُ (ثم روى البيتين هكذا) :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بِالرَّجْلِ مَنِي تَبَاشَرْتُ عُدَايَ فَلَا عَيْبُ عَلَيَّ وَلَا سُخْرُ

ويروى: **أَمِنْ** حَدَثَةٍ. ورواهُ في مجموعة المعاني (ص ١٠٤) : **أَمِنْ** ضَرِبَةً بِالرَّجْلِ .
وفي كتاب الآداب لِسِنَا الْمَلِكِ بْنِ جَعْفَرِ شَمْسِ الْخِلَافَةِ التُّوْغِي سَنَةِ ٦٠٨هـ (١٢١١م)
في نسخة لُنْدَن (ص ٢٢) ذَكَرَ الْخَبْرَ كَمَا وَرَدَ فِي كَامِلِ الْمَبْدُودِ وَيُروى هُنَاكَ : « **أَمِنْ**
جَذْبَةً بِالرَّجْلِ حِينَ تَمَضَّرَتْ . . . وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ . . . »

أَمِنْ جَذْوَةٍ ۖ بِالْفَخْذِ مِنْكَ تَبَاشَرْتُ
عِدَالِكَ ۖ فَلَا عَارُ عَلَيْكَ وَلَا وَزْرُ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَرَحَهُ
لَكَ الدَّهْرُ لَا عَارُ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ

[illegible]

وهذا تعريفه :

وقد روى أيضاً ابن العبري هذا الخبر في تاريخه الديوي الذي كتبه بالسريانية
ونشره المرحوم الاب بيجان اللعازري بالحرف الكلداني في ليسيك سنة ١٨٩٠
(ص ١١٥) ودونك تعريبه :

ومن ثم يترجح رأي هذين الكاتبين في نسبتها الى الوليد فلهذا مع شمعة وهما اعلم بامور النصارى من سواهما ولا سيما ان الوليد كان معروفاً بعبادته للنصارى وقد قتل كثيراً منهم في الجزيرة كما روى المؤرخون من الروم والسيريان . بل يقول عنه مؤرخو العرب انه كان جباراً ظالماً

٤ اعشى بني تغلب

﴿اسمه ونسبه﴾ يُطلق اسم الأعشى على نحو من عشرين شاعراً كما ترى في المزهرة للسيوطي (٢: ٢٢٩-٢٣٠) وفي شرح شواهد المغني له (ص ٨٦) وفي تاج العروس (١٠: ٢٤٣-٢٤٤). وقد كثرت التخليط في تعريف اسمائهم وكنائهم وقبائلهم. وربما اكتفى الادباء باسم الاعشى دون زيادة في التعريف. وانما أشهرهم الاعشى المعروف بالاعشى الأكبر وهو ابو بصير الميمون بن قيس وهو جاهلي (١). واسم الاعشى لقب يُطلق على السبي البصر من العشاء وهي ظلمة تعترض العين فلا تبصر ليلاً. واعشى بني تغلب قد اختلفوا في اسمه. جاء في الاغانى (١٠: ٩٨): «قال ابو عمرو الشيباني اسمه ربيعة». وقال ابن حبيب: اسمه النعمان بن يحيى. وفي الحاسة البصرية (١: ٨٧) «هو ربيعة بن نجران» وفي محل آخر «هو نعمان بن نجوان التغلبي» واسمه ربيعة. وفي المزهرة للسيوطي (٢: ٢٢٩): «الاعشى التغلبي اسمه نعمان بن نجران» وقال في التاج (٩: ٣٤٤). «هو النعمان ويقال ابن جاوران وهو في الاراقم». «أما نسبه فرفعه ابو الفرج في الاغانى الى نزار فقال: «النعمان بن عمرو (بن غنم) بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعي بن جديلة بن اسد بن ابي ربيعة ابن نزار». وكثيراً ما اشاروا اليه باسم «التغلبي» بلا زيادة.

﴿زمانه وموطنه﴾ قال في الاغانى: «هو من شعراء الدولة الاموية وساكني الشام اذا حضر واذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة». ومن المعلوم ان ديار تغلب كانت في بلاد ما بين النهرين في جوار ديار بكر في جنوبها على ضفة الفرات الشامية من الرقة والرصافة الى جهات سنجار وانحاء الموصل. عاش في اواخر القرن الاول ثم اوائل الثاني للهجرة وفي النصف الاول من القرن الثامن للمسيح في عهد الوليد بن عبد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز.

﴿دينه﴾ صرح به ايضاً صاحب الاغانى بقوله (١٠: ٩٨): «وكان نصرانياً» وعلى ذلك مات. ومثله قال صاحب الحاسة البصرية (١: ٨٧): «وكان نصرانياً» ﴿اخباره﴾ لم نعرف من اخبار اعشى بني تغلب الا القليل. وانما يستدل

من هذا القليل على علو مرتبته . فمن ذلك انه حظي عند خلفاء بني امية وعند اعيان زمانه . روى ابو الفرج عن ابن حبيب وابي عمرو (١٠ : ٩٩) ان الوليد بن عبد الملك كان محسناً الى اعشى بني تغلب . وقد مدح مسلمة بن عبد الملك اخا الوليد وصاحب الغزوات الكثيرة المتوفى سنة ١٢٣ هـ (٧٤٢ م) . وكذلك مدح بعض وجوه زمانه كمدرك بن عبدالله الكتاني

﴿ اخلافة ﴾ كان اعشى التغلبي ابياً فظاً الطباع اذا نخوة لا يرضى بالهوان فمن ذلك ما حدث به محمد بن حبيب عن ابي عمرو الشيباني (الاغاني ١٠ : ٩٨) قال : كان اعشى بني تغلب يُنادم الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم فشربا يوماً في بستان له بالموصل فسكر الاعشى فنام في البستان ودعا الحرُ بجواريه فدخلن عليه قُبته واستيقظ الاعشى فأقبل ليدخل القبة فأنعمه الخدم ودافعهم حتى كاد ان يهجم على الحر مع جواريه فلطمه خصي منهم . فخرج الاعشى الى قومه فقال لهم : لطمني الحر فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن ادعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن ابي سعدة فاقحموا الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الاعشى ثم رجعا فقال الاعشى (من الوافر) :

كَأَنِّي وَأَبْنُ أَدْعَجٍ إِذَا دَخَلْنَا عَلَى قُرَشِيكَ الْوَرَعِ الْجَبَانِ
هَزَبًا غَابَةً وَقَصَاحِمَارًا فَظَلًّا حَوْلَهُ يَتَنَاهَشَانِ
أَنَا الْحُشْمِيُّ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ عَشِيَّةَ رُعْتُ وَجَهَكَ بِالْبَنَانِ (١)
فَمَا يَسْتَطِيعُ ذُو مَلِكٍ عِقَابِي إِذَا اجْتَرَمْتَ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي
عَشِيَّةَ غَابَ عَنْكَ بَنُو هِشَامٍ وَعَثْمَانُ أَسْهًا وَبَنُو أَبَانِ
تَرَوْحُ إِلَى مَنَازِلِنَا قَرِيشُ وَأَنْتَ مُخَيَّمٌ بِالزَّرْقَانِ (٢)

والحرُّ المذكور هو الامير ابن يوسف بن يحيى بن الحكم بن ابي العاص بن امية من وجوه قريش واليه يُنسب نهر الحرِّ بالموصل لانه حفرة (التاج) . وقد ولي مصر

(١) اي لطمتك . وقوله « انا حُشْمِي » اي مثلي يفعل ذلك بمثلك (الاغاني)

(٢) (قال) الزرقان قرية كانت للحمر بسنجار

ثلاثستين من قبل هشام سنة ١٠٥-١٠٨هـ (٧٢٣-٧٢٦م). وروى أيضاً ابن حبيب عن ابي عمرو قال (الاغاني ١٠: ٩٩): «وكان الوليد بن عبد الملك محسناً الى اعشى بني تغلب فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليه يدعوه فلم يعطه شيئاً وقال: «ما ارى للشعر في بيت المال حقاً ولو كان لهم فيه حق لما كان لك لأنتك امرؤ نصراني» فانصرف الاعشى وهو يقول (الحجاسة البصريّة ٩: ٨٧) (من الطويل):

لعمري لقد عاش الوليدُ حياته إمامٌ هدى لا مُستزاد ولا نَزُرُ
كانَ بني مروانَ بعدَ ولیدِهِم (١) جَلاميدُ لا تَندي (٢) ولو بَلَّها القَطُرُ
وكانوا أناساً يُتَّحَوْنَ فأصبحوا واكثرُ ما يُعطونك النظرُ الشَّرُّ
ألم يكُ عذراً ما فعلتم بِشَمَلٍ وقد خاب من كانت أمانِيه القَدَرُ
وكانن دَفَعنا عنكم من عَظيمة ولكن ابِتم لا وفاء ولا شُكرُ
فان تكفروا ما قد فعلتم فَرُبَّما أتيحَ لَكم قَسراً بأسيافنا النَصْرُ

وشمل المذكور هنا هو الشاعر الذي مرَّ وصفه الذي امر الخليفة الاموي بقطع جذوة من فيخذه اذ لم يشأ ان يحدد دينه النصراني (راجع الصفحة ١١٨-١٢٠ من العدد السابق). وفي كتاب الاغاني يُنسب الى اعشى تغلب البيتان اللذان رويناها هناك (ص ١٨٠)

ومما انشده اعشى تغلب قوله يذكر وقائع جرت بين بني تغلب وبين شيان وكان مالك بن مسمع رئيس بني بكر معاوناً في بعضها لبني شيان فقمده عنهم فقال الاعشى في ذلك (من الطويل):

بني أمانها لا فان نفوسنا نمت عليكم عَثَبها ومَصالها
وترعى بلا جهل قرابة بيننا وبينكم لما قطعتم وصالها
جزى الله شيباناً وتيماً ملامةً جزاء المسيء سعيها وفعلها

أَبَا مَسْمَعٍ مَنْ تُنْكَرِ الْحَقَّ نَفْسُهُ وَتَعْجِزُ عَنِ الْمَعْرُوفِ يَعْرِفُ ضَلَالَهَا
 أَوَّقَدْتَ نَارَ الْحَرْبِ حَتَّى إِذَا بَدَا لِنَفْسِكَ مَا تَجْنِي الْحُرُوبُ فَهَالَهَا
 نَزَعْتَ وَقَدْ جَرَّدَتْهَا ذَاتَ مَنْظَرٍ قَبِيحٍ مَهِينٍ حَيْثُ أَلَقْتَ حَلَالَهَا
 أَلَسْنَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ سَعِيرُهَا وَكَانَ سَفِيحُ الْمَشْرِقِ صَلَالَهَا
 أَجَارَتْنَا حِلٌّ لَكُمْ أَنْ تُنَازِلُوا مَحَارِمَهَا وَأَنْ تُتْجِزُوا حَلَالَهَا
 كَذَبْتُمْ يَمِينَ اللَّهِ حَتَّى تُعَاوِرُوا صُدُورَ الْعَوَالِي بَيْنَنَا وَنِصَالَهَا
 وَحَتَّى تَرَى عَيْنُ الَّذِي كَانَ شَامِتًا مَزَاحِفَ عَقْرِى بَيْنَنَا وَمَجَالَهَا

﴿شعر الاعشى التغلبي﴾ ان القليل مما بقي من شعر الاعشى التغلبي ينسب بحسن ذوقه ومثاقفه ما يجعله اهلاً بشعراء زمانه المفلقين . وقد تعنى المغنون ببعض ما انتجته قريحته فمن ذلك ما روى له صاحب الاغانى وهما البيتان التابعان (من الكامل) :

دَارُ لِقَا تِلَّةِ الْفَرَاقِ (١) مَا بَهَا غَيْرُ الْوَحُوشِ خَلَّتْ لَهُ وَخَالَهَا
 ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمُتَيْمِ مَا بِهِ (٢) وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا

قال : « الشعر لاعشى بنى تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويعين الاخطل عليه . وفيه صوت والغناء لعبدالله بن العباس . . . وقد بقي من القصيدة المذكورة بعض الابيات رويت في ديوان الاخطل (ص ٣٢٠-٣٢١ من طبعة الاب انطون صالحاني) وفي الحماسة البصرية (٢ : ١١٧) وهي هذه :

رَحَلَتْ أُمَامَةُ لِلْفِرَاقِ جِمَالَهَا كَيْمَا تَيْنُ وَمَا تُحِبُّ (٣) زِيَالَهَا
 هَذَا النَّهَارَ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهَا مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالَهَا

(١) ويروى : لقائصة الفرائق (٢) ويروى : ما له (٣) رَحَلَ

الجمَلَ حَطَّ عَلَيْهِ الرَّحْلَ . ويروى : رحلت سلامة . ورحلت سُمَيَّة . ويروى : فما تُريد

الحسنُ آلفها ببيت ضجيعها وتظلُّ قاصرةً عليه ظلالها (١)
ولئن أمانةً فارقت أو بدلتُ ودأً بودك ما صرمتَ حبَّالها
ولئن أمانةً ودعتك ولم تخنُ ما قد علمتَ لتدركنَّ وصالها
إربعُ على دمنٍ تقادمَ عهدُها بالجوفِ واستلبَ الزمانُ جلالها (٢)
كانتُ تريك إذا نظرتُ أمامها مجرى السُّمُوطِ (٣) ومرةً خلخالها
دع ما مضى منها فربُّ مُدامةٍ صهباءَ عاريةٍ القذى سلسالها (٤)
باكرتها عند الصباح على نُجى (٥) ووضعتُ غيرَ جلالها ائثالها
صبَّحَها غرُّ الوجوه غرائقاً من تغلبَ الغلباء لا أسفالها
إخساً اليك جريرُ أنا معشرُ نلنا السماءَ (٦) نجومها وهلالها
ما رامنا ملكٌ يُقيمُ قناتنا ألا استبحنا خيله ورجالها

ومما رواه الجاحظ في البيان والتبيين (١: ٢١٥) لاعشى بني تغلب (٧) ومثله امين
الدولة محمد الافطسي في كتاب المجموع اللفيف (Ms de Paris, 3388, ff. 147^v)
قوله (من البسيط) :

ما ضرَّ غازي زار أن يفارقه كلبٌ وجرم إذا ابناؤه اتفقوا
قالت قضاةُ أنا من ذوي يمن الله يعلم ما برؤا (٨) ولا صدقوا

- (١) وفي الحاشية البصرية بعد هذا « ظلت تسائل » البيت
- (٢) إربع أي أعطى وُجَّع. والجوف اسم مكان واصله المطمئن من الارض. وبعد هذا
البيان اللذان فيهما الصوت « دار لقاتلة . . » ويروى : دمن لقاتلة الغرائق . . ألا الوحوش «
الغزنوي طائر مائي ايض يستنار للشباب الحسن. ويروى : بكرت تسائل والحلال القوم النزول
- (٣) مجرى السُّمُوط اي موضع القلادة والعسق
- (٤) بالاقواء. السلسال اللينة
- (٥) النجى جمع نجوة المرتفع من الارض
- (٦) ويروى : منأ السماء (٧) وفي الاصل
ابن ثعلبة. وهو غلط اصلحه الافطسي
- (٨) وفي نسخة باريس : وما برؤ

يزدادُ لحمُ المناقي (١) في منازلنا طيباً اذا عزَّ في اعدائنا المرقُ
وما خطبنا الى قومٍ بنايتهمُ إلا بأرعنٍ في حافاتهِ الخرقُ

واليه نسب ابن عبد ربّه في وصف يوم ذي قار الايات التالية في العقد الفريد
(١١٧:٣) وفيها ابيات تُروى في معلقة عنتره (من الكامل) :

ولقد رأيتُ اخاكُ عمرًا مرّةً يَفْضِي وُضِيعِهِ بذاتِ العِجْرِمِ
في غمرة الموت التي لا تشكي غَمَرَاتِهَا الْإِبْطَالُ غيرَ تَعْمُغُمِ
وكأنما أقْدَمُهمُ وأكْفَهُمُ سِرْبٌ تَسَاقَطَ في خَلِيجٍ مُفْعَمِ
لَمَّا سَمِعْتُ دُعَاةَ مرّةٍ قد علا وَاثِي رُبِيعَةٍ في الْعِجَاجِ الْأَقْتَمِ
وَمَحَلِّمْ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِمُ وَالْمَوْتُ تَحْتَ لَوَاءِ آلِ مُحَلِّمِ
لا يَصْرِفُونَ عَنِ الْوَعَى بوجوههم في كلِّ سَابِغَةٍ كلونِ الْعِظْلَمِ
ودعتُ بنو أمِّ الرقاع فأقبلوا عِنْدَ الْإِقْلَاءِ بِكُلِّ شَاكٍّ مُعْلَمِ
وسمعتُ يَشْكُرُ تَدْعِي بِجَبِيبِ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ وَهِيَ تَقْطُرُ بِالْدمِ
يَمْشُونَ فِي الْحَلَقِ الْجَدِيدِ كَمَا مَشَتْ أَسْدُ الْعَرَيْنِ بِيَوْمِ نَحْسٍ مُظْلَمِ
والجمعُ من ذُهلٍ كَأَنَّ زُهَاءَهُمُ جُرْبُ الْجَمَالِ يَقْوِذُهَا أَبْنَاءُ قَشْعَمِ
والخيلُ من تحتِ الْعِجَاجِ عَوَابِسًا وَعَلَى مَنَاسِجِهَا سَحَابٌ مِنْ دَمِ

وقال في الجاهليّة يشكو ضرائب ومكوس ملوك العرب (كتاب الحيوان
للجاحظ ٤٤:٦) (من الطويل) :

ألا تستحي منّا ملوكٌ وتَتَّقِي محارمنا لا يبرأ الدّمُ بالدمِ

وفي كل أسواق العراق إتاوةٌ وفي كل ما باعَ امرؤُ مكسُ درهم
وروى له أيضاً (١٦٩: ٥) في وصف القطا قال وهي أجود قصيدة قيلت في
القطا (من الطويل) :

ثلاثٌ مروراتٌ يُجاذبُها القطا	ترى الفرخَ في حافاتِها يتحرَّقُ
يظلُّ بها فرخُ القطاة كأنَّهُ	يتمُّ ينجيه مواليه مطرِقُ
بدَيِّمةٍ قد بات فيها وعينه	على موته تُفسي راراً وترفقُ
شبيهٌ بلا شيءٍ هنالك شخصه	يواريه فَنَكُّ حوله مُتَفَلِّقُ
لَهُ مَحْجَرٌ نَابٍ وعينٌ مريضةٌ	وَشِدْقٌ بِشَلِّ الزعفرانِ مُخَلَّقُ
تُناجيه كحلأٍ المدامعِ حرَّةُ	لها ذنبٌ ساجٍ وجيدٌ مطوقُ
سَمَاكِيَّةٌ كَدْرِيَّةٌ عَرْعَرِيَّةٌ	شكَّالِيَّةٌ عفراءُ سمراءُ سَمَلَقُ
إذا غادرتُهُ تبتغي ما يُعيشُهُ	كفاها رزاياها النجاءُ الهَبَقُ
عدتْ تستقي من منهلٍ ليس دونه	مسيرةٌ شهرٍ للقطا مُتَعَلِّقُ
لأزغب مطروحٍ بجوزِ تنوفةٍ	تَأْطِي سَمُوماً قِيظُهُ فهو أَوْرَقُ
تراه إذا أُمسى وقد كاد جلدُهُ	من الحرِّ عن أوصاله يتمزَّقُ
غدَّتْ فاستقلتْ ثمَّ وأتْ مُغيرَة	بها حين تَرَاهَا الجناحانِ أَوْلَقُ
تيمُّ ضَحَضَاحاً من الماء قد بدتْ	دعاميضُهُ في الماء أطلحُ أطرَقُ
فلما أَتَتْهُ مُشدِّحاً تقرَّبَتْ	تَقَرَّبَ مجنونٌ فتطفو وتغرقُ
تجرُّ وتُلْقَى في سِقَاءٍ كأنَّهُ	من الحنظلِ العامِّيِّ جزءٌ مُفَلَّقُ
فلما ارتوت من مائها لم يكن لها	إناةٌ وقد كادت من الرمي تبَعُ

طَمَتْ طَمْوَةٌ صُعْدًا وَمَدَّتْ جِرَانَهَا وَطَارَ كَمَا طَارَ السَّحَابُ الْمَحْلِقُ

هذا ما أمكننا جمعه من آثار ذلك الشاعر وكفى به دليلاً على فضله

٥ اعشى بني ابي ربيعة

﴿ اصله ونسبه ﴾ كان هذا الأعشى معاصراً للأعشى تغلب يشبهه في دينه وانتمائه الى الدولة الاموية . اسمه عبدالله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيان . وقد عُرف بأعشى ربيعة او اعشى بني ابي ربيعة . واو ربيعة احد اجداده عُرف بالزُدَاف قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٥) : « سُيَ الزدلف لانه قال لقومه وهو في حرب : اذلفوا قيد رحى اي اقتربوا . وينتمي الاعشى الى بني شيان الذين ثبتوا مدةً على نصر انيتهم بعد الاسلام . وكنيته ابو عبدالله وجاء في حماسة ابي تمام (٢ : ٧٧٣) : اعشى بني ربيعة من بطن منهم يقال لهم بنو أمامة . وأما السيوطي في المزه (٢ : ٢٢٩) فانه زعم ان اسم اعشى بني ربيعة صالح بن خارجة ﴿ اخباره ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (١٦ : ١٦٠) : « هو شاعر اسلامي (اي عاش بعد الجاهلية) من ساكني الكوفة وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني امية » . وقدم الاعشى الشام ودخل على الخلفاء الاويين في دمشق فدحهم ونال صلاتهم وقد تردد خصوصاً على عبد الملك بن مروان وعلى سليمان بن عبد الملك فعاش الى أيام الوليد بن عبد الملك

ومن اخبار اعشى بني ابي ربيعة مع عبد الملك ما اخبره في الاغاني (١٦ : ١٦٣) قال : دخل اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده قوله (من الوافر) :

رَأَيْتُكَ أَمْسَ خَيْرَ بَنِي مَعَدٍّ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسَ

وَأَنْتَ غَدًا تَرِيدُ الضَّعْفَ ضِعْفًا كَذَلِكَ تَرِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ

فقال له : من اي بني ابي ربيعة انت ؟ (قال) فقلت له : من بني أمامة . قال : فان أمامة ولد رجلين قيساً وحارثة فاحدهما نَجَمَ والآخر حَخَلَ . (قال) فقلت : انا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر توأمته . (قال) فقام بخصرة في يده ففصرها في

بطني ثم قال : يا اخا بني ربيعة همؤوا ولم يفعلوا فاذا حدثتني فلا تكذبني . فجعلت له عهداً ألا احدث قرشياً بكذب ابداً

واخبر ايضاً ان اعشى دخل على عبدالله وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد فقال له : يا امير المؤمنين ما لي اراك متلوماً ينهضك الحزم ويثقلك الغرم . واثمهم بالإقدام وتجنح الى الإحجام . انفذ لنصرتك وأرض رأيك وتوجه الى عدوك فجدك مقبل وجده مدبر . واصحابه له ماقتون ونحن لك محبون . وكلهم متفرقة وكلثنا عليك مجتمعة والله ما نؤتى من ضعف جنان ولا قلة اعوان . ولا يثبطك عنه ناصح ولا يجردك عليه غاش وقد قلت في ذلك ابياتاً . فقال : هايتها فانك تنطق بلسان وذود وقلب ناصح . فقلت (من الكامل) :

آل الزبير من الخلافة كالتى عجل النجاج بحملها فأحالها
او كالضعاف من الحموله جمات ما لا تطيق فضيعة احمالها
قوموا اليهم لا تناموا عنهم كم للنواقر اطلتم إهمالها
ان الخلافة فيكم لا فيهم ما زلتم أركانها واثمالها
أمسوا على اخيرات قفلاً مغلقاً فانهض بيمك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال : « صدقت يا ابا عبدالله ان أبا حبيب (هذه كنية عبد الله ابن زبير) اتقى دون كل خير ولا تتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل » . وامر له بصلوة سنينة

وروى العباس بن هشام عن ابيه قال : قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : ما الذي بقي منك ؟ قال انا الذي اقول (١) (من الطويل) :

وما انا في أمري ولا في خصومي بمهضم حقي ولا قارع سني (٢)

(١) وفي حاشية الى تمام (ص ٧٧٣) ان عبد الملك قال له : يا ابا المغيرة ما بقي من شعرك ؟ فقال : يا امير المؤمنين لقد بقي منه وذهب على آني الذي اقول . . . (٢) وبرى :

وما انا في حقي ولا في حليقي بمهضم حقي ولا فارغ فرقي
(قال) في حقي اي في ما استحق من الناس

ولا مُسْلِمٍ مَوْلَايَ عِنْدَ جَنَايَةٍ ولا خَائِفٍ مَوْلَايَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنِي (١)
وَأَنْ فَوَّادًا بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالَمٌ بَمَا أَبْصَرْتَ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتَ أُذْنِي
وَفَضَّلَنِي فِي الشَّعْرِ وَاللُّبِّ أَنَّي أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْرِفُ مَا أَعْنِي (٢)
فَاصْبَحْتُ إِنْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ آبٍ وَابْنِ

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا . وامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة ثوبت
ثياب وعشر فرائض من الابل واقطعه الف جريب وقال له : امض الى زيد الكاتب
يكتب لك بها واجري له على ثلثين عبلاً فاقى زيدا فقال له : انتني غداً . فأتاه فجعل
يردده فقال له (من الرجز) :

يَا زَيْدُ يَا فَدَاكَ كُلُّ كَاتِبٍ فِي النَّاسِ بَيْنَ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ
هَلْ لَكَ فِي حَقِّكَ عَلَيْكَ وَاجِبٍ فِي مِثْلِهِ يَرْغَبُ كُلُّ تَاعِبٍ
وَأَنْتَ عَفٌّ طَيِّبُ الْمَكَاسِبِ مُبْرَأٌ مِنْ عَيْبٍ كُلِّ عَائِبٍ
وَلَسْتَ إِنْ كَفَيْتَنِي وَصَاحِي طَوَّلَ عُذْوٍ وَرَوَّاحٍ دَائِبٍ
وَسَدَّةُ الْبَابِ وَعُغْفُ الْحَاجِبِ مِنْ نِعْمَةِ اسْدِيَّتِهَا بَخَائِبٍ

فأبطأ عليه زيد فاقى سفيان بن الابرود الكلبي فكلّمه سفيان فأبطأ عليه فعاد
الى سفيان فقال له (من البسيط) :

عُدْ إِذْ بَدَأْتَ بِحُسْنِي فَانْتَ لَهَا وَلَا تَكُنْ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَيَّابَا
وَأَشْفَعُ شَفَاعَةَ أَنْفٍ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا فَانْ مِنْ شُفْعَاءِ النَّاسِ أَذْنَابَا

(١) ويروى : من شرّ ما جرى . ويروى : ما جرى . (قال) اي اذا جنى ابن عمي جناية لم اخذله
ولكنني ادفع عنه ولا الزمة جنايتي . وفي هذين البيتين غناء لابراهيم الموصلي
(٢) ويروى : وفضلني في القول . . من اعني

فأتى سفيان زيدا الكاتب ولم يفارقه حتى قضى حاجته . وذكر البلاذري في كتاب الاشراف (ص ٣٤٠ ، ed. Ahlwardt, B^l XI, ٣٤٠) أن اعشى بني ابي ربيعة قال شعراً يحث فيه عبد الملك على بيعة الوليد ويخلع اخيه عبد العزيز (من المنسرح) :

ابنك أولى بملك والده وعمه إذ عصاك مطرح
ورثت عثمان وابن حرب ومر وان وكل لله قد نصحوا
فعيش حميداً واعمل بسنتهم تكن بخير واكدح كما كدحوا

(قلنا) وهذه الابيات تروى مع بعض اختلاف في الرواية لتابعة بني شيان من جملة قصيدة طويلة (اطلب الصفحة ١٣٨-١٣٩)

ومما روى ابو فراس عن خداس (الاغاني ١٦ : ١٦٣ حساسة ابي تمام ٧٧٣) ان اعشى بني ربيعة دخل على سايان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال (من الطويل) :

أتينا سليمان الامير نزوره وكان امرأً يجي ويكرم زائره
إذا كنت بالنجوى به متفرداً فلا الجود مخليه ولا البخل حاضره (١)

كلا شافعي سؤاليه من ضميره عن الجمل ناهيه وبالجملم أمره (٢)

فأعطاه واكرمه وامر كل من كان يحضرته من قومه ومواليه بصاته فوصلوه فخرج وقد ملا يديه

وكان الاعشى في الكوفة لما تولى الحجاج على العراق سنة ٧٥ هـ فوجد منه الحجاج ما كرهه . قال ابن حبيب (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : « كان الحجاج قد جفا الاعشى وأطرحه حالة كانت عند بشر بن مروان . فلما فرغ الحجاج من حرب الجاهم (٣) ذكر فتنة ابن الاشعث وجعل يوبخ اهل العراق ويؤتبههم فقال من حضر من اهل البصرة :

(١) قال في الحساسة (٧٧٤) : النجوى المسارة . يقول : اذا وقعت في خاطره وانفردت بتناجاته فالجود نصب عيني والبخل غائب عن همي

(٢) وفي الاغاني : « فلا شافعي » وهو تصحيف . (قال) جعل للسوءال شافعين وكلاهما ينهأ عن البخل وأمره بالبذل

(٣) الجاهم مكان قرب الكوفة عنده كانت وقفة محمد بن الاشعث مع الحجاج سنة ٨٢ هـ (٧٠١) قيل انه دعي بالجاهم لكثرة من قتل يوفقي من مجاهم بناء

ان الرب والفتنة بدأ من اهل الكوفة وهم اول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية . فقال اهل الكوفة : لا بل اهل البصرة اول من اظهر المعصية مع جرير بن هميان السدوسي اذ جاء من الهند . واكثروا من ذلك فقام اعشى بنى ابي ربيعة فقال : « أَصْلَحَ اللهُ الْإِمِيرَ لَا بَرَاءَ مِنْ ذَنْبٍ وَلَا ادْعَاءَ عَلَى اللَّهِ فِي عَصْمَةِ أَحَدٍ مِنَ الْمَصْرَيْنِ قَدْ وَاللَّهِ اجْتَهَدُوا جَمِيعًا فِي قِتَالِكَ فَأَلَى اللَّهِ إِلَّا تَصْرَكَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَزَعُوا وَصَبَرْتَ وَكَفَرُوا وَشَكَرْتَ وَغَفَرْتَ إِذْ قَدَرْتَ فَوَسَّعَهُمْ عَفْوُ اللَّهِ وَعَفْوُكَ فَجَنَحُوا فَلَوْلَا ذَلِكَ لِبَادُوا وَهَلَكُوا » . فسر الحجاج بكلامه وقال له جميلًا وقال : تهيأ للوفادة الى امير المؤمنين حتى يسمع هذا منك كفاحًا

وحدث حماد بن اسحاق عن ابيه قال (الاغاني ١٦: ١٦٢) : بلغ الحجاج ان اعشى بنى ابي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود (١) فغضب عليه فقال يعتذر اليه (من الطويل) :

أَبَيْتُ كَأَنِّي مِنْ حِذَارِ بْنِ يَوْسُفَ طَرِيدُ دَمٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ
وَلَوْ غَيْرُ حَجَّاجٍ أَرَادَ ظُلَامَتِي حَمَتْنِي مِنَ الضِّيمِ السِّيُوفُ الْفَوَاتِكُ
وَقَتَّانُ صَدَقَ مِنْ رَبِيعَةٍ قَصْرَةٌ إِذَا اخْتَلَفْتَ يَوْمَ الْلِقَاءِ النِّبَازُكُ
يُحَامُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ بِسِيُوفِهِمْ وَارْمَاحُهُمْ وَالْيَوْمُ أَسْوَدُ حَالِكُ

فرضي عنه . وكان بين اهل الكوفة رجل شهير بفضله وكرمه وهو اسماء بن خارجة . اشتهر وفيه يقول عبدالله بن زبير يثني على جوده :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ أَرْسَلَ فَانْتَقَى حَلِيفَ صَفَاءٍ وَانْتَلَى لَا يَزِيلُهُ
تَحْيِيرَ اسْمَاءَ بْنِ حَصْنٍ فَبُطِنَتْ بِفَعْلِ الْعَلَا أَيْمَانُهُ وَشَانُلُهُ
وَلَا مَجْدَ إِلَّا مَجْدُ اسْمَاءَ فَوْقَهُ وَلَا جَرِيَّ إِلَّا جَرِيَّ اسْمَاءَ فَاضِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جَنَّتْهُ تَهَلَّلَا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ نَائِلُهُ

(١) عبدالله بن الجارود العبدي من اهل البصرة خالف الحجاج بن يوسف والي العراق في امر وثبه وجوه الناس فاقتتلوا قتلاً شديداً فقتل ابن الجارود وجماعة من اصحابه سنة ٥٧٥ هـ

ولو لم يكن في كفه غيرُ روحه لجادَ بها فليتنَّ اللهَ سائلُ

وقد امتدح اعشى بني ابي ربيعة اسما المذكور فأعطاهُ وكساهُ فقال (من الوافر) :

لأسماء بنِ خارجة بنِ حصنٍ على عبءِ النوائبِ والغرامِ
أقلُّ تعلُّلاً يوماً وبُخلاً على السؤالِ من كعب بنِ مامة (١)
ومصقلةً الذي يتباعُ يبعاً ربيعاً فوق ناجية بنِ سامه (٢)

ومن شعره ما رواه له الطبري في تاريخه يذكر يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على العجم (من الوافر) :

ونحنُ غداة ذي قار أقمنا وقد شهد القبائلُ مجلبينا
وقد جاؤوا بها جأواءً فلقاً مللمةً كتائبها طحونا
ليوم كريمة حتى تجأت خلال دُجَاهُ عَنَّا مُصْلِتينا
فولونا الدوابَّ وأثْمُونا بنعمان بنِ زُرْعَة أكتعينَا
وذذنا عارضَ الأحرارِ ورداً كما وردَ القطا الشَّدَّ المعينَا

واعلم ان اعشى بني ابي ربيعة يُدعى ايضاً «اعشى شيبان» فينسب الى هذا ما ينسبهُ آخرون الى ذلك فهذا الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٥١) قد نسب الى اعشى بني شيبان ما رواه في الاغاني والحلماسة لاعشى بني ابي ربيعة . ومن ثمَّ نَظُنُّ ان ما ينسب في بعض التأليف لاعشى بني شيبان هو لاعشى بني ربيعة الشيباني كالذي جاء مثلاً في تاريخ الطبري (٢ : ١١٧٧) وفي كتاب انساب الاشراف للبلاذري (ص ٢١٣) :

(١) كعب بن مامة هو الايادي الذي اعطى في البرية حصنة من الماء رجلاً طلبها منه فات هو عطشاً وصُرب الذلَّ عودم (٢) مصقلة هو مصقلة بن هبيرة البكري (اطلب اخباره في المشرق ١٢ [١٩١١] : ٨٢٨-٨٢٩) . وناجبة قبيلة من العرب ينسبون الى ناجية بن سامه وقيل بل ناجية امهم . قال الكلبي : جعل الاعشى ناجية رجلاً وهي امرأة لضرورة الشعر .

وهو في معنى ما ذكر سابقاً من اقوال اعشى بني ربيعة لعبد الملك (من مجزوء الكامل) :

عرفت قریش^(١) كلها لبني ابي العاص الإماره
لأبرها وأحفظها عند المشورة بالإشارة
المانعين^(٢) لما ولوا والنافعين ذوي الضراره
وهم احقهم بها^(٣) عند الحلاوة والمراره
وفي حماسه البحري (ع ٤٨٣) قوله في الشامة وعاقبتها (من الوافر) :
إذا ما المرء غالت شُعبُ فإلشامتین به خلودُ
وريبُ الدهر بالانسانِ جمُ ولا تُنجي من التلّفِ الجدودُ

والى اعشى بني شيان ينسب أيضاً في بعض المخطوطات قوله في المقايسة بين امور الزمان (من السريع) :

يا ايها السائل عن ما مضى من ريب هذا الزمنِ الذاهبِ
ان كنت تبغي العلم او نحوه او شاهداً يُخبر عن غائبِ
اعتبر الارضَ باسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ
وكذلك ينسب الى اعشى شيان في كتاب الكتاب للصولي (ص ١٧٧) قوله
(من البسيط) :

يا عمرو أقصد نواك الله بالرشد وأقر السلام على الأبقاء والقصد^(٤)
وبك عيشاً تولى بعد جدته طابت أصائله في ذلك البلدِ

(١) ويروى: عرفت أمية (٢) ويروى: والثابنين

(٣) ويروى: وهم احق بيارها

(٤) ورد هذا البيت في اللسان (٢٢٢: ٣٠) وفي التاج (٢٧٦: ١٠) وروايتها : يا عمرو أحسن. وروى في الصحاح: على الذأفاء بالضم. ويروى الزلفاء بالزاي. على الأبقاء والتسمد.

قالوا: نواك الله اي حفظك وصحبك في سفرك

٦ مَرْقَس الطائي

نضيف الى الاعشىين التغلبي والشيباني احد الطائيين الذي عُرف في عهدهما
وذكر في شعره حرب الحرورية في أيام علي بن ابي طالب . ألا وهو مَرْقَس الطائي .
وكفى باسمه دليلاً على نصرانيته

«اسمه ونسبه» هو احد بني طي اليمنيين الذين تكرر ذكر تنحصرهم (اطلب
كتابنا النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص ١٢١-١٢٢ و ١٣٢-١٣٣) .
أما اسم مَرْقَس هذا فذكره في التاج (٤: ١٦٣) فقال : « مَرْقَس كَمَقْعَد بفتح الميم
والقاف ويقال بضم القاف مَرْقَس » . (قلنا) وهذا الصواب وهو اسم نصراني صريح
وتعريب اسم الانجيلي الشهيد القديس مَرْقُس (١) . (قال) « واسمه عبد الرحمان »
(قلنا) وفي هذا دليل على ان النصارى كانوا يتخذون لهم اسمين اسماً في العباد يدل
على نصرانيتهم واسماً آخر يُعرفون به . وهكذا كان يفعل بزماننا ايضاً كثيرون من
النصارى . وقال في التاج ان الصواب في اسمه « عبد الرحمان بن مَرْقَس » أما في
الحماسة فقال « ان اسمه عبد الرحمان ولقبه مرقس »

وقد ذكر المبرد نسبة في الكامل (٥٦٣-٥٦٤) وابو تمام في الحماسة (ص ٢٩٧)
قالا : « كان من طي واسمه عبد الرحمان احد بني مغن بن غنود اخي بُحتر ثم احد
حُتي (ويروى حُتي) بن مغن من بني طي كالي زبيد السابق ذكره وقد أجمع الكتبة
كلهم بانه «شاعر طائي» لكنهم لم يرووا له من الشعر إلا ابياتاً من الرجز اثبتها ابو
تمام في حماسته (ص ٥٦٣-٥٦٤) قالها في اقام بني مغن الحرورية والحرورية قوم من
الخوارج قاتلوا علي بن ابي طالب مع نجدة بن عامر الحنفي نسبوا الى حروراء قرية
تبعد ميلين عن الكوفة كانوا اجتمعوا فيها فقال مرقس يذكر قومه (من الرجز) :

قد قارعتَ معن قِراعاً صلباً قِراع قوم يحسنون الضرباً

(١) ومن الشعراء النصارى الذين ذكرناهم سابقاً في «شعراء النصرانية» (ص ٢٨٢)
المرقس الاكبر . وله ابن اخ يُعرف بالمرقس الاصغر قالوا انه دُعي بذلك ليت قاله :
الدار قمر والرسوم كلها رقت في ظن آدم قسائم

واعلم الصواب ان « المرقس » صورة اخرى لاسم «مرقس»

تَرَى مع الروعِ الْفُلَامَ الشَّطْبَا اذا أَحْسَّ وَجَعًا او كَرْبًا (١)
 دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا تَمْرُسَ الْجَرْبَاءِ لَا قَتَ جُرْبًا (٢)
 هذا ما امكنا الوقوف عليه من اخبار وشعر هذا الطائي اثبتناه هنا مع قائله

٧ نابغة بني شيبان

﴿ اسمه ونسبه ﴾ ذكره أبو الفرج في الاغاني (٦: ١٥١) فقال : « اسمه عبدالله ابن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس بن سنان بن حماد بن جارية بن عمر بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن ابي بكر بن وائل ثم أوصله بربيعة بن نزار . وقد وقع بعض اختلاف باسمه ونسبه . قال السيوطي في المزهري (٢٢٩) عن ابن دريد « نابغة بني شيبان حمل بن سعدانة » (كذا) . ودعاه الزمخشري في الكشف (ص ٤١) : « النابغة الذهلي » و فرق بينه وبين النابغة الشيباني الذي يدعوه « حمل بن سعد » . ودعاه صاحب مجموعة المعاني (ص ١٤٠) « عبدة الله بن مخارق » وسماه « كثير بن مخارق » . وجاء في تاج العروس (٦: ٣٢) انه « عبدالله بن مخارق بن سليم بن حصرة (وفي ديوانه : خضرة) بن قيس بن شيبان (لا سنان كما ورد في الاغاني) بن حماد بن حارثة (لا جارية كما ذكر في الاغاني) . وروى في ديوانه : « بن حارث ») ولم يذكر « ذهلاً » في السلسلة

﴿ جنسه ودينه ﴾ قال في الاغاني : انه « شاعر بدوي » . كان يُقيم كما نظن في حدود الشام مع قومه بني شيبان ويتردد على مدنها . فهو يذكر في شعره دمشق وبعلبك . أما دينه فقال عنه أبو الفرج : « وكان فيما ارى نصرانياً لاني وجدته في شعره يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى » . وكذلك قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms de Paris, 2432, f. 79) : « قيل انه كان نصرانياً » . ويدعوه عبد العزيز بن مروان (الاغاني ٦: ١٥٢) « بابن النصرانية »

(١) الشَّطْبُ السَّيْطُ العظام الخفيف اللحم . (قال) وأكثر ما يستعملون هذا الوصف بالهام . يقولون فرس شطبة (٢) اي لا يتأخر عن الدنو من العدو بل يزداد مع الروع اقترباً لمحاربته . والتمرس التحرك . اي تمرس المشي بثلثه كالشاة الجرباء اذا لاقت مثلها

﴿زمانه واخباره﴾ نبغ نابغة بني شيان في اواخر القرن الاول وفي القسم الاول من القرن الثاني للهجرة اعني ختام القرن السابع وفي شطر من القرن الثامن للمسيح. قال صاحب الاغاني : « كان النابغة من شعراء الدولة الاموية وكان ينفذ الى الشام الى خلفاء بني امية يمدحهم فيجزلون عطاءه٠٠٠ ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده٠ »

ومن اخباره مع عبد الملك (٦٥-٨٦ هـ = ٦٨٥-٧٠٥ م) ما حدث به العمري عن العتي (الاغاني ٦: ١٥١) والصفدي في فوات الوفيات قالا: لما همَّ عبد الملك بخلع اخيه عبد العزيز وتولية الوليد ابنه العهد وكان نابغة بني شيان منقطعاً الى عبد الملك دخل اليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه فثل بين يديه وانشده قصيدة طويلة رواها جامع ديوانه واقتطف منها ابو الفرج والصفدي بعضها هذا اولها (من المنسرح) :

اشتقت وانهل دمع عينك اذ اضحى قفاراً من اهله (١) طلح
بسابس دارها ومعدنهما تسمي خلأ وما بها شبح
كأنه لم يكن بها احد فالقلب من قلب من ناء قرح
ثم انتقل من وصف الاطلال الى ابتعاده عنها راكباً ناقته السريعة فبلغت به الى المدوح فقال وهو يذكر انتصار عبد الملك على ابن الزبير ويحذره على تولية ابنه الوليد بعده :

فكم وردنا من منهل ابد اعذب ما تستقي به الشح
امل فضلاً من سيب منتجع اياه ينوي الثناء والمدح
ارحت عنا آل الزبير ولو كانوا هم المالكين ما صلحوا (٢)
تسوس اهل الاسلام عملتهم (٣) وانت عند الرحمان منتصح
ان تلقى بلوى فانت مصطبر (٤) وان تلاق النعمى فلا فرح

(٢) وفي الديوان: ولو كان امام سواك ما

(٤) وفي الديوان: فصاير أنف

(١) وفي ديوانه: اشتقت... من خلتي

(٣) العملة والعملة أجر العمل

صلحوا

ترمي بعيني أروى على شرف
 تبين فيه عنق الأعاصي كما
 آل أبي العاص اهل مأثرة
 خير قریش وهم أفاضلها
 أرحبها ذرعاً وأخبرها
 أما قریش فانت واذعها (٤)
 حفظت ما ضيعوا وزندهم
 مناقب الخير انت وارثها
 آلت جهداً وصادق قسمي
 يظل يتلو الانجيل يدرسه
 لأبنك أولى بملك والده
 داوود عدل فاحكم بسيرته
 فهم خيار فاعمل بسنتهم
 لم يؤد عاز ولا لمحوا (١)
 بين يوماً للناظر الصبح
 غر عتاق بالخير قد نفحوا (٢)
 في الجد جد وان هم مزحوا
 انتم (٣) اذا القوم في الوغى كلكوا
 تكف من شغبهم اذا طمحو
 أورت إن أصلدوا وان قدحوا (٥)
 والحمد ذخّر تعلّى به الريح
 رب عبد تحنه الكرخ (٦)
 من خشية الله قلبه طفيح (٧)
 وعمه ان عصاك مطرح (٨)
 وآل مروان كانوا قد نصحوا (٩)
 وأحي بخير واكدح كما كدحوا

راجع ما قلنا في ما روي من هذه الايات لاعشى بني ربيعة (ص ١٣٢)

(قال) فبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإقرار ولا دفع فعلم الناس ان رأيه خلع عبد العزيز. وبلغ عبد العزيز قول النابغة فقال: لقد ادخل ابن النصرانية نفسه

(١) وفي الديوان: لعيني آقنى .. لم يودو عائد ولا لمح (٢) روى الصفدي: قد لقحوا (٣) وفي الديوان: واصبرها صبراً (٤) وفي الاغانى: فانت وارثها.

تكف عن صميم (٥) وفي الديوان: إذ اصلدوا وقد قدحوا

(٦) وفي الاغانى تصفح هذا الشطر فرواه: رب عبد الله ينتصحوا. ورواه الصفدي: برية عبد الله ينتصح. والكرخ جمع كرخ وهو الدبر وبیت الراهب (٧) وفي الديوان:

فهو يتلو. قلبه فضح. وروى الصفدي: وقلبه قرح. وفي البيت شاهد على نصرانية الشاعر

(٨) وفي الاغانى: ونجم من قد عصاك (٩) وفي الاغانى: ثم ابن حرب فاتهم نصحوا

مدخلًا ضيقًا واردها موزدًا خطرًا وبالله عليّ لأن ظفرتُ به لأخضبنّ قدمه بدمه
وفي السنة ١٠١هـ (٧٢٠م) تولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك فارسل اخاه مسيلمة
لمحاربة يزيد بن المهلب وكان الخليفة نافعاً عليه وهو قد فرّ من سجن سلفه عمر بن
عبد العزيز وخرج مع آل المهلب وتفاقم امره فغلبه مسيلمة وقطع رأسه وارسله الى
يزيد اخيه سنة ١٠٢ (٧٢١م) فدخل النابغة الشيباني عليه وانشده قصيدة في تهنته
بافتتح رواها جامع ديوانه وهي تزيد عن مئة بيت واختار منها صاحب الاغاني
وصاحب الحاسة البصريّة وغيرهما بعض ابياتها. اولها (من الوافر) :

ألا طالَ التَّنْظُرُ والثَّوَاءُ وجاءَ الصَّيْفُ وانْكَشَفَ الغِطَاءُ
وليس يُقِيمُ ذو شَجَنِ مقيمٌ ولا يَمْضِي إذا ابْتُغِيَ المَضَاءُ (١)
طَوَالَ الدَّهْرُ إِلَّا في كِتَابٍ ومُقَدَّارٍ يُوَافِقُهُ القَضَاءُ (٢)
فما يُعْطَى الحَرِيصُ غِنًى لِحَرَصٍ وقد يُنْمَى لذي الجُودِ الثَّرَاءُ
وفي هذه القصيدة حكمٌ جليلة يروي الادباء ابياتاً منها يتشتملون بها كقوله :

غِنًى نَفْسٍ إذا اسْتَغْنَتْ غِنَاءً وفقْرُ نَفْسٍ ما عِمَرَتْ شَقَاءً
إذا اسْتَحْيَا الْفَتَى وَلَنَشَا بِحِلْمٍ وسارَ الحَيُّ خالِفَهُ السَّنَاءُ
وليس يَوَدُّ ذُو وَلَدٍ وَمَالٍ خَفِيفَ الْجِلْمِ لَيْسَ لَهُ حَيَاءُ
وَمَنْ يَكُ حَيًّا لَمْ يَلْقَ بَوْسًا يُنْسَخُ يَوْمًا بِعَقْوَتِهِ الْبَلَاءُ (٣)
تَعَاوَرَهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى تَشْلَمَهُ كَمَا انْتَلَمَ الْإِنَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سِيَّاتِي بَعْدَ شَدَّتْهَا الرِّخَاءُ

(١) وفي الديوان: إذا ابتغى (كذا) (٢) وفي التاج (١٠: ٢٩٦) بمقدار (قال) :
والقضاء الحكمُ النصل وأدان الدين (٣) روى في الحاسة البصريّة (١٠: ٢٤٠) : ومن
بك سألًا. ويروى: ومن بك ذا حيا. ويروى: «بجرمتي» بدل عقوتي

فقل للمثقي عَرْضَ المنايا (١)
 ولا تبك المصاب فاي حي
 وقل للنفس: مَنْ تُبْقِي المنايا ؟
 تعزي بالأسى في كل حي
 ستقنى الراسيات وكل نفس
 يُعمر ذو الزمانة وهو كل
 ويردى المرء وهو عميد حي
 اذا حانت منيته وأوصى
 وكل أخوة في الله تبقى
 أصب ذا العلم منك بسجل ود
 ولا تصل السفية ولا تُجبه
 وان فراقه في كل امر
 وضيئك ما عمرت فلا تهنه
 ولا تجعل طعام الليل ذخراً
 وكل جراحة تُؤسى قُبْراً
 يؤثر في القلوب له كلوم
 من الشعراء أكفأ فحول

توق فليس ينفعك اتقاء
 اذا ما مات يُحييه البكاء
 فكل الناس ليس لهم بقاء
 فذلك حين ينفعها العزاء
 ومال سوف يبلغه الفناء
 على الأدنى وليس له غناء
 ولو فادّوه ما قبل القداء
 فليس لنفسه منها وقاء
 وليس يدوم في الدنيا إزاء
 وصاه لا يكن منك الجفاء
 فان وصاه داء عياء (٢)
 وصرم حبال (٣) خلّته شفاء
 وآثره وان قلّ العشاء
 حذار غد لكل غد غداء
 ولا يبرا اذا جرح الهجاء
 كداء الموت ليس له دواء
 وفراثون إن نطقوا أساءوا

(٢) كذا في حماسة البحرى (ع ٣٢٢) وفي

(٣) وفي حماسة البحرى :

(١) وفي ديوانه: حدّث المنايا

الديوان: فانّ وصال ذي الحزيات داء الحزيرة العيب

فهل شِعْرَانِ شِعْرُ غِنَا وَحُكْمٍ وشِعْرٌ لَا بَهِيَجَ بِهِ سَوَاءُ
فَان يَكُ شَاعِرٌ يَعْوِي فَانِي وجدتُ الكلبُ يَقْتُلُهُ الْعَوَاءُ
وفيهما يقول يمدح يزيد :

أَوُمُّ فَتًى مِنَ الْأَعْيَاصِ مَلَكَاً أَعْرَى كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
لِأَسْمَعِهِ غَرِيبَ الشَّعْرِ مَدْحَاً وَأَثْنِي حَيْثُ يَتَّصِلُ الثَّنَاءُ (١)
يَزِيدُ الْخَيْرِ وَهُوَ يَزِيدُ خَيْرَاً وَيَنْحَمِي كُلَّمَا ابْتَغَى الْمَاءُ
إِلَى الشَّمِّ الشَّارِخِ مِنْ قُرَيْشٍ تَحُوبُ عَنْ ذُنُوبِهَا الْعَمَاءُ (٢)
قُرَيْشٌ تَبْتَغِي الْمَعْرُوفَ قَدَمَاً وَلَيْسَ كَمَا بَنَيْتَ لَهَا بِنَاءُ
فَضَضْتَ كِتَابَ الْأَزْدِيِّ فَضَاً بِكَبْشِكَ حِينَ لَقَّيَا الْلِقَاءُ (٣)
وَعَادَتُهُ إِذَا لَاقَى كَبَاشَاً فَنَاطَحَهُنَّ قَتْلُ وَاحْتَوَاءُ
أَبَدْتُ عَدُوَّهُمْ وَعَفَوْتَ عَفْوَاً بِهِ خُحِّتُ مِنَ النَّاسِ الدَّمَاءُ
سَمَكْتَ لَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ مَلَكَاً كَمَا سَمَكْتَ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
وَاحْيَيْتَ الْعَطَاءَ وَكَانَ مَيْتَاً وَلَا وَاللَّهِ مَا نَحْمِي الْعَطَاءُ
فَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ مِنْ مَعَدٍ وَمَنْ يَمْنُ لَهُ أَيْضاً حِبَاءُ
وَصَلَتْ أَخَاكَ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي الصَّلَةِ الْجَزَاءُ
نُزْجِي أَنْ تَكُونَ لَنَا إِمَامَاً وَفِي مُلْكِ الْوَلِيدِ لَنَا الرِّجَاءُ (٤)
هَشَامُ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تَرِيدُ لَكَ الْغَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ (٥)

(١) وفي الدبران: غريب الشعر غرا . . . حيث ينتضل (٢) قال وبيروى: محبوب

على دوائبها العماء . والعماء السحاب الرقيق (٣) يريد يزيد بن المهلب . وبيروى :

بكبشك وهو بغيته اللقاء (٤) أراد الوليد بن الحليفة يرجو له الخلافة بعد أبيه بنجد حقوق

أحوي الحليفة هشام والوليد ابني عبد الملك (٥) في الاغاني: تريد لك الفناء (كذا)

وانت ابنُ الخلائفِ من قريشٍ نَموكَ وفي عداوتهم إباءُ
 إمامُ الناسِ لا ضَرَعُ صغيرُ ولا قَحْمُ يُثْلِمُهُ الزكَاةُ
 على الأعياصِ عندك حين تُعْفِي لَمَتَدَحْ من الثمنِ الغلَاةُ
 ومحتبطين من بلدٍ بعيدٍ عَبَّاتَ لهم سِجَالَكَ حين جاؤُوا
 كشفتَ الفقرَ والإقتارَ عنهم فمالوا الخيرَ وانكشفَ العِطَاءُ
 فمِصُّكَ خيرُ عِصٍ في قريشٍ وهم من كلِّ سَيِّئَاتِ بَرَاءِ
 أولاك السابقون بكل خيرٍ اذا كَذَبَ المسِيقَةُ البطَّاءُ

وقد روى البحتري في حماسه (ع ١٢٢٤) بيتين من هذه القصيدة لم نجدهما في الديوان وهما :

وكانن قد تراه يُسرُّ أمراً عليه من سريره لواءُ
 ومظهر عارفٍ ومُسِرٍّ سوء وما يَمَحُو سريره الرِواءُ
 قال ابو الفرج (٦ : ١٥٢) : فامر له (يزيد) بجائنة ناقة من نَعَمِ بني كلب وأن تُوقَر
 له بُراً وزبيياً وكساهُ واجزلِ صِلَتَهُ

(قال) ووفد النابغة الى هشام لما وليَ الخلافة (١٠٥ - ١٢٥ هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣ م)
 فلَمَّا رآهُ زجرهُ وشتمهُ ثم قال : الستَ القائل :

هشامُ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لك العَناءَ لك الفداءُ

أخرجوه عني والله لا يرزأني شيئاً ابداً . وخرمهُ ولم يزل أيامهُ طريداً حتى ولي
 الوليد بن يزيد (٢٥ - ١٢٦ هـ = ٧٤٣ - ٧٤٤ م) فوفد اليه ومدحه مدائح كثيرة
 فأجزلِ صِلَتَهُ

ومما اخبرهُ في الاغاني (٦ : ١٥٣) انَّ ابا كامل مولى الوليد بن يزيد غنى يوماً

بمحضرته ابياتاً في مديح الحمرة فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان

فامر باحضاره فاحضره فاستنشه القصيدة فانشده اياها وظن ان فيها مدحا له فاذا هو يقتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد: لو سعد جدك لكانت مديحا فينا لا في بني شيان ولنا نخليك على ذلك من حظ. ووصله وانصرف. واول هذه القصيدة (من الرمل):

حل قلبي من سليمي نبالها اذ رمثني بسهام لم تطش
وفيهما وصف الحمرة:

ايها الساقى سقتك مزنة^(١) من ربيع ذي اهاضيب وطش
إمدح الكأس ومن أعملها واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الكأس ربيع باكر فاذا ما غاب عنا لم نعش^(٢)
وكان الشرب قوم موتوا من يثم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن مما نالهم بين مصدوع وصاح متعش^(٣)
من حيا قرقف حصية قهوة حولة لم تمتعش^(٤)
ينفع الزكوم منها ريحها ثم تشفي داءه ان لم تنش^(٥)
كل من يشربها يالفها ينفق الاموال فيها كل هش
وفيهما يقول مفتخرا بقومه بني شيان:

(١) وفي الديوان: سقتك مزنة
الاغاني: «ولحنه المختار من خفيف النقيل الثاني بالوسطى وهو الذي تسميه الناس اليوم الماخوري
(٢) وفي الديوان: نأ صاجم. وفي الاغاني: بين مصروع. (٣) الحصة اي الشبهة
بالخص وهو الزعفران. ولم تمتعش لم تصبها النار (٤) وفي الاغاني: تنفي داءه. قال في
الديوان: لم تنش من النشوة. وفي قوله نظر لان النشوة من نشأ نشوا اي سكر. ونش هنا
مضاعف يقال نش النيد اذا غلى وذهب ماؤه

وبنو شيبان حولي عُصَبُ منهم غُلبٌ وليسوا بالثُمَشُ (١)
 وردوا المجد وكانوا اهلُهُ فرووا والمجد عافٍ لم يُنَشُ (٢)
 وترى الجُردَ لدى أبياتهم كريبابٍ بين صلصال وجش (٣)
 فيها يحوون اموال العدى ويصيدون عليها كلَّ وحش
 دَمِيتُ أَكْفَالُها من طعنهم بالرُّذَيْنَاتِ والخيَلِ الثُّجَشُ
 نُنْهَلُ الخَطِيَّ من اعدائنا ثم نفري الهام إن لم تَفْتَرِشُ (٤)
 ذاك قولي وثنائي وهمُ اهلُ ودي خالصاً في غير غش
 فسَلُوا شيبانَ ان فارقَتْهم يوم يمشون الى قبري بنغش
 هل غَشِينا مَجْرَماً من قومنا او جَزَيْنَا جازياً فُحْشاً بِنُحْشُ

ما احسن هذا الختام وفيه دليل واضح على نصرانية شيبان العاملين بوصية السيد المسيح وامره بحجة الاعداء.

قال ابو الفرج (١٥٤:٦) ومما يُغْنَى فيه من شعر نابغة شيبان وذكر يونس ان فيه لحناً آخر لابن عائشة . والقصيدة في ديوان النابغة تُؤنث على ستين بيتاً اختار منها في الاغاني ثمانية وننتقي منها ما يلي (من مجزؤ الرمل) :

ذَرَقْتُ عَيْنِي دَمَوْعاً من رُسُومٍ بِخَفِيرٍ
 مُوَحِّشَاتٍ طَامَسَاتٍ مثل آيات الزُّبُورِ
 غَيْرَتْهَا فِي سُفُورٍ مُرَّ أَيْامِ الدَّهْورِ

(١) وفي الديوان : حولي منهم خَلَفٌ . والفُسُشُ الزعاف (٢) ويرى : والجود عافٍ . لم يُنَشُ أي لم يُنَلَّ ولم ينقص (٣) وفي الديوان : وترى الخيل . . . كل جرداء وشاحي ثُمَشُ (٤) أي نسقي في الحرب رماحنا الخطيئة من دماء اعدائنا ثم نقطع رؤوسهم ان لم تخضع لنا

جَادَهَا كُلُّ مُلْثٍ ذِي اِهَاضِيبٍ مَطِيرٍ
وَإِذَا التَّكْبَاءُ هَاجَتْ لَعِبَتْ فِيهَا يُمُورُ
وَجَنُوبُ وَشَمَالُ وَصَبَاً بَعْدَ الدُّبُورِ
قَدْ إِذَاعَتْ بِرُسُومِ لَا تَبِينُ لِبَصِيرِ
بُدِلَ الرَّبْعُ وَحُوشًا مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرِ
ذَاكَ مِنْ بَعْدِ جَلَالِ وَأَنْيَسِ وَغُمُورِ
وَهَجَانٍ وَقِيَانِ وَقِيَابِ كَالْقُصُورِ
وُخُولِ أَرْنَاتِ مِنْ إِنْثَى وَذَكَورِ
وَسَمَاحِيَجَ سِرَاعِ مِثْلَ عُقْبَانِ كُسُورِ
وَجِسَانِ آنَسَاتِ وَعَذَارَى فِي خُدُورِ
قَاصِرَاتِ نَاعِمَاتِ فِي نَعِيمٍ وَسُرُورِ
لَيْسَ مِنْ يَذْكُرُ هَذَا يَا لَقَوْمٍ بِصُبُورِ
وَكَهُولٍ قَدْ أَرَاهُمْ كَخُضَارِيمِ الْبُحُورِ
وَرَجَالٍ لَمْ يَشَبُوا وَشَبَابِ كَالضُّقُورِ
كَمْ تَرَى فِيهِمْ نَدِيمًا مِنْ رَثِيصٍ كَالْأَمِيرِ
ذِي عَطَاءٍ وَغَنَاءِ مُحْسِنٍ نَسَجَ الْأُمُورِ
قَائِدٍ جَيْشًا هُمَامًا عِنْدَ حُلِّ وَهْسِيرِ
لَجِبًا يُسْمَعُ رِزَا عِنْدَ طَعْنٍ وَنَفِيرِ

فاذا تَندو شباباً كل ميمون هَصورِ
 ركبوا كل عَائِدَى ذِي أَفَانِينَ صَبُورِ
 فاذا لاقوا اسوداً أوعَدَت أسداً بزيرِ
 طاعنوا بعد رماء وِضَابٍ بالذكورِ
 ومن الناس غنيٌ ذو سَوامٍ وقُدورِ
 ووسيطٌ في زَماعِ ذو معاشٍ وفقيرِ
 كلُّ باغي الخير يوماً راکِبُ الهولِ الكبيرِ

﴿شعره﴾ استحقَّ عبد الله بن مخارق الشيباني ان يدعوهُ قومهُ نابغةً لجودة شعره الجامع بين المتانة والانسجام . وديوانه قد نجا من آفات الدهر منه نسخةٌ في مكتبة مصر المعروفة سابقاً بالحدیویة عنها نُقلت نسخةٌ مکتبتنا الشرقية . وهي تتألف من ٤٦ صحيفة اعني ٩٢ صفحة وفي الصفحة ١٥ بيتاً ومجموع قصائد الديوان عشرون عدداً على ان هذه النسخة سقيمة لا بُد من نسخة ثانية لإصلاح ما وقع فيها من التصحيف والتحريف . وهما نحن زوي منها بعض المقاطيع التي تشهد لقائلها بالذكاء والتمريجة الشعرية . وقد وجدنا في كتب الادباء ابياتاً ومقاطع ليست في هذا الديوان فنروي منها ما نرى من ايراده فائدة . فمن شعر النابغة الشيباني المختار قصيدته البائية في مديح يزيد بن عبد الملك اولها (من البسيط) :

بان الحليطُ فشطوا بالرعايبِ وهنَّ يُؤبْنَ بعد الحسن بالطيبِ
 فهيجوا الشوقَ اذ خفت نعامهم وأورثوا القلب صداعاً غير مشعوبِ

وهي طويلة منها قوله في كوارث الدهر :

ما يَطْلُبُ الدهرُ تَذْرِكُهُ مَخَالِبُهُ والدهرُ بالوترِ ناجٍ غير مغلوبِ

يُنِي الشَّبَابَ فَيَنْفِي الشَّيْبَ بُهْجَتُهُ
 هَلْ مِنْ أَتَسٍ أَوْليِ مَجْدٍ وَمَأْثُورَةٍ
 حَتَّى يُصِيبَ عَلَى عَهْدٍ خِيَارِهِمْ
 أَتَى وَجَدَتْ سُهَامَ الْمَوْتِ مَعْدِنُهَا
 وَالدهرُ حَالَانِ هُمْ بَعْدَهُ فَرَحٌ
 مَنْ يَلْقَى بَلَاوِي يَنْلَهُ بَعْدَهَا فَرَجٌ
 وَبَيْنَ دَاعٍ إِلَى رُشْدٍ صَحَابَتُهُ
 وَالْعَيْشُ طَيِّبَانِ طَيِّبٌ ثَرٌّ حَائِبُهُ

وَمِنْ حِكْمِهَا الْمِصْبَةُ :

عَاتِبَ أَخَايَ وَلَا تُكْثِرْ مَلَامَتَهُ
 وَأَنْ عُنَيْتَ بِمَعْرُوفٍ فَقُلْ حَسَنًا
 لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأَةً (١) حَتَّى تَجْرِبَهُ
 إِنَّ الْغَلَامَ مَطِيعٌ مَنْ يُوَدِّبُهُ

وَمِنْهَا فِي مَدْحِ يَزِيدَ :

وَأَنْ رَحَلْتَ إِلَى مَلِكٍ لَتَمْدَحَهُ
 وَأَمْدَحْ يَزِيدَ وَلَا تَقْهَرْ بِمَدْحَتِهِ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ فَرْعٌ حِينَ تَنْسِبُهُ
 يَنْبِيهِ حَرْبٌ وَمَرْوَانٌ وَأَصْلُهَا

(١) وَيُرْوَى : لَا تَقْدَحَنَّ فَتَنِي

نَمَّاكَ أَرْبَعَةٌ كَانُوا ائْتَنَّا فَكَانَ مُلْكُكَ حَقًّا لَيْسَ بِالْحُبِّ (١)
 اعطاك مُلْكًا وَتَقَوَّى اَنْتَ سَائِلُهُ بَعْدَ الْفَضَائِلِ مَنْ أَوْخَى إِلَى الثُّوبِ (٢)
 أَبْلَجُ كَالْبَدْرِ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلِفٌ يُنَمِّي إِلَى الْأَبْطَحِيَّاتِ الْمَصَاعِبِ
 بَحْرُ نَمْتِهِ بِجُودٍ غَيْرُ سَاجِيَةٍ تِلْكَ الْمَخَاصِبِ ابْنَاءُ الْمَخَاصِبِ
 قَوْمٌ بِمَكَّةَ فِي بَطْحَانِهَا وَلَدُوا ابْنَاءُ مَكَّةَ لَيْسُوا بِالْأَعَارِبِ
 الْكَثْرُونَ إِذَا مَا سَالَ مَوْجُهُمْ بِكُلِّ أَصِيدَ سَامِي الطَّرْفِ هَهُوْبِ (٣)
 وَالضَّارِبُونَ مِنَ الْإِبْطَالِ هَامَهُمْ ضَرْبًا طِخْفًا وَهَكَأْغَيْرَ تَذْيِيبِ (٤)
 اَنْتَ ابْنُ عَاتِكَةِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهَا أَمَّ الْمُلُوكِ بَنِي الْعِزِّ الْمَنَاجِبِ
 إِذَا الْمُلُوكُ جَرَتْ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ جَرِي الْمَحَاضِيرِ حُتَّتْ بِالْكَالِيبِ
 جَرِيَتْ جَرِي عَتِيقٍ لَمْ يَكُنْ وَكَلا بَدَّ الْعَنَاجِيجِ سَبْقًا غَيْرَ مَضْرُوبِ

وَمِنْ قَصَائِدِهِ الْغُرَاءُ دَائِيَتُهُ الشَّهِيدَةُ الَّتِي أَوَّلُهَا (مِنْ الْوَافِرِ) :

أَتَقَرِّمُ أُمَّ تُوَاصِلُكَ النَّجُودُ (٥) وَلَيْسَ لَهَا وَإِنْ وَصَلَتْكَ جُودُ

وَفِيهَا يَقُولُ فِي وَصْفِ حَدَثَانِ الدَّهْرِ :

وَعَوَّضُ الدَّهْرِ بِالْإِنْسَانِ جَمٌّ فَمَا لِلشَّامِتِينَ بِهِ خُلُودُ
 وَكُلُّ مُنْعَمٍ وَآخِي شَقَاءُ وَمُثْرٍ وَالْمِقْلُ مَعًا يَبِيدُ
 إِذَا مَا لَيْلَةٌ مَرَّتْ وَيَوْمٌ آتَى يَوْمٌ وَلَيْلَتُهُ جَدِيدُ

(٣) الْمَهْجُوبُ الْخَفِيفُ

(٢) الثُّوبُ النَحْلُ

(١) الْحُبُّ الْإِثْمُ

(٤) الطِّخْفُ وَالطِّخْفُ الشَّدِيدُ. وَهَكَأْ هَذِهِ

(٥) النَّجُودُ الْمَرْأَةُ الْعَاقِلَةُ النَّبِيلَةُ

أَبَادِ الْأَوَّلِينَ وَكُلِّ قَرْنٍ وَعَادًا مِثْلَ مَا بَادَتْ تَمُودُ
وَلَا يُنْجِي مِنَ الْآجَالِ أَرْضٌ يُحَلُّ بِهَا وَلَا الْقَصْرُ الْمَشِيدُ
وَلَا يُحْيِي الْجَبَانَ حِذَاؤُ مَوْتٍ وَيَبْلُغُ عُمُرَهُ الْبَطْلُ النَّجِيدُ
ومنها في مدح التقي ومعالجة الأخيار :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتَقَى مَزِيدُ
فَصَاحِبُ كُلِّ أَرْوَعٍ دَهْمِيٍّ (١) وَلَا يَضْحَكُ ذُو الْجَهْلِ الْبَلِيدُ
يَرَى مَا نَالَ غَنَمًا كُلَّ يَوْمٍ صَفَاةٌ حِينَ تَخْبُرُهُ صَلِيدُ
وَشَرُّ مُصَاحِبٍ خَلْفٌ قَبِيٌّ وَنِعْمَ الصَّاحِبُ الْخَلْقُ السَّيِّدُ
ومن هجائها :

فَبَابِلِي وَبَالُ بَنِي لَكَاعٍ عَلِيٌّ لَهُمْ إِذَا شَبِعُوا فَدِيدُ
إِذَا مَا غَبْتُ عَنْهُمْ أَوْعَدُونِي وَآيُ النَّاسِ يَقْتُلُهُ الْوَعِيدُ
مَتَى مَا يَسْمَعُونَ رِزْيَ يَدِينُوا (٢) كَمَا دَانَتْ لِسَيِّدِهَا الْيَهُودُ
كَأَنَّهُمْ لَقَدْ جَشِعُوا وَذُتُّوا مَخَافَةً أَنْ أُجَدَّعَهُمْ سُجُودُ
بَهَرْتُهُمْ وَأَفْجَحَمَ نَاطِقُوهُمْ كَمَا بَهَرَ الْمُحَمَّلَةَ الصُّعُودُ (٣)
ومن فخرها قوله في بني شيان :

(١) الدهمى السبل الخلق اللين العربية

(٢) الرز الصوت الخفيف تسمعه من بعيد

(٣) شبه أعداءه بالابل الموقورة تكلل صعودا، ويروى: وأفحهم ناطقة بهم

نفى عني العدو قُرَاسِيَاتُ (١)
فمنهم حين تَنْتَطِحُ النواحي
فمُقَرَّرٌ وحارثةُ بنُ عمرو
وَبِسْطَامُ تَغَمَّطَ والمُثَنَّى
وعُوفُ (٢) المأثراتِ وكلِّ عهدٍ
وذو المائِي أبو حرب بنِ عُوفٍ
وكان الحَوْفزانُ شَهَابَ حربٍ
وفَكَكُ العُناةِ أبو ثُبَيْتٍ
وعُدَّ أبا الوَجِيهَةِ في نُجُومٍ
قَبِيصَةُ وابنُ ذِي الجَدَّينِ فيهِم (٣)
وعُمرُو والأَغْنُ عَمِيدُ حِيٍّ

قُروم من بني شَيْبَانَ صِيدُ
إذا أَذْكَرَ المَآثِرُ والعَدِيدُ
هما الفرعانِ مَجْدُهُما تَلِيدُ (٤)
بِهِ قُضَّتْ مِنَ الفُرسِ الجُنُودُ (٥)
وَفِي حِينَ تُتَقَضُّ العُهُودُ
مَعَاذَتُهُ تُفَكُّ بِهَا القِيُودُ (٦)
رَئِيسَ النَّاسِ مُتَبِعاً يَقُودُ (٧)
يَزِيدُ بَعْدَهُ مَنَّا يَزِيدُ (٨)
نَجُومُ حَمَّةٍ تَلُكُ السَّعُودُ (٩)
وَأَشْرُسُ والمُحِجَّةُ (١٠) والشَّرِيدُ (١١)
وَكُلُّ فِي أَرْوَمِهِ عَمِيدُ (١٢)

(١) القُرَاسِيَاتُ الابل الشديدة الضخمة شبه جاز قومه (٢) هما مفروق من بني
إلى ربيعة وحارثة بن عمرو بن أبي ربيعة الشيباني ذو الناج كان على بكر بن وائل يوم أواره
حين فاتلوا المنذر بن ماء السماء (٣) هو بسطام ذو الجدين. والمثنى هو ابن حارثة الشيباني
(٤) عوف من بني هند (٥) جاء في أصل الديوان: المائِي الانتظار. والمائِي جد
الأناة والحلم. معاذته أي كان الرجل إذا أثره قال: عذتُ بفلان وأو حرب هو ابن عوف
من بني هند (٦) هو الحوفزان بن شريك واسمه الحارث. وأبوه شريك بن مطر من
ممن بن زائدة كان أكبر الناس عند المنذر (الاشتقاق لابن دريد)

(٧) أبو ثُبَيْتٍ هو يزيد بن مسهر من بني همام بن مرة. ويزيد أبو حوشب ابنه
(٨) أبو الوحيدة ركضة بن ركضة بن النعمان وهو من بني سعيد بن همام بن قبيصة بن أبي
ربيعة (٩) قال ابن الأثير في المصنع (ص ٧٠): «ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن
قيس بن خالد الشيباني وهو والد بسطام بن قيس سمي به لأنه كان أسيراً له ففداه كبير
فقال رجل: إنه لذو جد في الأسر أي حظ فقال آخر: إنه لذو جدّين
(١٠) وأشْرُسُ من بني هند. والمُحِجَّةُ من بني ربيعة (١١) الشريد من بني همام
وهو خالد بن السفاح من بني مرة (١٢) الأغْنُ أحد بني حارثة بن وهل أبو حماس بن
يزيد بن خُلَيْدٍ أحد بني الورثة

وساد ابنُ الثَّرِيمِ وكان قَرْمًا أخوا حربٍ يُسَبُّ لها الوُفُودُ (١)
 وَحَمَّالُ المِثْنِ ابو حِمَّاسٍ انابَ بها اذا ضَلَعَ اللِّهْدُ
 وجاد ابنُ الحُصَيْنِ وكان بَجْرًا وَلَمَّزَ هَازٍ عِنْدَ الجَهِدِ جُودُ (٢)
 وَمَصْقَلَةُ الَّذِي أَجْدَى وَأَعْطَى لَهُ مِنْ مَدِّ عَافِيَةٍ وَرُودُ (٣)
 بِهِ عُتِقَ السَّبَايا بِعَدِّ رِقِّ اذا أَبْطَتْ فِكاكَهُمُ الوُفُودُ
 جلودُهُمْ مِنْ العَثَرَاتِ مُلْسُ نَقِيَّاتُ اذا دَنَسَ الجُلُودُ
 أَوْلَئِكَ أُسْرِقِي سَأْدُودُ عَنْهُمْ اذا ما خَامَ عَنْهُمْ مَنْ يَذُودُ
 بَغَرٍ مِنْ قَوَافٍ نَافِذَاتِ جَوَارِحَ فِي الصُّدُورِ لَهَا خُدُودُ
 فَخَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا نَطَقَ العَبِيدُ
 وللنابغة من قصيدة يذكر فيها الخالق عز وجل ويحض الإنسان على الصلاح
 (من الطويل) :

وَتُعْجِبُنِي اللَّذَاتُ ثُمَّ تَعُوجُنِي وَتَسْتُرُنِي عَنْهَا مِنَ اللَّهِ سَاتِرُ
 فَقُلْتُ وَقَدْ مَرَّتْ حَتُوفُ بَأَهْلِهَا أَلَا لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ رَبِّي غَايِرُ
 هُوَ الْبَاطِنُ الرَّبُّ اللَّطِيفُ مَكَانُهُ وَأَوَّلُ شَيْءٍ رَبَّنَا ثُمَّ آخِرُ
 كَرِيمٌ حَلِيمٌ لَا يُعْتَبُ حِكْمُهُ كَثِيرُ أَيَادِي الْخَيْرِ لِلذَّنْبِ غَافِرُ
 يُقِيمُ حَصَادَ الزَّرْعِ بَعْدَ ارْتِبَاعِهِ فَتَفْنِي قُرُونٌ وَهُوَ لِلزَّرْعِ آبِرُ
 وَمَنْ يُعْنَى بِالْأَخْبَارِ عَنْ مَنْ يَرُومُهَا فَاتِّي بِمَا قَدْ قُلْتُ فِي الشَّعْرِ خَايِرُ

(١) ابن القرم من بني تميم بن شيان وهو سامة بن ثامة

(٢) هو عمرو بن الحصين أحد الاحلاف من بني عمرو بن همام. والهمز هاز من بني ابن همام

(٣) مصقلة من بني ثلبة بن شيان. عاف وعافية من عفوته واعفيتها اذا ابتته

أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ هَلْ أَنْتَ عَامِلٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فِتْنَةٌ
وَمَنْ يَعْمَلِ الْخَيْرَاتِ أَوْ يَحْظَ خَالِيًا
وَجَدْتَ الثَّرَاثِمَ الْمُصِيبَاتِ كُلَّهَا
فَإِنَّ عُسْرَةً يَوْمًا أَضْرَّتْ بِأَهْلِهَا
وَنَازِلٌ دَارٍ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا
وَمَنْ يُنْصِفِ الْأَقْوَامَ مَا كَانَ قَاضِيًا
وَيُعْذِرُ ذُو الذَّنْبِ الْمُقِرُّ بِذَنْبِهِ
فَأَنْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ لَا بُدَّ نَاشِرٍ
ذَخَائِرُ مَجْرِيٍّ بَيْنَ ذَخَائِرِ
يُجَازَ بِهَا أَيَّامُ تُبْلَى السَّرَائِرُ
يُحْيِي بِهَا بَعْدَ الْإِلَهِ الْمَقَادِرُ
أَتَتْ بَعْدَهَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِاسِرُ (١)
سَتُظَنُّ عَمَّا يُرِيدُ الْجَرَائِرُ
وَكُلُّ أَمْرٍ لَا يُنْصَفُ النَّاسَ جَائِرُ (٢)
وَأَيْسَ لِمَنْ يُغْضِي عَلَى الذَّنْبِ عَازِرُ (٣)

ومن جيد شعر النابغة لاميئة التي مدح فيها يزيد أولها (من الحفيف) :

أَذِنَ الْيَوْمُ جِيرَتِي بَارْتِحَالٍ
وَبَيْنَ مَوَدِّعٍ وَارْتِحَالٍ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمِنْ حَكَمِهَا قَوْلُهُ :
يَا بُنَيَّ أَسْتَمِعْ فَذَا وَعَظُ شَيْخٍ
كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَنَعِيمٍ
كَفَّنِي الْحُلْمُ وَالْمَشِيبُ وَعَقْلِي
وَأَرَى الْفَقْرَ وَالْغِنَى بِيَدِ اللَّهِ
لَيْسَ مَا يَرَوَى بِهِ مُعْتَفَوْهُ
قَدْ يَغْضُ الْفَتَى كَمَا يَنْقُصُ الْبَدُّ
فَمُحَاقٌ هَذَا وَهَذَا كَسِيرٌ
لَيْسَ يُغْنِي عَنْهُ النَّسِيجُ وَلَا الْبُرُّ
عَجَمَ الدَّهْرَ فِي السِّنِّينَ الطَّوَالَ
وَحِيَاقٍ تُودِي كَفَيَّ الظَّلَالَ
وَنَهَى اللَّهُ عَنْ سَبِيلِ الضَّلَالِ
وَحَتَفَ النَّفُوسَ فِي الْأَجَالِ
وَإِنَّمَا لَا يَغُورُ كَالْأَوْشَالِ
رُ وَكُلُّ يَصِيرُ كَالْمُسْتِحَالِ
بَعْدَ مَا كَانَ نَاشِئًا كَالْهَلَالِ
جُ وَلَا مُشْفَقٌ كَرِيمُ الْفَعَالِ

(١) ويروى: أتت بعدها عما وعدنا المياسر (٢) ويروى: لم يأت قاضيا . . .

لا ينصف الله (٣) هذه رواية حماسة البحراني. وفي الديوان: ويعذر ذو الدين الطلوب

بدينه وليس لأمير يظلم الناس عاذر

ليس حيُّ يبقَى وان بلغ الكبر مَ ةَ إِلَّا مَصِيرُهُ لِنَزْوَالِ
 إِن تَمُتْ أَنْفُسُ الْإِنَامِ فَإِنَّ مَ اللهُ يَبْقَى وَصَالِحُ الْأَعْمَالِ
 كُلُّ سَاعٍ يَسْعَى لِيُذْرِكَ شَيْباً سَوْفَ يَأْتِي بِسَعْيِهِ ذَا الْجَلَالِ
 فَهَمُّ بَيْنَ فَائِزٍ نَالٍ خَيْرٌ وَشَقِيٌّ أَصَابَهُ بِنِكَالِ
 أَنْ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرّاً حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالِ
 كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْإِحْصَالِ (١)
 فَاتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ وَأَحْسِنْ أَنْ تَقْوَى إِلَهِ خَيْرُ الْجَلَالِ

وهنا في مديح يزيد بن عبد الملك الخليفة :

تَبْتَغِي مِنْ يَزِيدَ فَضْلَ يَدِيهِ أَرِيحِيًّا فَرْعاً سَمِينًا الْقَعَالِ
 حَكَمِيًّا بَيْنَ الْأَعْصَى وَحَرْبِ (٢) أَبْطَحِي الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالِ
 أُمُّهُ مَلِكَةٌ غَنَّتْهَا مَلُوكُ وَهِيَ أَهْلُ الْإِكْرَامِ وَالْإِجْلَالِ
 تِلْكَ أُمُّ كَسَتْ يَزِيدَ بِهِاءُ أَوْ جَمَالًا يَزِيدُ كُلَّ جَمَالِ
 وَأَبُوهُ عَبْدُ الْمَلِكِ نَمَاهُ زَادَ طَوْلًا عَلَى الْمُلُوكِ الطُّوَالِ
 فَهُوَ مَلِكٌ نَمَتْهُ أَيْضًا مَلُوكُ خَيْرٌ مِنْ يَحْتَذِي رِقَاقَ النِّعَالِ
 حَالَفَ الْمَجْدِ عَبْشَمِيًّا إِمَامًا حَلَّ دَارًا بِهَا تَكُونُ الْمَعَالِي
 أُعْطِيَ الْجِلْمَ وَالْعَفَافَ مَعَ الْجُودِ وَرَأْيًا يَفُوقُ رَأْيَ الرِّجَالِ
 وَجَبَاهُ الْمَلِيكَ تَقْوَى وَبِرًّا وَهُوَ مِنْ سُوسٍ نَاسِكٍ وَفِحَالِ
 يَقْطَعُ اللَّيْلَ آهَةً وَانْتِحَابًا وَابْتِهَالًا لَلَّهِ أَيُّ ابْتِهَالِ
 تَارَةً رَاكِعًا وَطَوْرًا سَجُودًا ذَا دُمُوعٍ تَنْهَلُ أَيُّ انْهَالِ
 عَادِلٌ مُسْطَطٌ وَمِيزَانٌ حَقٌّ لَمْ يَحِفْ فِي قَضَائِهِ لِلْمَوَالِي

(١) ذو المحال اي شديد العقوبة . و يروى : ذو الجلال . وأراد بالكاتبين ملاكبن صالح

فطاح يراقبان الانسان لندوين اعماله الحسنة والسيئة او هما ناكر ونكبر (٢) م اجداد بني امية

مُوفِيًّا بِالْعُهُودِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مَ وَمَنْ يُعْفِهِ يَكُنْ غَيْرَ قَالِ
 مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ تَقِيٌّ قَوِيٌّ وَهُوَ أَهْلُ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ
 وَهُوَ إِنْ يُعْفِهِ فَنَامُ شُعُوبٌ يَبْتَدي الْمُعْتَفِينَ قَبْلَ السُّؤَالِ
 وَيَذُدُّ عَنْهُمْ الْخَلَالََةَ مِنْهُ بِسِجَالٍ تَفْدُو أَمَامَ سِجَالِ

وقال في الخليفة عمر بن عبد العزيز (من الخفيف) :

نَحْوُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَطَعُمُ النَّوْ مَ وَمِنْهَا بَعْدَ الرُّوَّاحِ الْبُكُورُ
 وَهُوَ الثَّالِثُ الْخَلِيفَةُ لِلَّهِ مَ أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
 إِنْ أَرَادُوا التَّقِيَّ بِهِ فَتَقِيٌّ أَوْ أَرَادُوا عَدْلًا فَلَيْسَ بِجَوْرُ
 وَلَدَتْهُ الْمُلُوكُ مَلَكًا هَمَامًا فَهُوَ بِدَرْ غَمِّ النُّجُومِ مُنِيرُ
 حَكَمِيًّا يُرَاحُ لِلْمَجْدِ فَرْعًا مُوفِيًّا بِالْعُهُودِ حِينَ يُجِيرُ
 مَعِشَرٌ مَعْدِنُ الْخِلَافَةِ فِيهِمْ بِدَوِّهَا مِنْهُمْ وَفِيهِمْ تَحُورُ
 لَا يَرُومَنَّ مُلْكُهُمْ آدَمِيٌّ إِنْ مِنْ رَامٍ مُلْكُهُمْ مَغْرُورُ
 إِنْ أَمَّ الْبَنِينَ أَنْتَ فَتَيُّ النَّاسِ سِ وَانْتَ الْمُؤَفَّقُ الْمَاجُورُ

ومن مديحه للخليفة الوليد (من الكامل) :

تَنُوي وَتَتَجَعُّ الْوَلِيدَ خَلِيفَةً يُعْفَى بِذَلِكَ جُهْدُهَا وَجَمَامُهَا
 مَلِكٌ أَغْرُ نَمَّا الْمَلِكِ كَفُهُ خَيْرُ الْعَطَاءِ بِدَوْرِهَا وَسَوَامُهَا
 تَنْدَى إِذَا بَخُلَ الْأَكْفُ وَلَا تُرَى تَعْلُو بِرَاجِمَ كَفِّهِ إِبْرَامُهَا
 وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى وَيُضْبَحُ مُحْسِنًا شَتَّى لَهُ نِعَمٌ جَدًّا إِنْعَامُهَا

واذا قریشُ سَابَقَتْكَ سَبَقَتْهَا بقديم أولاهها وانت قوامها
 واذا قناة المجدِ حاولَ اخذها فبطولِ بَسْطِهِ يَدُ جِسامها
 انت الذي بعد الاله هديتها ان خاطرتك بالقداحِ قوامها
 فورثت قائدها وفزت بقدرها وخصمت لدا لم تهلك خصامها

قد سبق ما رويناهُ عن ابي الفرج الاصفهاني في نصرانية النابغة الشيباني على ان في ديوانه قصيدة تدل على انه ارتد للاسلام وذلك في قصيدة فائية قالها في مديح الوليد. ومن المحتمل ان الوليد جذبهُ بالوعد او بالوعد الى جحود دينه ولنا في تاريخه ما يثبت تشدده على النصارى والله اعلم. وهذه بعض ابيات تلك القصيدة (من البسيط) :

ان الوليد امير المؤمنين له حق من الله تفضيلٌ وتشريفٌ
 خليفة لم يزل يجري على مهلٍ اغرُ تنمي به البيضُ الغطاريفُ
 لا يُخمدُ الحربُ إلا ريث يوقدُها في كل فجٍ له خيلُ مسانيفُ
 يحوي سبياً فيعطيهها ويقسمها ومن عطيته الجردُ السرايفُ
 اخزى طرندة منه وابل بردٌ وعسكرٌ لم تقزه العزلُ الجوفُ (١)
 مازال مسلمة (٢) الميمون يحضرها وركنُها بثقال الصخرِ مقذوفُ
 وقد احاطت بها ابطالُ ذي لجبٍ كما احاط برأس النخلة الليفُ
 حتى علوا سورها من كل ناحية وحان من كان فيها وهو ملهوفُ
 فاهلها بين مقتولٍ ومُستَلَبٍ ومنها موثقٌ في القيدِ مكتوفُ

(١) قال في الديوان : « طرند ملك الروم » والصواب ان طرندة مدينة كانت على ثلث

مراحل من مكة. والجوف جمع أجوف وهو من لا عقل له (٢) هو مسلمة بن عبد الملك

يا أيها الاجدع الباكي لمسلحهم
تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحية
قلعت بيعتهم عن جوف مسجدنا
كانت اذا قام اهل الدين فابتهلوا
فالיום فيه صلاة الحق ظاهرة
فيه الزبرجد والياقوت موثف
ترى تهاويله من نحو قبتنا
يكاد يغشي بضير القوم زبرجه
وفضة تعجب الرائيين بهجتها
وقبة لا تكاد الطير تبلثها
لها مصابيح فيها الزيت من ذهب
فكل أفئاته والله زينته
في سرّة الارض (٢) مشدود جوانبه
فيه المثاني وآيات مفصلة
تمت قصيدة حق غير ذي كذب
قومت منها فلا ريع ولا أود
هل بأس ربك عن من نام مصروف
والله يعلم ما تخفي الشراسيف
فصخرها عن جديد الارض منسوف (١)
باتت تجاوبنا فيها الأساقيف
وصادق من كتاب الله معروف
والكأس والذهب العثمان رصوف
يلوح فيه من الالوان تشويف
حتى يكاد سواد العين مطروف
كريمها فوق اعلاهن معطوف
أعلى محاريبها بالساج مسقوف
يضي من نورها لبنان والسيف
مبطن برخام الشام محفوف
وقد أحاط به الانهار والريف
فيهن من رتب وعد وتخويف
في حوكها من كلام الشعر تأليف
كما اقام قنا الخطي ثقيف

(١) يشير الى ما فعله الوليد اذ اغتصب نصارى دمشق على كنيسهم الكبيرى فحوّلها جاماً
(الجامع الاموي)

(٢) سرّة الارض اي جوفها . ويروى : ستره

فهذا الوصف الجميل للجامع الاموي كما اصلحه الوليد وجعله بضروب المعاسن الهندسية من اقدم وادق ما انشده فيه احد الشعراء المعاصرين . ونما قاله في سيده في انحاء الشام (من الوافر) :

أَرِقْتُ وَصَاحِيَّ بِمَعْلَبِكَ وَأَرْقَنِي الْهَمُومُ مَعَ التَّشَكِّي
ومنها في رسوم الدار واطلاها :

وَكَمْ مِنْ دُونِهَا مِنْ خَرَقٍ تَبِيهِ وَمِنْ رَمَلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَدَلِيٍّ
غَشِيَتْ لَهَا رَسُومًا دَارِسَاتٍ بِأَسْفَلَ لَعْلَعٍ مِنْ دُونِ أَرْكٍ
تُغَيِّرُهَا الرِّيحُ وَكُلُّ غَيْثٍ لَهُ حَبْكُ رُوءٍ بَعْدَ حَبْكٍ
وَقَفْتُ بِهَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي تَحَادَّرَ لَوْ لَوْ مِنْ وَهْيِ سِلْكٍ
وَمَنْ يَسْلُ الرُّسُومَ فَلَا تُجِبُهُ يَحْنُ كَمَا حَنَنْتُ بِهَا وَيَكِي
وَمِنْ حِكْمِهِ أَيْضًا مَا وَرَدَ فِي أَوَّلِ قَصِيدَةِ دِيوانِهِ الَّتِي بَدَأَهَا (مِنْ الطَّوِيلِ) :

أَرِقْتُ وَشَرُّ الدَّاءِ هُمْ مُورِّقُ كَأَنِّي أَسِيرُ جَانِبَ النَّوْمِ مُوْتَقٍ
وفيه يقول ويؤخذ منه أَنَّ نَابِغَةَ بَنِي شَيْبَانَ هُوَ الْمَدْعُوُّ بِالنَّابِغَةِ الْبَكْرِيِّ :
وَقَالَ الْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ كِلَاهُمَا لِنَابِغَةَ الْبَكْرِيِّ شَعْرٌ مُصَدِّقُ
فَأَحْكَمُ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ذُووُ الثَّقَى وَكُلُّ أُمْرٍ لَا يَتَّقِي اللَّهَ أَحَقُّ
وَلِلنَّاسِ أَهْوَاءُ وَشَتَّى هُمُومُهُمْ تَجَمَّعُ أَحْيَانًا وَحِينًا تَفَرَّقُ
وَزَرْعُ وَكُلُّ الزَّرْعِ يُشْبِهُ أَصْلَهُ هُمْ وَلِدُوا شَتَّى مَلِيسٌ وَمُحَقِّقُ
فَذُو الصَّوْتِ لَا يَجْنِي عَلَيْهِ لِسَانُهُ وَذُو الْجِلْمِ مَهْدِيٌّ وَذُو الْجَهْلِ أَخْرَقُ
وَلَسْتُ وَإِنْ سُرُّ الْإِعَالِي بِهَالِكٍ وَلَيْسَ يُنَجِّبُنِي مِنَ الْمَوْتِ مُشْفِقُ

ومن قوله في بلال الدهر (من الطويل) :

ما الناس ألا في رماقٍ وصالحٍ وما الدهرُ إلا خِلْفَةٌ ودُهورُ
مراتبُ إِمَّا البؤسُ منها فزائلُ وكلُّ نعيمٍ في الحياة غُرورُ
فدو الشرِّ لا يبقى ولا الخيرُ دائمُ وكلُّ زمانٍ بالرجال عَثورُ
متى يَخْتَلِفُ يومٌ عليك و ليلةٌ يَلُحُّ منها في عارضيكَ قَتِيرُ
جديدانِ يُبْنَى فيهما كلُّ صالحٍ حَشيَّانِ هذا رانحٌ وبُكورُ
وأَعْلَمُ أَن لا شيءَ يبقى مؤملاً خلا أَن وجه الله ليس يبورُ
وكلُّ أرى أن صحَّ أو طال عمره الى ميتةٍ لا بُدَّ سوف يصيرُ
يؤمِّلُ في الأيام ما ليس مُدرَكًا وليس له من ان ينالَ خفيرُ
وكائنَ ترى من كاملِ العقلِ يُزْدَرى ومن ناقصِ العقولِ وهو جَوِيرُ (١)
ومنهم قصيرُ رامٍ مجداً فناله وآخرُ هَيِّقٌ في الحِفاظِ قصيرُ
ومن طالبٍ حقاً بفُحْشٍ يفوته ويُدرِكُهُ بالحقِّ وهو سَتِيرُ
ومن أقواله أيضاً في الدهر وحدثانه (من البسيط) :

كم من مؤمِّلٍ شيءٍ ليس يُدرِكُهُ والمرءُ يُزْري به في دهره الأملُ
يرجو الثراءَ ويرجو الخُلْدَ مجتهداً (٢) ودونَ ما يُرتجى الاقدارُ والأجلُ
والدهرُ يُبْنَى الفتي حتى يُعْيَرَهُ كما تَعْيَرُ بعد الجِدَّةِ السَّمْلُ
كلُّ المصائبِ ان جَلَّتْ وان عَظُمَتْ ألا المصيبةُ في دينِ الفتي جَلَلُ
ومنها في مدح مسلمة بن عبد الملك بن مروان :

(١) رواه في حاشية البحتري (ج ٦٨٦) : وهو طريرُ
(٢) كذا روى البحتري في حاشيته (ج ١٤٤) وفي الديوان : ذو المل

يَنوونَ مُسَلِّمَةَ الْفِيَّاضِ نَائِلُهُ
صَلْبُ الْقَنَاقَةِ رَبًّا وَالْحَزْمُ شَيْمَتُهُ
قَضَاؤُهُ مُسْتَقِيمٌ غَيْرُ ذِي عِوَجٍ
الْقَائِلُ الْفَضْلُ وَالْمِيْمُونُ طَائِرُهُ
لَا يَنْقُضُ الْأَمْرَ إِلَّا رَيْثٌ يُبْرِمُهُ
أَنَّ الَّذِينَ هُمْ يَرْمُونَ صَخْرَتُهُ
لَنْ يُدْرِكوكَ وَلَمْ يَلْحَقْكَ سُوْهُمُ
وَمِنْ قَصَائِدِهِ الْمُسْتَحْسَنَةُ فَانْتَبَهَ الْفَتَى
بَانَ السَّفَاهُ (٢) وَأَوْدَى الْجَهْلُ وَالسَّرَفُ

وَقَدْ كَسَانِي شَيْبًا قَدْ غَنِيَتْ بِهِ
قَالَتْ لِي النَّفْسُ سِرًّا إِذَا خَلَوْتُ بِهَا
أَنَّ الشَّبَابَ جَنُونٌَ شَرِّخٌ بَاطِلُهُ
ذَرِ الشَّبَابَ فَلَا تَتَّبِعْ لَذَاذَتَهُ
مَنْ يَعْلَهُ الشَّيْبُ لَمْ يُحْدِثْ لَهُ عِظَّةٌ
فَلَا تَهَابِنْ أَسْفَارًا وَإِنْ بَعُدَتْ
قَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ لَا تُرْجَى سَلَامَتُهُ

وَمَا يَرَوِي لَنَا بَغِيَّةُ بَنِي شَيْبَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَخَارِقَ (فِي حِمَاةِ الْبَحْتَرِيِّ ع ١٢٧٦) وَلَمْ
نَجِدْهُ فِي دِيْوَانِهِ قَوْلَهُ فِي سَكْوَتِهِ عَنْ جَوَابِ الْجَاهِلِ (مِنْ الطَّوِيلِ) :

سَأَمْنَعُ نَفْسِي رَفْدًا كُلَّ بَخِيلٍ وَأَحْسُسُ نُطْقِي عَنْ جَوَابِ جَهْلٍ

(١) هُوَ تَشْبِيهِ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ

(٢) قَالَ الْأَبَا بَرِّي فِي الْأَضْدَادِ (ص ٦٥٩) : السَّفَاهُ الْخَفِيَّةُ وَالطَّيْشُ مَمْدُودٌ

فَانَّ الْجَهْلُ لَا يُرَدُّ كَلَامُهُ وليس سَبِيلُ الْجَاهِلِينَ سَبِيلِي
وروى له ايضاً البحتري (ع ٢٥٣ و ٨١١) يوصي بؤاخاة الصالحين والابتعاد عن
ذوي النسيمة (من الوافر) :

عَلَيْكَ بِكُلِّ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ فَانَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْوَفَاءِ
وَإِنْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمْ فَلَا تَصِقْ بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ
فَإِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا تَفَاضَلَتْ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ
وَلَا تَشَقَّنْ بِالنَّمَامِ فِيمَا حَبَاكَ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي الْخَلَاءِ
وَأَيُّقِنْ أَنَّ مَا أَفْضَى إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْرَارِ مُنْكَشِفُ الْغَطَاءِ
وقال الدينوري في تاريخه المعنون بالاخبار الطوال (ed. Guirgas, p. 197) :

«كتب معاوية الى علي : ائتما متلي ومثل عثمان كما قال مخارق (من الطويل) :
فَمَهْمَا دَسَلَ عَنْ نَصْرِي السَّيِّدَ لَا تَجِدْ لَدَى الْحَرْبِ بَيْتَ السَّيِّدِ عِنْدِي مُدَمَّماً
فكتب اليه علي : اني عارض عليك ما عرض مُخَارِقُ عَلَى بَنِي فَالَجِ قَالَ (من
الطويل) :

يَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ بَنِي فَالَجِ حَيْثُ اسْتَقَرَّ قَرَارُهَا
هَلُمُّوا إِلَيْنَا لَا تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ بَلَّاقِعُ أَرْضٍ طَارَ عَنْهَا غُبَارُهَا
مُسْلِمُ بْنُ مَنْصُورٍ أَنَاسُ أَعِزَّةٍ وَأَرْضُهُمْ أَرْضُ كَثِيرٍ وَبَارُهَا
وكذلك روى له في اللسان في مادة غي (٢٠ : ٢١٨) قوله مملاً لا ذكر له في
ديوانه يصف ما في شعره من الهجو الحاد (من الوافر) :

وَقَافِيَةٌ كَأَنَّ السَّمَاءَ فِيهَا وَلَيْسَ سَلِيمُهَا أَبَدًا بِنَامِي
صَرَفْتُ بِهَا لِسَانَ الْقَوْمِ عَنْكُمْ فَخَرْتُ لِلْسَنَابِكِ وَالْحَوَامِي
(قال) النامي الناجي . وروى له ياقوت في معجم البلدان (١ : ٢٤٢ و ٣ : ٦١) وفي
المشترك ص ٦٦) قوله (من البسيط) :

أَرَى الْبَنَانَةَ أَقْوَتَ بَعْدَ سَاكِهَا فَذَا سُدَيْرٌ وَأَقْوَى مِنْهُمْ أَقْرُ

(قال) البنانة ارض من بلاد غطفان . والبنانة ايضا . ما لبني جذيمة . والسُدَيْر موضع في ديار غطفان وقيل قاع بين البصرة والكوفة . وأقرُ جبل

٨ حنين الحيري الشاعر المغني

﴿تعريفه ودينه﴾ قال ابو الفرج في الاغانى (٢ : ١٢٠) : « حنين بن بلُوع الحيري مختلفٌ في نسبه قليل انه من العباديين وقيل انه من بني الحرث بن كعب وقيل انه من قوم بقوا من جدس وطسم فذلوا في بني الحرث بن كعب فعُدوا فيهم . ويكنى ابا كعب وكان شاعراً مغنياً فحلاً من فحول المغنين وله صنعة فاضلة متقدمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها وكان نصرانياً » (١)

وقال صاحب مسالك الابصار (Ms du Caire, 336-337) في فصله الذي خصّه بمشاهير اهل الموسيقى : « حنين الحيري مُطرب لا يرتفع اليه رأس مُطرق ، ولا ينتفع معه امل متشوق ، من سُراة اهل الغناء ، وُبرة الطرب للعناء ، يكاد سامعه يخرج من إهابه ، ويخرج بالتهايه ، ما حرك عوده الأفعم ، ولا بذت شفتيه إلا في نعم ، لو سمعه جبل لتحرك ، او دخل في أذن سوقه لظن انه قد تملك »

﴿اخباره﴾ حنين الحيري النجفي العبادي اخبار كثيرة تولّى جمعها اسحاق بن ابراهيم الموصلي في كتاب دعاه « اخبار حنين الحيري » ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ١٤١) وذكر أيضاً كتاباً آخر مثله (ص ١٤٨) لابي أيوب المدائني يستدل بهما على مقام حنين . واليه تُنسب الحُنيئات التي ورد ذكرها في شعر دعبل الحراعي في هجوه لابرهم بن المهدي الغني الشهير وكان البعض ياعوه بالخلافة فأتاه قومٌ ينتجعون عطاءه وهو لا يستطيع ان يرفضهم بشي . فقال دعبل يهجو ابرهم :

يا معشر الاجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطون حنيّةً يلتذها الأمردُ والاشمطُ
والمُعبداتُ لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تُربطُ
وهكذا يَرْزقُ قوادهُ خليفةٌ مُضخّفةُ الربطُ

قالوا الحُنيئاتُ اغاني منسوبة الى حنين النجفي العبادي الغني الشهير . والمعبداتُ

منسوبة الى مَعْبَدَ المغني والربط آلة تشبه العود فارسي معرّب (نزهة الجليس ١: ٢٦٧-٢٦٨)

سبق قول ابي الفرج ان حنيناً كان شاعراً ومغنياً . أما شعره فلم يبقَ منه إلا القليل .
وأما غناؤه فكثير وله الاصوات المتعددة التي ذكرها في الاغاني في اماكن عديدة
منها . وربما كان يتغنى بشعره وهو القائل يصف الحيرة ومثله فيها قال (من المنسرح):
انا حنينٌ وَمَنْزِلِي النَّجْفُ (١) وَمَا نَدِييَ إِلَّا الْفَتَى الْقَصِيفُ
أَقْرَعُ بِالْكَاسِ ثَغْرَ بَاطِيَةِ (٢) مُتْرَعَةٍ تَارَةً وَأَعْتَرَفُ
مَنْ قَهْوَةٍ بِأَكْرَ التِّجَارُ بِهَا بَيْتَ يَهُودٍ قَرَارُهَا الْخَزَفُ
وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَمَنْزِلِي خَصْبٌ لَمْ تَفْذِنِي شَقْوَةٌ وَلَا عَنَفٌ (٣)
فالشعر والغناء كلاهما لحنين

ومن اخبار حنين ما رواه عنه حماد الراوية قال (الاغاني ٢: ١٢٢) : قرأتُ على
ابي عن المدائني قال : كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل
التجنيات . فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب
القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقتَهُ وحسن قَدَمِهِ وحلاوته وخَفَّةَ رُوحِهِ
استحلوه واقام عندهم وخَفَّ لَهُمْ . فكان يسمع الغناء ويشتهيهِ وَيُصْغِي اليهِ وَيَسْتَمِعُهُ
ويطيل الاصغاء اليهِ فلا يكاد ينتفع به في شيء . اذا سمعهُ حتى شدا منه اصواتاً
فأسمعها الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت واشتهوا غناؤه والاستماع منه وعشْرَتُهُ
وشهر بالغناء وسهر فيه وبلغ منه كثيراً . ثم رحل الى عمر بن داود الوادي والى
حكم الوادي واخذ منها وغنى لنفسه في اشعار الناس فأجاد الصنعة واحكمها ولم
يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره .

وجاء في اخبار حنين لابي ايوب المدائني . ان ابن محرز احد كبار المغنين قدِمَ
وقتنز الكوفة وبها الامير بشير بن مروان وقد بلغه انه يشرب الشراب ويسمع
الغناء فصادفه قد خرج الى البصرة وبلغ خبره حنين بن بلّوع فتلطّف له حتى دعاه

(١) روى البكري في معجم ما استمعتم : وداري النجف

(٢) وىروى : اقمر بالكأس بطن باطية . (٣) وىروى : فالعيش غرض . . . لم يغزى

ففتّاهُ ابن محرز لحناً من جيد الاغاني فسمع حنين شيئاً هالاً وحيرَهُ فخشى ان يعرفهُ الناس فيستحلّونه ويستولي على البلد فيسقط هو فقال لابن محرز : كم مَنَتَكَ نفسك من العراق . قال : الف دينار . فقال : فهذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبداءتكَ ودّع العراق وامض مصاحباً حيث جئت واحلفُ انك لا تعود للعراق . (قال) وكان ابن محرز صغير الهمة لا يحب عشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فاخذها وانصرف

وقد اخبر حماد الراوية عن حنين (الاغاني ٢ : ١٢١) ان هشام بن عبد الملك حجّ مع عديله الارش الكلبى فوقف له حنين بظهر الكوفة معه عوده وزامر له وعليه قلنسوة طويلة . فلما مرّ به هشام عرض له فقال : من هذا ؟ فقيل له : حنين . فأمر به فحمل في محمل على جمل وعديله زامرهُ وسيّره امامهُ وهو يتغنّى (من مجزؤ الوافر) :
 أَمِنْ سَلَمَى بظَهْر الكو فةِ الايَاتُ والطللُ
 يلوحُ كما تلوحُ على جفونِ الصيّقلِ الخللُ
 (قال) فلم يزل هشام يستعيد الصوت حتى تزل من النجف فامر له بمائتي دينار وللزامر بمائة

واخبر اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٢-١٢٣) ان والى العراق خالد بن عبدالله الترسى حرّم الفناء بالعراق في آياه . ثمّ أُذِن للناس يوماً في الدخول عليه فدخل حنين ومعه عوده تحت ثيابه فقال : أصاح الله الامير كانت لي صناعة أعودُ بها على عيالي حرّمها الامير فاضرّ بي وبهم . فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا . فقال : غنّ . فحرّك اتارهُ وغنّى (في شعر عدي بن زيد العبادي) :

أيها الشامتُ المعرّبُ بالدهرِ أأنتُ البرّاءُ الموفورُ
 ام لديكُ العهدُ الوثيقُ من الايّامِ بل انت جاهل مغرورُ
 مَنْ رأيتُ المنونَ خلّدتُ ام مَنْ ذَا عليه من ان يُضامَ خنيرُ
 (قال) فبكى خالد وقال : « قد اذنتُ لك وحدك خاصة فلا تجالسنّ سنيهاً ولا معربداً . فكان اذا دُعِيَ قال : أفياكم سفيه او معربد ؟ فاذا قيل له : لا دخل

ومن ظريف ما روي عن الشعبي انه قال (الاغاني ٢ : ١٢٣) : لآ ولي بشر بن

مروان الكوفة كنتُ على مظالمه فأتيتُه عشيَّةً وحاجبُه أعينٌ صاحبٌ «حَمَامٌ أعينٌ جالسٌ»
 فقلتُ: «أعلمُه وخلاكُ ذمٌ» فقد حدثَ امرؤٌ لا بُدَّ لي من انهاءِه اليه ، وكان لا يجلسُ
 بالشيء . فقال : لا ولكن اكتبْ ما حاجتكُ في رقعةٍ حتى أوصلها اليه . فكتبتُ رقعةً فا
 لبث ان خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبي مَن يُحتشمُ منه . فأذن لي فقال : ادخل .
 فدخلتُ فإذا بشر بن مروان عليه غلالة رقيقة صفراء وملاءة تقوم قيساماً من شدَّة
 الصِّقال وعلى رأسِه اكليل من رَمانٍ وعلى يمينه عِكرمة بن ربعي وعلى يساره خالد
 ابن عتاب بن ورقاء . واذا بين يديه حُنين بن بلُوع معه عودُه . فسلمتُ فردَّ علي السلام
 ورَحَّب وقَرَّب ثم قال : يا ابا عمرو لو كان غيرك لم أذن له على هذه الحال . فقلتُ :
 أصلح الله الامير عندي لك السترُ لكل ما ارى منك والدخول معك فيما لا يحلُ
 والشكر على ما توليني . فقال : كذاكَ الظنُّ بك . ثم التفتُ الى حنين وعوده في
 حِجرِه وعليه قبا . خشك شوى (وقال اسحاق : خشكون) ومِثْنَةٌ حمراء وخُفَّان
 مكعبان فسأهم عليَّ فقلتُ له : كيف انت يا ابا كعب ؟ فقال : بخير ابا عمرو . فقلتُ :
 أحرق الزير وأرخِ الم . ففعل وضرب فاجاد . فقال بشر لاصحابه : تلومونني على ان
 أذن له في كل حال . ثم أقبل عليَّ فقال : ابا عمرو ومن اين وقَعَ اسك حرق الزير ؟
 فقلتُ : ظننتُ ان الامر هناك . قال : فان الامر كما ظننتُ هناك كله . ثم قال : فمن اين
 تعرف حنيناً ؟ فقلتُ : هذا بطةٌ أعراسنا فكيف لا أعرفُه . فضحك وغنى حنين فاجاد
 فطرب الامير وامر له بجائزة ثم ودَّعته وذلك بعد ان ذكرتُ له ما جئتُ فيه فامر لي
 بعشرة آلاف درهم وعشرة اثواب فقامتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ
 وقد جرى لحنين مع اهل حمص فصلٌ مضحك اخبر به فقال (الاغاني ٢ : ١٢٣) :
 خرجتُ الى حمص الشمس الكسبُ بها وأرتاد من استفيدُ منه شيئاً . فسألتُ عن الفتيان
 واين يجتمعون فقيل لي : عليك بالحمَّامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا . فجئتُ الى
 احدها فدخلتُ فإذا فيها جماعة منهم فأنستُ وانبسطتُ واخبرتُهم اني غريبٌ ثم خرجوا
 وخرجتُ معهم فذهبوا بي الى منزل احدهم . فلما قعدنا أتينَا بالطعام فاكلنا وأتينَا
 بالشراب فشربنا فقلتُ لهم : هل لكم في مغنٍ يفتيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟
 قلتُ : انا لكم . هاتوا عوداً . فأتيتُ به فابتدأتُ في هَيَّاتِ ابي عباد مَعْبَد . فكأنما
 غَنَّيتُ للحيطان لا فكُوهوا لغنائي ولا سُرُّوا به . فقلتُ : ثَقُلَ عليهم غناء معبد لكثرة

عليه وسدته وصعوبة مذهبه . فأخذت في غناء العريض فاذا هو عندهم كلا شي .
وَعَتَيْتُ خَفَانف ابْنُ سُرَيْجٍ وَاهْزَاجَ حَكَمٍ وَالْأَغَانِي الَّتِي لِي وَاجْتَهَدْتُ فِي أَنْ يَفْهَمُوا
فَلَمْ يَتَحَرَّكَ مِنْ الْقَوْمِ أَحَدٌ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : لَيْتَ أَبَا مُنْبَهٍ قَدْ جَاءَنَا . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
أَرَى أَنِّي سَأَفْتَضِحُ الْيَوْمَ بِأَبِي مُنْبَهٍ فَضِيحَةً لَمْ يَفْتَضِحْ بِهَا أَحَدٌ قَطُّ مِثْلَهَا . فَبَيْنَا نَحْنُ
كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ أَبُو مُنْبَهٍ وَإِذَا هُوَ شَيْخٌ عَلَيْهِ خَفَّانُ أَحْمَرَانِ كَأَنَّهُ جَمَالٌ فَوْشُوا جَمِيعاً
إِلَيْهِ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : يَا أَبَا مُنْبَهٍ ابْطَأْتَ عَلَيْنَا . وَقَدَّمُوا لَهُ الطَّعَامَ وَسَقَوْهُ أَقْداحاً
وَحَنَسْتُ أَنَا حَتَّى صَرْتُ كَلَّاشِي . خَوْفًا مِنْهُ . فَاخَذَ الْعُودَ ثُمَّ أُنْدَفَعَ يَغْنِي :

طَرِبَ الْبَحْرُ فَأَعْبَرِي يَا سَفِينَهُ لَا تَشْقِي عَلَى رِجَالِ الْمَدِينَةِ

وَأَقْبَلَ الْقَوْمُ يَصْفِقُونَ وَيَطْرِبُونَ وَيَشْرِبُونَ . ثُمَّ أَخَذَ فِي نَحْوِ هَذَا مِنَ الْغَنَاءِ .
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَنْتُمْ هَاهُنَا لَنْ أَصْبَحْتُ سَالماً لَا أُمْسِيْتُ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ
شَدَدْتُ رَحْلِي عَلَى نَاقَتِي وَاحْتَقَبْتُ رَكُوعَةً مِنْ شَرَابٍ وَرَحَلْتُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الْحَيَةِ وَقُلْتُ
(مِنْ الْخَفِيفِ) :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْبُثِي النَّاسَ قَةً بَيْنَ السَّيْرِ وَالصَّيْرِ
مُخْبِئاً رَكُوعَةً وَخَبَزَ رِقَاقٍ وَبُقُولاً وَقِطْعَةً مِنْ نُونٍ
لَسْتُ أَبْغِي زَاداً سِوَاهَا مِنَ الشَّامِ وَحَسْبِي عُلالَةٌ تَكْفِينِي
فَإِذَا أَتَيْتُ سَالماً قُلْتُ سَخَقاً وَبِعَاداً لِمَعَشَرٍ فَارَقُونِي

وقد استطرد صاحب الاغانى (٢: ١٢٥) فروى فصلاً في ذكر الحيرة واهلها ونقله
هنا عنه قال : كان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية فقال له رجل من
اهلها وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَبُ المثل في الجاهلية والاسلام . قال :
وبماذا تُمدح ؟ قال : «بصحة هوائها وطيب ماثها ونزهة ظاهرها تصلح للحنف والظلف .
سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرٍّ وبحر ، محلُّ الملوكة ومزارعهم ، ومسكنهم
ومشاهم ، وقد قدِّمتها اصلحك الله مُخِئّاً فرجعت مُثْقَلًا ودُرَّتْهَا مَقْلًا فأصارتك
مُكْثَرًا » . قال : وكيف تعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ . قلت : بان تصير اليّ ثم
أدعُ ما شئت من لذات العيش فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه . قال : فأصنع لنا صنيعاً

وأخرج من قولك . قلت : أفعل . فضع لهم طعاماً واطعمهم من خبزها وسمكها وما

صيد من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحبارى وسقاها ماءها في قلالها وخمرها في آنيها واجلسهم على رفقها وكان يتخذها من الفرش اشياء ظريفة ولم يستخدم لهم حراً ولا عبداً الا من مولديها ومولداتها من خدم ووصائف كأنهم اللؤلؤ لقتهم لغة اهلها ثم غناهم حنين واصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم واعشى همدان لم يتجاوزها وحياتهم براحينها ونقلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها ثم قال له: هل رأيتني استعنت على شيء مما رأيت واكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة؟ قال: لا والله ولقد احسنت صفة بلدك ونصرتة فاحسنت نصرتة والخروج بما قد تضمنته فبارك الله لكم في بلدكم

وبقي حنين يتردد في البلاد الى أيام شيخوخته: حدث شيخ من المكين يقال له شريس قال: انا لبا لأبطح (في مكة) أيام الموسم نشترى ونبيع اذ اقبل شيخ ابيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري اهو اشد بياضاً ام بغلته ام ثيابه فقال: اين بيت ابي موسى؟ فأشرنا له الى الحائط فضى حتى انتهى الى الظل من بيت ابي موسى ثم استقبلنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يغني في شعر الكثير:

أسعديني بدمعة أسراب من دموع كثيرة التسكاب

(قال) ثم صرف الرجل بغلته وذهب فتبعناه حتى ادر كناهُ فسالناه من هو .

فقال : انا حنين بن بلوع وانا رجل جمال اكري الابل ثم مضى

وقد اخبر ابراهيم بن المهدي (الاغاني ٢: ١٢٥-١٢٦) بنجر سمعه من حفيد

حنين قال: كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ فقناني عدة اصوات لجدّه فما استحسنتها لان الشيخ كان مشوّه الخلق طن الغناء قليل الحلاوة الا انه كان لا يفارق عمود الصوت ابداً حتى يفرغ منه فقناني صوت ابن سريج (في قول عترة):

فتركتُه جَزَرَ السباع يَنْشُتُهُ ما بين قَلَّةِ رأسه والمعصم

فاذكر اني سمعته من احدٍ قط احسن مما سمعته منه فقلت: لقد احسنت في

هذا الصوت وما هو من اغاني جدك ولا من اغاني بلدك واني لأعجب من ذلك .

فقال لي الشيخ: والصليب والقربان ما صنع هذا الصوت الا في منزلنا وفي سرّ داب

جدي ولقد كاد ان يأتي على نفس عمي فسألته عن الخبر في ذلك فقال: حدثني ابي

ان عبيد الله بن سريج قدم الحيرة ومعه ثلثمائة دينار اتى بها منزلاً في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال : انا رجل من اهل الحجاز من اهل مكة بلقني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر (من الوافر) :

حَسَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مِنْ رَأْيِي وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَتَى بِقَيْدِ
فَخَرَجْتُ بِهِذِهِ الدَّنَائِرِ لِأَنْفَقَهَا مَعَكَ وَنَتَعَاشِرَ حَتَّى تَتَفَدَّ وَأَنْصَرِفَ إِلَى مَنَازِلِي .

فسأله جدي عن اسمه ونسبه فغَيَّرَهما وانتمى الى بني مغزوم فأخذ جدي المال منه وقال : «مَوْفَرٌ مَالُكَ عَلَيْكَ وَالكَ عِنْدَنَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلُكَ مَا نَشِطْتُ لِلْمَقَامِ عِنْدَنَا فَإِذَا دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى بِلَدِكَ جَهَّزْنَاكَ إِلَيْهِمْ وَرَدَّ دُنَا عَلَيْكَ مَالُكَ وَأَخْلَفْنَا مَا انْفَقْتُهُ عَلَيْكَ إِنْ جِئْنَا . وَأَسْكَنْهُ دَارًا كَانَ يَنْفَرِدُ فِيهَا فَكَثُرَ عِنْدَنَا شُهْرَيْنِ لَا يَعْلَمُ جَدِّي وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِنَا أَنَّهُ يَغْنِي حَتَّى أَنْصَرِفَ جَدِّي مِنْ دَارِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ فِي يَوْمٍ صَاذِفٍ مَعَ قِيَامِ الظُّهْرِ فَصَارَ إِلَى بَابِ الدَّارِ الَّتِي كَانَ أَنْزَلَ ابْنَ سَرِيجٍ بِهَا فَوَجَدَهُ مُغْلَقًا فَارْتَابَ بِذَلِكَ وَدَقَّ الْبَابَ فَأَمَّ يُفْتَحُ لَهُ وَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ فَصَارَ إِلَى مَنَازِلِ الْحَرَمِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا بِنْتَهُ وَلَا جَوَارِيَهَا وَرَأَى مَا بَيْنَ الدَّارِ الَّتِي فِيهَا الْحَرَمُ وَدَارِ ابْنِ سَرِيجٍ مُفْتُوحًا فَانْتَضَى سَيْفَهُ وَدَخَلَ الدَّارَ لِيَقْتُلَ ابْنَتَهُ . فَلَمَّا دَخَلَهَا رَأَى ابْنَتَهُ وَجَوَارِيَهَا وَقَوفاً عَلَى بَابِ السَّرْدَابِ وَهَنَّ يَوْمئِذٍ إِلَيْهِ بِالسَّكُوتِ وَتَحْنِيفِ الْوُطْ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى إِشَارَتِهِنَّ إِلَّا تَدَاخَلَهُ إِلَى أَنْ سَمِعَ تَرَنُّمَ ابْنِ سَرِيجٍ بِهَذَا الصَّوْتِ فَأَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَصَاحَ بِهِ وَقَدْ عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ رَأَاهُ وَلَكِنْ بَالَنَعْتِ وَالْحِذْقِ : «أَبَا يُحْيَى جُعِلْتُ فِدَاكَ أَتَيْتُنَا بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ لَتَنْفَقَهَا عِنْدَنَا فِي حَايِرَتِنَا فَوْحَقَ الْمَسِيحِ لَا خَرَجَتْ مِنْهَا إِلَّا وَمَعَكَ ثَلَاثَةُ دِينَارٍ وَثَلَاثَةُ دِينَارٍ وَثَلَاثَةُ دِينَارٍ سِوَى مَا جَسَتْ بِهِ مَعَكَ» . ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فَاغْتَنَاهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَلَقِيَهُ بِخِلَافٍ مِمَّا كَانَ يَلْقَاهُ بِهِ وَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الصَّوْتِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ صَاغُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَصَارَ مَعَهُ إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ فَوَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ وَصَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمِثْلِهِ . فَلَمَّا ارَادَ الْخُرُوجَ رَدَّ عَلَيْهِ جَدِّي مَالَهُ وَجَهَّزَهُ وَوَصَلَهُ بِمَقْدَارِ نَفَقَتِهِ الَّتِي انْفَقَهَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحِيرَةِ وَرَجَعَ ابْنُ سَرِيجٍ إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ أَخَذَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ فِي دَارِنَا مِنْ هَذَا الصَّوْتِ

وقال اسحاق الموصلي (الآغا ١٢٥: ٢) : لم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى

حنين ألا نفرأ من السدريين (١) يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حمزة وكانوا يغنون غناء الحيرة بين المزج والنصب وهو الى النصب اقرب ولم يذروا منه شيئاً لسقوطه وانه ليس من اغاني الفحول وما سمعنا نحن لاحد من هؤلاء خبراً الا لما لك بن حمزة . . . وقال اسحاق (الاغاني ٢: ١٢١) قيل لحنين: انت تغني منذ خمسين سنة ما تركت لكريم مالا ولا داراً ولا عقاراً الا اتيت عليه . فقال: يا بني انتم انما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أقتلوموني ان أغلي بها الثمن

وقال وكيع في خبره عن اسحاق : عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين وكان يقال انه من جديس . (قال) وقيل ايضاً انه من لحم وكان هو يزعم انه عبادي واخوانه من بني الحرث بن كعب

أما سبب وقته فما حدث به حفيده عبيد قال (الاغاني ٢: ١٢٧): كان المغنون في عصر جدي اربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق والذين بالحجاز ابن سريج والفريض ومعبد فكان يبلغهم ان جدي حينئذ قد غنى في هذا الشعر (وهو لعدي ابن زيد) :

هلاً بكيت على الشبابِ الداهِبِ وكففت عن ذمّ المشيبِ الآيِبِ
هذا وربّ مُسوّفين سقيتهم من خمر بابل لذة للشارِبِ
بكروا عليّ بسحرة فضبحتهم من ذات كرنيب كقبح الحالبِ
بزجاجة ملّ اليدين كانها قنديلُ صبح في كنيسة راهِبِ

(قال) فاجتمعوا فتذاكروا امر جدي وقالوا: ما في الدنيا اهل صناعة شرّ منا لنا اخ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيه . فكتبوا اليه ووجهوا له نفقة وكتبوا يقولون: نحن ثلاثة وانت وحدك وانت أولى بزيارتنا . فشخص اليهم . فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلّونه فلم ير يوم كان اكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ . ودخلوا فلماً صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد: صيروا اليّ . فقال له ابن سريج : ان كان لك من الشرف والروثة مثل ما لمولاتي سكينّة بنت الحسين (بن ابي طالب) عطفتك اليك . فقال: ما لي من ذلك شي . وعدلوا الى منزل سكينّة . فلماً دخلوا اليها أذنت للناس إذناً عاماً فغصت الدار بهم وصعدوا

فوق السطح وامرت لهم بالطعمة فاكلوا منها ثم اتهم سألوا جدي حينئذ ان يغنيهم
صوته الذي اوله «هلاً بكيت على الشباب الذاهب» فغناهم آياه بعد ان قال لهم :
ابدأوا انتم . فقالوا : ما كنّا لتتقدمك ولا نفغي قبلك حتى نسمع هذا الصوت . فغناهم
آياه وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه فسقط
الرواق على من تحته فسلموا جميعاً وأخرجوا اصحاء . ومات حنين تحت الهدم فقالت
سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حنين سرورنا انتظرناه مدة طويلة كأننا والله
كنّا نسوقه الى منتهى

وقد ورد في اخبار حنين بن اسحاق المتطبب (طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة
١ : ١٨٩) نقلاً عن كتاب اللهو والملاهي للسرخسي أنه قال : وافاني في بعض الليالي
أيام المتوكل رسل من دار الخليفة يطالبونني ويقولون : الخليفة يريدك . ثم وافت
بعدهم طائفة ثم وافاني زرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى ادخلني الى
الخليفة فقال : يا سيدي هوذا حنين . (قال) فقال : ادفعوا الى زرافة ما ضمنا له . (قال)
فدفع اليه ثلاثون الف درهم ثم أقبل علي فقال : انا جائع فما ترى في العشاء ؟ فقلت
له في ذلك قولاً . فلما فرغ من اكله سألت عن الخبر فقيل لي ان مغنياً غناه صوتاً
فسأله لمن هو فقال : لحنين بن بلوع العبادي فامر زرافة بإحضار حنين بن بلوع العبادي
فقال له : يا امير المؤمنين لا اعرفه . فقال : لا بُدّ منه وان احضرته فلك ثلاثون الف
درهم . (قال) فاحضرني ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسه من التبيذ وحضرت
وقد جاع فاشرت عليه بان يقطع التبيذ ويتعشى وينام ففعل

٩ الاخلل التغلي

ليس بين شعراء النصرانية بعد الاسلام شاعر بلغ مبلغ الاخلل التغلي بمجودة
شعره ومئاته وغزواته وتقشيره . وقد اتفق على ذلك كل ارباب النقد على اختلاف
تزعاتهم واديانهم ومواطنهم . فلا يسعنا ان نضرب صفحاً عنه في ذكرنا لشعراء
النصرانية في عهد بني امية وهو شاعرهم غير منازع يفتخرون به ويحلوونه محل
ندماهم واعز اصدقائهم ويميزون له ما لا يميزونه لسواه من اصحابهم

على ان احد اخوتنا حضرة الاب انطون صالحاني قد شُغف به وبشعره منذ ثلثين سنة فلم يدع كبيرة ولا صغيرة من اموره الا كشف عنها القناع استناداً الى ثلث نسخ من ديوانه والى ما ورد من اخباره المتفرقة في عشرات من تأليف الادباء وهو لا يزال يكذ ذهنه ويسهر جفنه ليلتقط ما لعلهُ فاته من آثاره ويُعدُّ فهارسه التي ستكون طبعة ديوانه بتاج من الكمال لا نظن ان شاعراً آخر اصاب مثله . وعليه لم يبق لنا الا ان نفرف من هذا البحر الطامي ونستخرج بعض دراريه لنصوغ لشاعرنا قلادة صغيرة محيلين قراءنا الى ما جمعه رصيفنا المفضال

❖ اصل الاخطل ونسبه وصباه ❖ هو ابو مالك غياث بن غوث من قبيلة غنم ابن تغلب . كان مولده في اواسط القرن السابع للميلاد نحو السنة ٦٤٠ م . ولد في الجزيرة اي ما بين النهرين حيث كانت منازل تغلب في جهات الرقة والرصافة . وكان ابوه غوث من وجوه قومه وأبوه ليلى تُعرف بأم كعب وكلت تحبه وتُغنى بأمره . وكان الولد اشهب الشعر لطيف المنظر فعلقَت على صدره صليبا لم يترعه عن صدره حتى في أيام كهولته وعند دخوله على الخلفاء فُعرف لذلك بذي الصليب . ما كاد الولد يبلغ أشده حتى ظهرت فيه ملامح النجابة والذكاء ولعلهُ نفقه في اصول القراءة والكتابة على بعض كهنة قومه . وما يلوخ من بعض اعماله في صباه انه كان فرها جريئاً سليط اللسان لا يهاب سطوة اكبر منه فلقبوه بالاخطل اي السفية . وسيع الشعر من بعض مواطنيه فتنبه اليه ذهنه ووجد في قريحته شعداً تُعربه فقال له وهو غلام مترعر

❖ دينه ❖ ولد الاخطل نصرانياً وتلقن مبادئ دينه في حداثة وثبت عليه في مدى حياته . والمرجح انه كان على مذهب يعقوبية الذي كان شاع في قبائل البادية . وكان الاخطل يجاهر بدينه لا يعمل فيه الحياء البشري . والدليل عليه دخوله على الخلفاء والصليب على صدره لا يخجل من حملهِ علانية . كما ان هجاء اقاربه الشعراء ولاسيما جريز لم يؤثر فيه . من هذا القبيل . ولأعرض عليه الخليفة عبد الملك ان يدين بالاسلام أبي ونجامة بأبيات هزلية . وسمعه هشام بن عبد الملك ينشد في قصيدته اللامية
قوله :

❖ واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ❖ ذخراً يكون كصالح الاعمال ❖

فقال له: هنيئاً لك يا ابا مالك هذا الاسلام. فقال له: يا امير المؤمنين ما زلت مسلماً في ديني. ولأدعاه بعضهم في الكوفة الى دخول مسجد بني رؤاس ليصلي وكان مؤذنتهم نادى بالصلاة قال (من الوافر):

أصلي حيث تُدركني صلاتي وليس البرُّ عند بني رؤاس
وربما قرَّعوه بالكفر فكان لا يكثر لشتهم. وعلى خلاف ذلك كان يرضخ
لاوامر رؤسانه النصارى وينتقرب اليهم في اسرار دينه فكان يقوم بين يدي قسيسه
لأخذ القربان كما بكتته عليه جرير بعد قوله (من الطويل):

وأتى لقوامٌ مقاومٌ لم يكن جريراً ولا مولى جرير يقومها
بل كان مع إبانهِ وعزّة نفسه لا يستنكف من تأديب رؤسانهِ له كما أخبر عنه
في الاغاني ابو الفرج عن احد الرواة انه رأى القس في الجزيرة وقد قبض بلحية
الاخطل وضربه بعصا، وهو يصيح كما يصيح الفرخ فقال له: اين هذا مما كنت فيه
بالكوفة. فقال لا فضّ فوه: يا ابن اخي اذا جاء الدين ذلّلنا (الديوان ٣٣٧)

واعجب منه ما رواه هناك ايضاً اسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نون عن تذللّه
في دمشق لقسيسه وفي طبقات الجعفي (ص ١٤٤) لاسقته قال (الاغاني ٧: ١٨٢-١٨٣):
«قدمت الشام وانا شاب مع ابي فكنت اطوف في كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة
دمشق واذا الاخطل محبوس فجلست انظر اليه فسأل عني فأخبر بسبي فقال: يا فتى انك لرجل
شريف واني اسألك حاجة. فقلت: حاجتك مقضية. قال: ان القس حسني ها هنا فكلّمه
ليخلي عني. فأتيت القس فأتسبت له فرحب وعظم. قلت: ان لي اليك حاجة. قال: ما
حاجتك. قلت: الاخطل تخلي عنه. قال: «اعيدك بالله من هذا». مثلك لا يتكلّم فيه فاسق
يشتم اعراض الناس ويحجّوهم». فلم ازل اطلب اليه حتى مضى معي مشككاً على عصاه فوقف
وجعل يمدّده ورفع عليه عصاه وقال: «يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتحجّوهم وتغذف
المحسّنات» وهو يتضرّع اليه ويقول: «لست بمائد ولا افعل» ويستغذي له. (قال)
فقلت له: «يا ابا مالك الناس يحابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك وانت
تخضع لهذا الخضوع وتستغذي له». (قال) فجعل يقول لي: انه الدين انه الدين»

وآثار الدين في شعر الاخطل قليلة سواء كان السبب ضياع بعض شعره ام
بالاحرى لعدم وجوده داعياً لوصف الدين. وفي ديوانه انه كان يحلف بالانجيل والقربان.
وفي شعره اشارات واستعارات منقولة عن عادات النصارى ومعتقداتهم وقد تكرّر

فيه ذكر الانبياء والجنّة والخلود. وقبلها تجمّد قصيدة بين قصائده الأدلّت على تدبّره ان لم تدلّ على نصرانيّته

﴿ اتصال الاخطل بالخلفاء ﴾ تنقّل الاخطل في البلاد مع قبيلته تغلب الرّحّل فسكن البادية المجاورة للفرات عند قومه بني مالك وعاش مدّة في الحيرة حتى قال عنه في الاغانى (٧: ١٧٠) انه « كان نصرانيّاً من اهل الحيرة » وقد مرّ لنا ذكر مروره بالكوفة ثمّ غي خبره الى الخلفاء بني أميّة فرحل اليهم الى دمشق فما لبث ان حظي عندهم اوفر حظوى لما سمعوا انشاده واختبروا جودة قريحته وغازاة مادّته ورسوخ قدمه في صناعة الشعر وابتكاره للمعاني البليغة وصوغها في الطّف ديباجة من اللفظ. وقد مدح خلفاء الامويين مباشرة بيزيد بن معاوية ثمّ نظم القصائد الطنّانة في عبد الملك بن مروان وفي هشام والوليد ابني عبد الملك فأولع الخلفاء بشعره وحملهم تفضيلهم له على غيره الى ان دعوه بشاعر بني أميّة واكرموه ايّ اكرام واغزروا عليه صلّاتهم بل حدا بهم حبهم له انهم اتّخذوه كنديهم ولم يؤاخذوه بشربه الخمر. وكان عبد الملك خصوصاً معجباً به اخبر ابو عمرو (الاجاني: ٧: ١٧٧-١٧٨) قال : لقد كان الاخطل يجيىء وعليه جبّة خزّ وحرز خزّ في عنقه سلسلة ذهب تنفضّ لحيته خمرّاً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن. فلما انشده قصيدته الرائيّة التي اولّها (من البسيط) :

خفّ القطين فراحوا منك او بكرّوا وأزعجتهم نوى في صرّها غير

قال عبد الملك لاعلامه : خذ بيده يا غلام فأخرجّه ثمّ ألّق عليه من الخلع ما يغمّره وأحسن جائزته . ثمّ قال : انّ لكل قوم شاعراً وانّ شاعر بني أميّة الاخطل وفي الاغانى (٧: ١٧٥) نكتة هزليّة رواها قبل النشادر القصيدة السابقة قال :

« دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فقال : قد يبس حلقى فتر من يسقيني ؟ فقال : اسقوه ماء . فقال : شراب الحمار وهو عندنا كثير . فقال : فاسقوه لبناً . قال : عن اللبن فطمت . قال : فاسقوه عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتر يد ماذا ؟ قال : خمرّاً يا امير المؤمنين . قال : او عهدتني اسقي الخمر لا أمّ لك لولا حرّ مثك بنا لعملت بك وفعلت . فخرج فلقي فراساً لعبد الملك فقال : ويلك انّ امير المؤمنين استنشدني وقد صجّل صوتي فأسقني شربة خمر . فسقاه فقال : أعد له بأخر . فسقاه آخر . فقال : تركتها يعتركان في بطني . أسقني ثالثاً .

فسقاهُ ثالثاً فقال : تركتني امشي على واحدة أعدِلْ مَيْلِي برابع . فسقاهُ رابعاً فدخل على عبد الملك فأنشدهُ »

قال الاصمعي فلما أنشدهُ قصيدتهُ « خَفَ القطينُ » جعلتُ أرى عبد الملك يتناولُ لها ثم قال : ويحك يا اخطل أنريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعرُ العرب ؟ قال : اكتفي بقول امير المؤمنين . وامر لهُ بحفنة كانت بين يديه فمُلئت دراهم والقي عليه خلعاُ وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعرُ العرب

وكما تقرّد الاخطل بمديح بني امية قد برز ايضاً في مديح كبار دولتهم واعيان زمانه كبشر بن مروان والحجاج بن يوسف وعكرمة الفياض ومُضقلة بن هبيرة وهام بن مُطَرِّف ويزيد بن المهلب وكثيرين غيرهم . وكانوا كلهم يفضلون مديحه على كل نفيس ثمين

جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان (٢ : ٣٥٠-٣٥١) وفي تحفة المجالس للسيوطي (ص ٢٠٢) وغيرهما انّ الحجاج بن يوسف حبس يزيد بن المهلب (والي خراسان) لبقايا كانت عليه من خراج خراسان وأقسمَ لِيَسْتَأْذِي منه كل يوم مائة ألف درهم . فبينما هو يوماً وقد اختلّى فيه اذ دخل عليه الاخطل فأنشدهُ (من الطويل) :

أبا خالدٍ ضاعت خراسانُ بعدكم وقال ذوو الحاجاتِ ابنُ يزيدُ
وما قطرتْ بالريِّ بعدك قطرةُ ولا أخضرُ بالمرؤنينِ بعدك عُودُ
وما للسريّر بعد مُلْكك بهجةُ ولا لجوادٍ بعد جودك جودُ

فقال : يا غلام أعطه المائة ألف درهم وانا اصبرُ على عذاب الحجاج ولا تُخيب الاخطل . فبلغ الحجاج فقال : لله درُّ ابن المهلب لو كان تاركاً للسُخاء لتركه وهو يتروّع الموت فمضى عنه وخلّى سبيله ١)

(١) اطلب ديوان الاخطل (ص ٣٨١-٣٨٢) وراجع ما ورد هناك في نسبة هذه الايات لغير

﴿ رُتِبَ الاخطل بين الشعراء ﴾ اذا ما جمعنا ما حَكَمَ به ارباب اللغة واصحاب النقد الصحيح عن شعر الاخطل لا تَضِح لنا انه بلغ رتبة اكبر شعراء العرب وكلهم ينظمه بين فحولهم الاولين . وكفى به فخراً ان ابا عمرو بن العلاء جعله في عهد الاسلام شبيهاً بالنابغة الذبياني في الجاهلية ويفضله لصحة شعره . وقد قال عنه (الاغاني ٧: ١٧٤-١٧٥) : « لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهلية لما فَضِلْتُ عليه احداً » . ومثله ابو عبيدة كان يقول : « شعراء الاسلام الاخطل ثم جرير ثم الفرزدق » . والاخطل اشبه بالجاهلية واشدهم أَسْرَ شعرٍ واقلمهم سقطاً » . وروى ابن قتبية في الشعر والشعراء (ص ٣٠١) لَمَسْلَمَةَ بن عبد الملك انه شَبَّه الاخطل وجريراً والفرزدق بثلاثة افراس تجري في حلبة السباق فقال : ان الاخطل سابقٌ ابداً في كل حالاته بخلاف جرير والفرزدق اللذين يتقدمان حيناً ويتخلفان حيناً آخر . وقد خُصُوا الاخطل بالتقدم في الوصف والفخر ومدحوا هَجْوُهُ فقالوا : انه كان اخبث الشعراء هجاء في عفافٍ من الفحش . والفحش كثير في شعر جرير والفرزدق . وسئل حماد الراوية عن الاخطل فقال : « ما تسألوني عن رجل قد حَبَّبَ شعره الي النصرانية » . ثم قال : اشعر العرب شيخاً واثلاً : الاعشى في الجاهلية وهو صنّاجة العرب . والاخطل في الاسلام »

ولما كان الفضل ما اقترت به الاعداء . يحسن بنا هنا ان نروي ما اخبر به نوح بن جرير (الاغاني ٧: ١٧٢) قال : بينا انا آكل مع لي يوماً وفي فيه لقمة وفي يده اخرى فقلت : لا ابتِ انت اشعر ام الاخطل ؟ فبحرَضَ بلقمتِهِ التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال : « يا بُني لقد سررتني وسوتني فامّا سرورك اَيّاي فتعهّدك لي مثل هذا وسوّالك عنه . واما ما سوتني به فذكرك رجلاً قد مات . يا بُني ادركتُ الاخطل وله نابٌ واحد ولو ادركته وله نابانٍ لأَكلني . ولكنّي أُعِنْتُ عليه بكفر (يريد نصرانيته) وكبر سن »

﴿ اخبار الاخطل في حروب قومه ﴾ لما توفي يزيد بن معاوية الخليفة الاموي سنة ٦٤ (٦٨٣ م) اعتزل ابنه معاوية الثاني بعد مئة يوم . وباع الناس عبد الله بن الزبير في المدينة اُماً اهل الشام فبايعوا مروان بن الحكم فكان ذلك سبباً لحرب عوان وقعت بين الخليفتين كان فيها النصر لمروان على خصمه في مَرَجٍ راهطٍ قريباً من دمشق . وكان التغلبيون يناصرون مروان بخلاف القيسيين الذين حاربوا مع عبد الله

ابن الزبير . فثبتت العداوة مدةً بين القبيلتين ووقعت عدةٌ وقائع بينها كان الظفر فيها سبجاً للاحدى القبيلتين وكان الاخطل يحارب القيسيين مع تغلب وله في وصف تلك الحروب قصائد يصف ويلاتها ويذكر فظائع قيس وروسانهم كزُفر بن الحارث وعُمير بن الحُباب والجحاف . وفي احد ايام هذه الحروب في يوم البشر قُتل ابو الاخطل غياث وقيل بل هو ابنه ابو غياث ووقع الاخطل في اُسر الاعداء . قال ياقوت في معجم البلدان (١ : ٦٣١-٦٣٢) : « اُسِر الاخطل وعليه عباءة فظنوه عبداً وسئل فقال : انا عبد . فخلني سبياهُ فيخشي ان يُعرف فيُقتل فرمى نفسه في جب من جبابهم فلم يزل فيه حتى انصرف القوم فنجوا . وعظم قَدْر التغلبيين في عين بني امية وحملوا ديات القوم . على ان الاخطل فارت في قلبه فائزة الغضب اذ بلغه يوماً بعد صلح القبايل ان عبد الملك استنزل زُفر بن الحارث من قصره في قرقيسيا وأعدّه معه في سريره . فدخل عليه ابن ذي الكلاع وكان قومه حاربوا مع تغلب وبني امية فلما رأى زفر على السرير بكى فقال له عبد الملك : ما يبكيك فقال : يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك ثم هو معك على السرير وانا على الارض . قال : اني لم اجلسه معي لانه اكرم علي منك ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني . فقال الاخطل لما أخبر بذلك : أما والله لأقومن في ذلك مقاماً لم يَقمه ابن ذي كلاع ثم دخل على عبد الملك فلما ملأ عينه منه قال (من الوافر) :

وكأسٍ مثل عين الديكِ صرفٍ تُنسي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلثاً بغير الماء حاول ان يَطولا
مَشَى قُرْشِيَّةً لا عَيْبَ فيها وأرعى من مآزره الفصولا
فقال له عبد الملك : ما أخرج هذا منك يا ابا مالك الأخطة (خلة)؟ في رأسك
قال : أجل يا امير المؤمنين حين تُجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل
بالأمس :

لمبري لقد أبقت ربيعة راطح
لمروان صدعاً بيننا مُتنائياً

فلا ضلحَ حتى تَنَحَّطَ الحَيْلُ بالقَنَا وتثَّارُ من نسوانِ كلبِ نَسَانِيَا
فقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثَّرَى وتبقى خَزَايَا النفوسِ كَمَا هِيَا

(قال) فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر قلبه عن السرير . وقال :
أَذْهَبَ اللهُ خَزَايَا تِلْكَ الصُّدُورِ . فقال : انشدك الله يا امير المؤمنين والهد الذي
اعطيتني . فكان زفر يقول : ما ايقنت بالوت قط الا تلك الساعة حين قال الاخطل
ما قال (الاغاني ٧ : ١٧٦ - ١٧٧)

﴿ موت الاخطل ﴾ قال حضرة ناشر ديوان الاخطل (ص ٣٧١) : ان الاخطل
عمر عمرًا طويلاً حتى قيل عنه انه شيخ قد تحطم (الاغاني ٧ : ١٧٢) وانه دخل
بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنَّ وثقَدَ أكثرُ عمره . (الاغاني ٧ : ٣٨)
ووصف بانه رجل ابيض الرأس واللحية (الاغاني ٩ : ١٦٩) فاستنتج حضرته من
هذه الأدلة ان الاخطل يكون توفي نحو السنة ٦٩٢ هـ اي ٧١٠ للمسيح . قال
حضرته : « ألا ان شوكته في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادة نافذة يرشدك الى
ذلك قصائد درية نظم جواهرها في آخر حياته . وكانت وفاته في خلافة الوليد بن
عبد الملك وله فيه عدة قصائد امتدح بها »

وروى صاحب الاغاني (٧ : ٦) ان الوليد بن عبد الملك قال لجرير : فما تقول في
الاخطل ؟ قال : ما أخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات .
واخبر ايضاً (٧ : ١٨٠) انه لما حضرت الاخطل الوفاة قيل له : يا ابا مالك ألا توصي
فقال (من المتقارب) :

أوصي الفرزدقَ عند المماتِ بأم جريرٍ وأعيارِها
وزار القبورَ ابو مالكٍ برغم العداةِ وأوتارِها

﴿ ديوان الاخطل ﴾ روى ابن الاعرابي في كتاب الفهرست لابن النديم (ص
٧٨ و ١٥٧) ان ابا سعيد الحسن المعروف بالسكري « عَمِلَ شعر الاخطل وجوده »
اي ضبطه ونظمه . وانما كانت نسخة هذا الديوان اعز من بيض الأنوق . ولقد كان
يُعرف منها الى السنة ١٨٨٧ نسخة وحيدة قديمة في بطرسبورج كان يصعب الاطلاع

عليها . ففي السنة ١٨٨٧ اهـدى الى مكتبتنا الشرقية احد الاصحاب عدّة من المخطوطات التي كان الحلبي الشهير والاديب البارع رزق الله حُسن نسخها بخطه الجميل نسخاً بديعاً على ورق صقيل مزّين الاطراف بنقوش صناعيّة رائعة . فكان من جملة نسخها من ديوان الاخطل منقولة عن نسخة بطرسبورج . فنبّه وجودها خاطر حضرة الاب صالحاني واستفرّغه النخوة لشرها كأثر فريد في جنسه . ثم كتب لناظر مكتبة بطرسبورج المستشرق الطيّب الذكر البارون فون روزن قتلطّف وقابل النسخة الحُسنيّة على الاصل الذي ترى منه مثالا في صدر طبعتنا . فتحفّز الاب الفيور بعد ذلك للعمل ونشر الديوان بأهبة علميّة مستوفية ضاعت قيمته فبلغ مع حواشيه وملحوظاته المتنوّعة ٤٠٠ صفحة في اربعة اقسام . هذا فضلاً عن طبعه البديع الذي قلّمَا يُشبهه كتاب آخر في مطبوعات الشرق والغرب

ولمّا كانت السنة ١٩٠٥ توفّق حضرة الاب انستاس الكرملّي المرسل في بغداد فوجد نسخة مخطوطة من ديوان الاخطل في دار السلام . فتسكّن متولّي طبع الديوان من اقتنائها بهمة الاب الكرملّي فنشرها بتصوير النور وطبع الحجر لما فيها من الزيادات والروايات والشروح التي لا توجد في نسخة بطرسبورج ودلّ على كلّ ذلك بتدقيقات وفهارس متقنة . فجاء هذا الاثر طرفة جديدة تضاف الى السابقة

وبعد ذلك بسنتين أطلع جناب الدكتور الايطالي والمستشرق اوجينوس غريفيّني الاب صالحاني على نسخة ثالثة وُجدت في اليمن ذات فوائد جمّة فرضي ان ينشرها في مطبعتنا كتنمّة للنسختين السابقتين . وقد علّق عليها ايضاً كثير من التعليقات المفيدة والفهارس المدقّقة مع المقدّمات المتنوّعة . فزاد اقبال العلماء على هذا الديوان الجميل

ثمّ بلغ حضرة الابان في الاستانة العليّة في المكتبة المعروفة بالعموميّة (ع ٥٤٧) نسخة فريدة قديمة جداً بخط يقرب من الخط الكوفي من نقائض جرير والاخطل فيها عدّة قصائد ايسر في نسخ الديوان او هي اتمّ منها . فلم يصبر عنها حتى تجشّم السفر الى عاصمة الدولة والحرب على وشك الانتشاب فاستنسخها واعدها للطبع في بهرة الحرب فما كادت تحطّ اوزارها حتى باشر بنشرها فجاءت اثرّاً رابعاً لا يقلّ

ثمَّه عن الآثار المتقدمة كما شرحنا ذلك في مقالة انتقادية في المشرق (٢٠: [١٩٢٢]):

(١٤٨-١٤٤)

ويُضاف الى المطبوعات السابقة ملحقٌ على ديوان الاخطل «يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات وفهارس للاعلام والالفاظ اللغوية ظهر منه قسمه الاول في ١٠٢ صفحات دقيقة الحروف وسيظهر عمّا قريب ان شاء الله قسمه الثاني الاخير . جازى الله اوfer جزاء القاتم بهذا العمل الذي تنزه تحت عبئه مناكب الفحول

﴿ نخبة من شعره ﴾ اننا لو حاولنا ان نختار شيئاً من ديوان الاخطل اصابنا ما اصاب تلك الاعرابية التي سُئلت عن اي اولادها احب اليها والافضل لديها فكانت اذا ذكرت الواحد منهم بعد الآخر قالت انه الاحب اليها والافضل حتى انتهت الى قولها بعد حيرتها : انهم كالحلقة المفرغة لا يُدرى اين طرفها . فكذلك اذا اعتبرنا قصائد الاخطل وجدنا كلاً منها جديرة بالذكر لمحاسنها . على اننا في آخر امرنا اضطررنا ضيق المجال ان نثبت نتفاً قليلة من شعره نجعلها كمثل في كل باب

﴿ اقوال الاخطل في الوصف ﴾ للشاعر التغلبي في هذا المعنى اقوال جميلة من الشعر الحر حتى قيل عنه انه فاق على سواه من الشعراء بالوصف فله في الزهد (الديوان ١٧٦-١٧٧) (من الطويل) :

وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تُكْثِرْ أَعْذَلَا	أَعَاذِلْتِي الْيَوْمَ وَنِيحَكُمَا مَهَلَا
سَأَصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُودًا وَلَا بُحْلًا	ذَرَانِي تَجِدْ كَفِّي بِمَالِي فَأَنِّي
عَلِيٍّ وَخَلَيْتُ الْمَطِيَّةَ وَالرَّحْلَا	إِذَا وَضَعُوا فَوْقَ الضَّرِيحِ جَنَادِلَا
عَلَى فَاجِعٍ قَامَتْ مَشِيقَةُ عُظْلَا (١)	وَأَبْكَيْتُ مِنْ عِثَانٍ كُلِّ كَرِيمَةٍ
كَأَنَّ لَمْ تُتِ قَبْلِي غَلَامًا وَلَا كَهْلَا	مُدْمِيَةً حُرًّا مِنْ الْوَجْهِ حَاسِرًا

(١) عثبان قوم من بني تغلب . والفاجع امرأته الكلى . والمشيقة التي تشق ثياباً حزناً .

وقد كنتُ فيما قد بنى لي حافري
فلا انا مجتازُ اذا ما نزلتهُ
وقد قسموا مالي وأضحت حلالتي
أعاذِلَ انَّ النفسَ في كفِّ مالكِ
ذريني فلا مالي يَرُدُّ منيتي
وليس بخيلُ النفسِ بالمالِ خالداً
ألا رُبَّ مَنْ يَخْشَى نوابِ قومِهِ
ويا رُبَّ غادٍ وهو يُرجى إياهُ
وقد اشتهر وصفهُ للفرات عند فيضانه (٩٦-٩٧) شبه به كرم الخليفة يزيد بن معاوية (من الطويل) :

وما مُزِيدٌ يعلو جزائرَ حامرٍ
يَشْقُ إليها خَيْرُ راناً وغَرَقدا (٣)
تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةِ بَعْدَ مَا
كَسَا سُورَها الأَعْلَى غُثّاً مُنْضِداً (٤)
يَقْمِصُ بِالْمَلَّاحِ حَتَّى يَشْفَهُ م
الْجِدَارُ وَانْ كَانَ الْمَشِيحَ الْمُعَوِّداً (٥)
بِمُطَرِّدِ الْأَذْيِ جَوْنِ كَأَمَّا
زَفَا بِالْقَرَاقِيرِ النَّعَامَ الْمُطَرِّداً (٦)
(١) يقول أن حافر قبري قد بناه 'توأ' أي منصوب البناء. ودخل أي كالسراب تحت الأرض
(٢) أي يجعل لنفسه قفلاً ليصونها من الموت

(٣) ويروي : جلاميد حامر وحامر ناحية بين منبج والرقة على شاطئ الفرات. والغرقدا كبير الموسج
(٤) عانة قرية على الفرات. والغناء ما ينفذه النهر من الزبد وغفايات النبات والاوراق. والمضد المتراكم
(٥) يقمص بالملاح أي يوقع اضطراباً في السفينة حتى يُخيف الملاح من سورتها وان كان مشيحاً أي حاذقاً في تدبير السفن
(٦) المطرد المتتابع. والأذي الموج والجون الأبيض المزد. وزفا حث. أي يدفع الفرات بامواجه المتوالية المردة سفينة الملاح المشبهة بشراها الأبيض طير النعام الاثر جاحيه عند

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافٌ لَصَرَ خَدَا (١)
بَأَجُودَ سَيِّبًا مِنْ يَزِيدٍ إِذَا غَدَتُ بِهِ بُخْتُهُ يَحِمَانُ مُلْكًا وَسُودَادَا (٢)
وَكَمْ أَجَادَ الْاِخْطَلُ بِوَصْفِ صَيْدِ ثَوْرِ الْوَحْشِ فَلَهُ فِيهِ كُلُّ حَسَنَةٍ كَقَوْلِهِ (٢٦٠-٢٦٢)
يَشْبَهُ نَاقَتَهُ بَعْدَ طَوْلِ سَيْرِهَا بِضُمُورِ الثَّوْرِ (مِنْ الْبَسِيطِ) :

كَأَنَّهَا بَعْدَ ضَمِّ السَّيْرِ جَبَلَتْهَا مِنْ وَحْشٍ غَزَّةٌ مَوْشِي الشَّوَى لَهَقُ (٣)
بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ هَاجَتْ بِوَارِحِهَا وَمُرْزَمٌ مِنْ سَحَابِ الْعَيْنِ يَأْتَلِقُ (٤)
يَلُودُ لَيْلَتُهُ مِنْهَا بِغَرْقَدَةٍ وَالْغَصْنُ يُنْطَفُ فَوْقَ الْمَتْنِ وَالْوَرَقُ (٥)
بَاتَ إِلَى جَانِبِ مِنْهَا يَكْفُهُ لَيْلٌ طَوِيلٌ وَقَلْبٌ خَائِفٌ أَرَقُ (٦)
فَالْفَطْرُ كَاللُّوْلُوِ الْمَثُورِ يَنْفُضُهُ إِذَا أَقْشَرَ بِهِ سِرْبَالُهُ اللَّثِقُ (٧)
حَتَّى إِذَا كَادَ ضَوْءُ الصُّبْحِ يَفْضَحُهُ وَكَادَ عَنْهُ سَوَادُ اللَّيْلِ يَنْطَلِقُ
هَاجَتْ لَهُ ذُبُلٌ مُسْحٌ جَوَاعِرُهَا كَأَنَّهَا هُنَّ مِنْ نَبِيَّةٍ شَقَقُ (٨)
فَظَلَّ يَهْوِي إِلَى أَمْرِ يُسَاقُ لَهُ وَأَتْبَعَتْهُ كِلَابُ الْحَيِّ تَسْبِقُ (٩)

(١) بنات الماء الطير . والحجرات نواحي النهر . شبه الطير بأباريق من الحمر يرسلها أهل دِيَافٍ إلى أهل صَرَخَدَ وهما قربتان في حوران (٢) البُخْتُ الأبل الحراسانية (٣) يقول إن نَاقَتَهُ بعد أن اضمر السَّيْرَ جَبَلَتْهَا أي بدَّعَهَا اشبهت ثور وحش يرى في الخاء غَزَّةً . وجلدُ شَوَاهٍ أي قَوَائِهِ . مَوْشِي أي شبيه بالوشي . واللَّهْقُ واللَّهْقُ الشديد البياض (٤) البوارح الرياح الشديدة ثم استعار للسحاب عينًا . مُرْزَمٌ أي أسمع صوت الرعد حينًا وتأتلق أي تبرز حينًا آخر (٥) أي يأوي ليلته تحت غَرْقَدَةٍ أي عوسجة كبيرة ينزل على جسمه منها نقط المطر التي تقطر عليه من أغصان الزرقدة وإوراقها (٦) منها أي من الزرقدة . يَكْفُهُ يَلْبَسُهُ ذات اليمين وذات الشمال أطول الليل ولحوفه من الريح والمطر . وهو أَرَقُ أي ساهر يقظان (٧) سِرْبَالُهُ جلده . واللَّثِقُ البتل (٨) هَاجَتْ لَهُ أي ثارت كلابُ ذُبُلٍ أي ضامرة . مُسْحٌ جَوَاعِرُهَا أي دقيقة المؤخر تشبه بضمورها القمي المتخذة من شجرة النَّبْعِ (٩) جوي إلى أمر يساق له أي يجبط سائرًا إلى موته

يُفَرِّجُ الْمَوْتَ عَنْهُ قَدْ تَحَضَّرَهُ وَكِدْنَ يَلْحَقْنَهُ اَوْ قَدْ دَنَا اللَّحَقُ (١)
لَمَّا لِحْنٌ بِهِ أَنَحَى بِمَقُولِهِ يَمْلَأُ فَرَائِضَهَا مِنْ طَعْنِهِ الْعَلَقُ (٢)
فَكَرُّ ذُو حَرْبَةٍ يَحْمِي حَقِيقَتَهُ إِذَا نَحَا لِكُلَّهَا الرُّوقُ يَمْتَرِقُ (٣)
فَهُنَّ مِنْ بَيْنِ مَتْرُوكٍ بِهِ رَمَقٌ صَرَعِي وَآخِرُ لَمْ يُتْرَكْ بِهِ رَمَقُ (٤)
وَمِنْ أَوْصَافِهِ قَوْلُهُ (ص ٣-٤) فِي خَمْرِ بَيْسَانَ مِنْ قَرْيَ فِلَسْطِينَ (مِنْ الطَّوِيلِ):

وَجَاؤُوا بَيْسَانِيَّةً هِيَ بَعْدَ مَا يَمْلَأُ بِهَا السَّاقِي أَلْدُّ وَأَسْهَلُ (٥)
فَصَبُّوا عُقَارًا فِي الْإِنَاءِ كَأَنَّهَا إِذَا لَمَحَوْهَا جُذُوءٌ تَتَأَكَّلُ (٦)
تَمَرُّ بِهَا الْأَيْدِي سَنِجًا وَبَارِحًا وَتَوْضَعُ بِاللَّهْمِّ حَيٍّ وَتُحْمَلُ (٧)
وَتُوقَفُ أَحْيَانًا فَيَقْصِلُ بَيْنَنَا سَمَاعٌ مُغْنٍ أَوْ شِوَاءُ مُرْعَبِلُ (٨)
فَلَذَّتْ لِمُرْتَاحٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ وَرَاجَعِي مِنْهَا إِسْرَاحٌ وَأَخِيلُ (٩)
فَمَا لَبِثْنَا نَشْوَةَ لَحِقَتْ بِنَا تَوَابِعُهَا مِمَّا نَعْلُ وَنُنْهَلُ (١٠)

- (١) فَرَجُهُ ابْعَدُهُ . تَحَضَّرَهُ أَي شَمَرُ بِحُضُورِهِ . اللَّحَقُ الْإِدْرَاكُ
(٢) أَنَحَى إِلَيْهَا بِمَقُولِهِ أَي قَصَدَ الْكَلَابَ بِقَرْنِهِ . وَالْعَلَقُ الدَّمُ
(٣) ارَادَ بِجَرَبَتِهِ قَرْنَهُ . وَكَذَلِكَ الرُّوقُ الْقَرْنُ أَي كَرَّرَ الثَّوْرَ دِفَاعًا عَنْ نَفْسِهِ وَجِهَاءَ
وَقَصَدَ كُلَّهَا أَي جِلْدَ صَدْرِهَا فَامْتَرَقَهَا وَغَرَّقَهَا (٤) هِيَ أَي الْكَلَابُ وَقَعَ
بَعْضُهَا صَرِيحًا مُدْفَعًا وَبَعْضُهَا مَيْتًا . الرَّمَقُ بَقِيَّةُ الْحَيَاةِ
(٥) أَي أَنَّ هَذِهِ الْحَمْرَ أَطْيَبُ إِذَا كُرِّرَ السَّاقِي سَكْنَهَا فَيَعْمَلُ بِهَا الشَّارِبِينَ أَي يَسْقِيهِمْ ثَانِيَةً
(٦) الْعُقَارُ الْحَمْرُ الْعَتِيقَةُ . شَبَّهَهَا فِي إِثْنِهَا بِشُعْلَةٍ مِنَ النَّارِ الْمُتَقَدَّةِ
(٧) أَي تَتَاوَلَهَا الْأَيْدِي تَارَةً مِنَ الْيَمِينِ وَتَارَةً مِنَ الشَّمَالِ . وَيُذَكَّرُ عَلَيْهَا أُمُّ اللَّهِ عِنْدَ
رَفْعِهَا وَوَضْعِهَا (٨) أَي لَا يَتَوَقَّفُونَ عَنْ شَرِبِهَا إِلَّا لِإِسْرَاحِ الْغَنَاءِ أَوْ لِأَكْلِ قِطْعٍ مِنَ
اللَّحْمِ الْمَشْوِيِّ رَعْبِلَ اللَّحْمِ قِطْعُهُ لِيَنْضَجَ عَلَى النَّارِ
(٩) الْمِرَاحُ النِّشَاطُ . وَالْأَخِيلُ كَالْخَيْلِ . الْمُجَبُّ وَالْكَبِيرُ
(١٠) النِّشْوَةُ الْكَوْثَرُ . وَالنُّهْلُ أَوَّلُ الشَّرْبِ وَالْمَعْلَلُ ثَانِيهِ

فَدَبْتُ دُبِيًّا فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهَا دُبِيبُ غَمَالٍ فِي نَقَا يَنْهَيْلٍ (١)

ومثله ظرافة وصفه (ص ٣٢١) للشمل السكران (من الطويل) :

شَرَبْنَا فَمِتْنَا مِيتَةً جَاهِلِيَّةً مَضَى أَهْلُهَا لَمْ يَعْرِفُوا مَا مُحَمَّدٌ (٢)

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا تَنَهَّيْتُ حُشَّاشَاتُ أَنْفَاسٍ أَتَيْنَا تَرَدُّدٌ (٣)

حَيِّنَا حَيَاةً لَمْ تَكُنْ مِنْ قِيَامَةٍ عَلَيْنَا وَلَا حَشَرٍ أَتَانَاهُ مَوْعِدٌ (٤)

حَيَاةً مَرَّاضٍ حَوْلَهُمْ بَعْدَ مَا صَحَّوْا مِنْ النَّاسِ شَتَّى عَاذِلُونَ وَعُودٌ (٥)

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا عَلَيْكَ فَعُدْ بِنَا إِلَى مِثْلِهَا بِالْأَمْسِ فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

فَجَاءَ بِهَا كَأَنَّمَا فِي إِيَّانِهِ بِهَا الْكُوكُوبُ الْمَرِيخُ تُصَفُّو وَتُرِيدُ (٦)

تَفُوحُ بِمَاءٍ يُشَبُّهُ الطَّيْبُ طَيِّبُهُ إِذَا مَا تَعَاظَتْ كَأَنَّهَا مِنْ يَدَيْدُ

نُمِيتُ وَتُنْخِي بَعْدَ مَوْتٍ وَمَوْتُهَا لَذِيذٌ وَمَحْيَاهَا أَلَذُّ وَأَحْمَدُ

﴿الفخر﴾ وللأخطل في الفخر (ص ٣٠٧) قوله يذكر قومه (من الطويل) :

وَلَكِنْ لَنَا بَرُّ الْعِرَاقِ وَبَحْرُهُ وَحَيْثُ تَرَى الْقَرَقُورَ فِي الْمَاءِ يَسْبَحُ

إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ السِّجَالَ وَجَدْتُنَا لَنَا مَقْدَحًا مَجْدٍ وَلِلنَّاسِ مَقْدَحُ (٧)

(١) شبه فعل الحمر في العظام بمركات النمل في نقا ينهال أي في كثير من الرمل ينهار ويتجدد

(٢) يقول شربنا الحمر فسكرنا وكان السكر أشبه بالوت . وذلك على سنة العرب في الجاهلية إذ لم يبايعهم نحرهم محمد للخمر . ويروي : خلا إننا في موتنا

ليس نلحد (٣) يريد نمار الحمر ونشوتها أي دام فيهم ثلاثة أيام إلى أن ترددت إليهم بقية حياة فصحو منها (٤) يقول إن الحياة التي عادت إلينا ليست كالحياة التي

سبجنا بها البشريوم القيامة إذ يُحشرون من قبورهم (٥) يريد إن تلك الحياة بقي فيها أثر سكرهم فوجدوا حولهم أوصحو قوما يمدونهم كمراض وقوما يلومونهم لسكرهم

(٦) شبهها في إنائها بالسيارة المريخ التي يضرب لوحها إلى الحمرة (٧) أي إذا فاخرنا الناس وجدوا سهمنا من المجد ضعف سهمهم ونصيبهم

وَأَنَا لَمَمْدُودُونَ مَا بَيْنَ مَنْبِجٍ فَعَفَا عُمَانٍ فَالْحِمَى لِي أَفِيحُ (١)
 وَلَهُ أَيْضاً (ص ١٧٨) فِي الْفَخْرِ قَوْلُهُ (مَنْ الطَّوِيلُ) :
 وَآتِي لِمَنْ عَلِيَاءُ تَغْلِبِ وَائِلٍ لَا طَوْلَهَا بَيْتاً وَأَثْبَتْهَا أَصْلَا
 أَنَا الْجُشْمِيُّ الرَّحْبُ فِي الْحَيِّ مَنْزِلَا إِذَا احْتَلَّ مَضْهُودٌ بِمُضْنِيَّةٍ هَزْلَا (٢)
 وَعُمَايَ نَعْمَ الْمَرْءُ عَمْرُو وَمَالِكُ وَثَعْلَبَةُ الْمُوَلِيِّ بِنَظُورَةٍ فَضْلَا (٣)
 وَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءُ تَغْلِبِ أَنَّنِي نُضَارُ وَلَمْ أَنْبُتْ بَقَرَقَةٍ أَثْلَا (٤)
 وَآتِي يَوْمًا لَا مُضِيعُ ذِمَارَهَا وَلَا مُفْلَتِي هَاجَ هَجَا تَغْلِبُ بَطْلَا
 وَمَنْ فَخَرَهُ (٢٤٩-٢٥٠) اسْتَقْبَالُهُ لِلْمُضِفِ فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ (مَنْ الطَّوِيلُ) :
 وَمُسْتَبِيحٍ بَعْدَ الْهُدُودِ دَعْوَتُهُ بِصَوْتِي فَاسْتَعْشَى بِنِضْوٍ تَرَعْمَا (٥)
 فَجَاءَ وَقَدْ بَلَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ سَحَابَةٌ مُسَوَدَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ أَظْلَمَا
 وَفِي لَيْلَةٍ لَا يَنْدِجُ الْكَلْبُ ضَيْفَهَا إِذَا نُبِيَهِ الْمَبْلُودُ فِيهَا تَغْمَعَا (٦)
 فَلَمَّا اضْأَتْتُهُ لَنَا النَّارُ وَأُصْطَلَى اضْأَتْتَ هِجَفًا مُوَحِّشًا قَدْ تَهَشَّمَا (٧)

- (١) أي تخكم على البلاد المحتلة بين مدينة منبج إلى الحاء عمان وخص عمان بالغاف وهي شجرة مشوكة تكثر فيها . ثم قال ان حمانا أفيح أي اوسع واوفر
 (٢) المزهود الطريد المهور . والمضنية المضنية المنهكة للقوى . يقول إذا التجأ إلى منزلي يئس وجد عندي منزلاً رحباً (٣) جشم وعمر ومالك وثلبة كلهم من اجداد الاخطل في سلسلة نسب إلى تغلب
 (٤) افناء تغلب احيائها . النضار الشجر الصلب
 (٥) المستنبح الطارق ليلاً الصارخ ليستهدي بنبج الكلاب إلى مكان الحي . والهدود أوّل الليل إذ يهدأ الناس . واستعشى طلب موضع النار وهو مقل على ناقه نضو أي مهزولة لتعبها وهي تترغم أي تردّ رفاءها ضعيفاً
 (٦) وصف شدة تلك الليلة التي يجمد لبردها الكلب فلا ينبج وإذا نُبِيَهِ النَّامُ بَلَدَ في مكانه ولصق متغصفاً أي يُسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا (٧) يقول لما انارت نارنا وجه ضيفنا وجدناه هجفاً أي غليظاً جافياً . وموحشاً أي بانناً في القفر مع الوحش

فَبَهَتْ سَعْدًا بَعْدَ نَوْمٍ لَطَارِقٍ اَتَانَا ضَيْلًا صَوْتُهُ حِينَ سَلَمًا (١)
 فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا ذَخِيرَةَ مَالِكٍ وَانْكَانَ قَدْ لَاقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا (٢)
 فَقَالَ أَلَا لَا تَجْشِمُوهَا وَانْمَاً تَنْتَحِجَ دُونَ الْمَكْرَعَاتِ لِتُجْشِمَا (٣)
 وَاتِي لَحْلَالٌ بِي الْحَقُّ أَتَيْتِي إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَنْ أَتَجْمَا (٤)
 إِذَا لَمْ تَذُدْ أَلْبَانَهَا عَنْ لُحُومِهَا حَلَبْنَا لَهُمْ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمَا (٥)

﴿المديح﴾ هي قصائد المديح التي قرّبت الاخطل من الخلفاء فرفعوا قدره
 وخصّوه بالطافهم . منها قصيدته الرائية في مدح عبد الملك بن مروان (ص ٩٨-
 ١١٢) وفيها يقول (من البسيط) :

إِلَى أَمْرِي لَا تُعَدِّينَا نَوَافِلُهُ (٦) أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلَيْهِنَا لَهُ الظَّفَرُ
 الْخَائِضِ الْعَمْرِ وَالْمِيمُونِ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
 وَالْهَمُّ بَعْدَ نَجْيِ النَّفْسِ يَبْعَثُهُ بِالْحَزْمِ وَالْأَصْمَعَانِ الْقَلْبُ وَالْحَذَرُ (٧)
 وَالْمُسْتَمِرُّ بِهِ أَمْرُ الْجَمِيعِ فَمَا يَغْتَرُّهُ بَعْدَ تَوَكِيدِهِ لَهُ غَرَرُ (٨)
 وَمَا الْفِرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ فِي حَافَتِيهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشْرُ (٩)

- (١) سعد غلام الاخطل يدعوهُ لخدمة ضيفه الطارق ليلاً الخافت الصوت
- (٢) ذخيرة مالك اي ناقة ادّخرها لانيه مالك . يريد ان يُشحف بها ضيفه
- (٣) يقول انّ الضيف قال : لا تتكلفوا مثل هذه الضحية لكنّه تتنجح اي ردّ ذلك
 وامتنع ظاهراً عن تضحية المكْرَعَات وهي الابل وهو يرغب باطناً بان تُحْدَى لَهُ
- (٤) يقول اذا حلّ بي الضيف وجب عليّ حقّه واحذر ان استقبله بوجه عبوس
- (٥) اي اذا امتنعت الابل عن إدّار لبنها عقرناها ليُشرب ضيفنا دما
- (٦) اي لا تقوتنا مباته (٧) اي اذا بعثته نفسه الى امر جليل اهمّ به وساعده
 على القيام به حزمه وذكاء قلبه وفطنته . والأصمع الذكي من كلّ شيء . (٨) اي انّ
 الجميع ثابتون على ولائهم . فلا تقاجئهم بعد ذلك هلكة . اغتره حلّ به بقتة . والفرّ الفاجئة
- (٩) حواليه اي امواجه . ويروي : غواربه . والعشْر كبار شجر الغضاه

دَعَذَعَتْهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ فَوْقَ الْجَلَّاجِيٍّ مِنْ آذِيَةِ غُدُرٍ (١)
 مَسْحَفَرٌ مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ مِنْهَا أَكْفِيفٌ فِيهَا دُونَهَا زَوْرٌ (٢)
 يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ وَلَا بِأَجَحَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ (٣)

ومن مديحه المستحسن قوله (ص ٢٤٣-٢٤٦) في احد اعيان قومه هَمَامُ بنِ
 مُطَرِّفِ الثَّقَلِيِّ (من الطويل):

فَتَى النَّاسِ هَمَامٌ وَمَوْضِعُ بَيْتِهِ بَرَايَةٍ يَعْلُو الرُّوَايَ طُولُهَا
 فَلَوْ كَانَ هَمَامٌ مِنَ الْجِنِّ أَصْبَحَتْ سُجُودًا لَهُ جَنَّ الْبِلَادِ وَغُولُهَا
 نَمَتُهُ الذُّرَى مِنْ مَالِكٍ وَتَعَطَّقَتْ عَلَيْهِ الرُّوَايَ فَرْعُهَا وَأُصُولُهَا
 أَجَادَتْ بِهِ سَادَاتُهَا فَتَرَعَّبَتْ لِأَخْلَاقِهِ أَتْجَادُهَا وَخَفِيلُهَا (٤)
 سَبُوقٌ لَغَايَاتِ الْخِفَافِ إِذَا جَرَى وَوَهَّابٌ أَعْنَاقِ الْمِثْنِ حَوْلُهَا (٥)
 وَدَفَاعٌ ضَمِيمٌ لَا يُسَامُ دَبِيَّةٌ وَقَطَّاعٌ أَقْرَانِ الْأُمُورِ وَصُولُهَا (٦)
 وَأَخَاذٌ أَقْصَى الْحَقِّ لَا مُتَهَمِّمٌ أَخُوهُ وَلَا هَشُّ الْقَنَاقَةِ رَذِيلُهَا (٧)
 أَغْرُ أَرِيبٌ لَيْسَ يُنْقَضُ عَهْدُهُ وَلَا شَاهِدًا مَغْبُونَةً يَسْتَقِيلُهَا (٨)

(١) دَعَذَعَتْهُ فَرَّقَتْهُ. وَأَذِيَّةٌ أَمَاجُهُ. وَالْجَلَّاجِيُّ صُدُورُ السَّفَنِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْفِرَاتِ.
 وَالْغُدُرُ جَمْعُ غَدِيرٍ (٢) الْمَسْحَفَرُ السَّرِيعُ الْهَرِيِّ. أَكْفِيفُ الْجِبَالِ قِسْمُهَا وَتَلَاهَا. وَالزَّوْرُ
 الْمَيْلُ (٣) الْجَمْهِيرُ الْجَسِيمُ الرَّائِعُ. وَاجْتَهَرْتُهُ إِذَا امْجَبَكْتُ حَسَنَةً
 (٤) أَي رَغِبَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي خَيْرِهِ. وَالْخَفِيلُ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ أَيْ الْجُمْهُورُ
 (٥) قَالَ شَارِحُ الدِّيَوَانِ: النَّفَاةُ الْأَمْدُ. وَالْخِفَافُ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَهُ. وَأَعْنَاقُ الْمِثْنِ
 جَمَاعَتُهَا فَيَقُولُ هُوَ حَمُولٌ لَمْ يَحْمَلْ (٦) الْقَرَنُ الْحَبْلُ يَرِيدُ أَنْ لَهُ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ
 وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ (٧) هَشُّ الْقَنَاقَةِ أَيْ رَخْوُهَا. وَيُرْوَى: دَبُولُهَا (٨) فِي الدِّيَوَانِ
 أَنَّ شَاهِدًا مَنصُوبَةً عَلَى الْحَالِيَّةِ أَيْ لَا يَشْهَدُ خَطَّةً غَبْنًا وَمَكْرًا. يَسْتَقِيلُهَا أَيْ تَسْتَوْجِبُ أَنْ يَسْتَفْزِرَ
 ظَالِمًا لِأَجْلِهَا

جوادُ اذا ما أمَحَلَ الناسُ مُنْعُ كَرِيمٌ لِحَجَوَاتِ الشِّتَاءِ قَتُولُهَا (١)
 اذا نَائِبَاتُ الدَّهْرِ شَفَّتْ عَلَيْهِمْ كَفَاهُمْ أَذَاهَا فَاسْتُخِفَّ ثَقِيلُهَا (٢)
 يُهِنُ وِراءَ الحَيِّ نَفْساً كَرِيمَةً لَكَبَّةٌ مَوْتٍ لَيْسَ يُودَى قَتِيلُهَا (٣)
 وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَأَنَّ مَنَایَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا
 فَإِنْ عَاشَ هَمَّامٌ لَنَا فَهُوَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لَمْ تُنْقَسْ عَلَيْنَا فُضُولُهَا (٤)
 وَإِنْ مَاتَ لَمْ تَسْتَبْدِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ لَا أَخَذَ نَصِيبٍ أَوْ لَا مَرَّ يَمُولُهَا (٥)
 وللأخطل مديحٌ جليلٌ في مَصَقَّةِ بَنِ هُبَيْرَةَ الشَّيبَانِي (١٤٣) قد ذَكَرَهُ سَابِقاً حَضْرَةَ
 الْأَبِ صَالِحَانِي فِي الْمَشْرِقِ (١٤) [١٩١١] : ٨٣٨-٨٤١) وَرَجَّحَ نَصْرَانِيَّةَ مَصَقَّةِ
 اسْتِنَاداً إِلَى مَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (١) : ٣٤٣٤-٣٤٣٨) وَمِنْهُ قَوْلُهُ (مِنْ الْبَسِيطِ) :
 دَعِ الْمَغْمَرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ وَاسْأَلْ بِمَصَقَّةِ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلَا (٦)
 بِمُتْلِفٍ وَمُفِيدٍ لَا يَمُنُّ وَلَا تُهْلِكُهُ النَّفْسُ فِيمَا فَاتَهُ عَدَلَا (٧)
 جَزَلِ الْعَطَاءِ وَأَقْوَامُ إِذَا سُئِلُوا يُعْطُونَ زَرًّا كَمَا تَسْتَوْكِفُ الْوَشَلَا (٨)
 وَفَارِسٍ غَيْرِ وَقَافٍ بِرَأْيَتِهِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ حَتَّى يُعْمَلَ الْأَسَلَا (٩)

(١) أَمَحَلَ النَّاسَ أَقْحَطُوا. وَنَحَرَ ذُو خَصْبٍ وَنَعْمَةٌ. وَقَتُولُهَا أَيُّ مُزِيلُهَا بِطَائِفِهِ
 (٢) شَفَّتْ صَعِبَتْ. وَاسْتُخِفَّ أَيُّ وُجِدَ خَفِيفًا
 (٣) وَرَاءَ الْحَيِّ أَيُّ دُونَهُ. وَالْكَبَّةُ الدَّفْعَةُ فِي الْقِتَالِ. وَأَوْدَى هَلَكَ. يَقُولُ أَنَّهُ يَخَاطَرُ بِحَيَاتِهِ
 فِي سَبِيلِ قَوْمِهِ وَيَعْرِضُ بِنَفْسِهِ لِمِتَّةٍ تَخْلُدُ ذِكْرَ صَاحِبِهَا (٤) أَيُّ عَيْشَتُهُ نَعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لَمْ
 يَبْخُلِ اللَّهُ عَلَيْنَا بِفَضْلِهَا (٥) لِأَمْرِ يَمُولُهَا أَيُّ جَسَدِهَا. وَيَجُوزُ يَمُولُهَا أَيُّ يَدُهَا وَجِلْدُهَا
 (٦) الْمَغْمَرُ الَّذِي فَضَّلَهُ غَيْرُهُ. أَرَادَ بِالْقِتَاعِ الْهَذْلِي. وَاسْأَلْ بِهِ كَمَا سَأَلَ عَنْهُ
 (٧) لَا تُهْلِكُهُ النَّفْسُ أَيُّ لَا تَبْكِيَّتُهُ وَلَا تَلُومُهُ عَنْ كَثْرَةِ مَا بِذَلِكَ جَوْدًا وَكِرْمًا
 (٨) اسْتَوْكَفَهُ اسْتَمْطَرَهُ. وَالْوَشَلُ الْمَاءُ الْقَلِيلُ. شَبَّهَ عَطَاءَ غَيْرِهِ بِالْمَاءِ الْقَلِيلِ وَعَطَاءَ
 الْمَمْدُوحِ بِالْوَفْرِ وَالْكَثْرَةِ (٩) أَيُّ إِذَا تَرَلَّ إِلَى مِيدَانِ الْوُغَى وَتَنَزَّلَتْ رَأْيَتُهُ فِي يَوْمِ الْحَرْبِ
 لَا يَزَالُ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَطْلُبَ الْمَدَى بِأَسْلِهِ أَيُّ رِمْحِهِ

(المجوس) كما امتاز الاخطل بالوصف والفخر والمديح كذلك صوب الى اعدائه سهام الهجاء . وقد رأيت في اخباره ان القسيس والاسقف قد عاقباه على تعرضه لقذف الناس وانما هجاء الاخطل مع حديثه كان مع عفاف لا تكاد تجد له بيتاً بدياً ما جناً اللهم الا ما ندر على خلاف قرنيه جريو والفردق فان ديوانها مشحون بضروب الالفاظ البذيئة والعبارات المستبحة القذعة . فن هجاء الاخطل قوله (ص ٣٠٥) لعشيرة زهير بن جندب (من الطويل) :

لعمرك انا من زهير بن جندب لدانون لو ان القرابة تنفع
فأما انا الخير منهم ففارغ وأما انا الشر منهم فمترع
ومثله قوله في المسمى ابا مروان (ص ٣٠٤) يهجو به لبخله (من الطويل) :

كان ابا مروان ينزع ضرسه اذا القوم قالوا متعوناً بدرهم
واقوع منه قوله في بني اسد (ص ٣١٥-٣١٧) وخص منهم خنجراً (من الطويل) :

بنو اسد رجلا نرجل تذبذبت ورجل اضاقتها الينا التراتر (١)
فما الدين حاولتم ولكن دعاكم الى الدين جوع لا يغمض ساهر (٢)
بني اسد لا تذكروا الفخر بينكم فانتم اثم الناس باد وحاضر
بني اسد لا تذكروا المجد والعلی فانكم في السوق كذب فواجر (٣)
وقال يخاطب خنجراً :

أخنجر قد اخزيت قومك بالتي رمتك فويق الحاجين السنابر (٤)

(١) تذبذبت اي تقلبت وزعمت الى غيرنا . والتراتر الشدائد

(٢) كان بنو اسد بن خزيمة نصارى فأسلم بعضهم (اطلب كتابنا النصرانية وآداجيا بين عرب الجاهلية ص ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩) (٣) كذب مخفف كذب جمع كذوب . وروى :

كذب ساهر (٤) يشير الى جرح اصابه في جبينه في بعض الماوشات . رماه به السنابر اي بنو ام سنبر من بني نصر بن قعين

فلو كنتَ ذا عِزٍّ مَنَعْتَ بَعْضُهُ جَبِينَكَ أَنْ تَدْمِيَ عَلَيْهِ الْبَصَائِرُ
فَأَبْدِ لِمَنْ لَا قِيَتَ وَجْهَكَ وَاعْتَرِفْ بِشُعَاءٍ لِلذَّبَّانِ فِيهَا مَصَائِرُ (١)
أَمِنْ عَوَزِ الْأَسَاءِ سُمِّيتَ خَنْجَرًا وَشَرُّ سِلَاحِ الْمُسْلِمِينَ الْخَنَاجِرُ
وَلَوْ كُنْتَ أَبْصَرْتَ الْقُنَابِلَ وَالْقَنَا وَهَبُوهَ يَوْمَ هِجَّتْهَا الْحَوَافِرُ
بِرَابِيةِ الْخَابُورِ مَا أَقْرَنْتَ لَنَا خُزَيْمَةً إِذْ سَارَتْ جَمِيعًا وَعَامِرُ
فَمَا لَكَ فِي حَيٍّ خُزَيْمَةً مِنْ حَصَى وَمَا لَكَ فِي قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ نَاصِرُ

﴿الإغراء﴾ الاخطل فيه اقوالٌ أخذُ من السهام كفى منها مثلاً قوله (ص ١٠٥ - ١٠٦) للخليفة عبد الملك يمجّدهُ من زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ أَحَدِ أَنْصَارِ ابْنِ زُبَيْرٍ فِي مُحَارَبَةِ بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ (مَنْ الْبَسِيطُ) :

بَنِي أُمَيَّةَ أَنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَدِينُ فَيْكُمْ آمَنًا زُفَرُ
وَأَتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنْ شَاهِدَهُ وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ اخْلَاقِهِ دَعَرُ (٢)
إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمْتُ كَالْعَرِّ يَكُمُنْ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ (٣)

﴿النسيب﴾ وقد عرف الاخطل النسيب اللطيف فاجاد فيه كما في سواه قال (ص ٢١١ - ٢١٢) فِي مَطْلَعٍ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا عِكْرَمَةَ الْفَيَاضِ (مَنْ الطَوِيلُ) :

أَلَا يَا أُسْلَمِي يَا أُمَّ بَشْرٍ عَلَى الْهَجْرِ وَعَنْ عَهْدِكَ الْمَاضِي لَهُ قَدَمُ الدَّهْرِ
لِيَالِي نَلْهُو بِالشَّبَابِ الَّذِي خَلَا بِمُرْتَجَّةِ الْأَرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

(١) المصير الموقع . يقول لا تستر تلك الشجرة الشنيعة التي يتراكم عليها الذباب ويلزمها

(٢) الدعر الفساد أي أن خارجة كباطنه دغلٌ وفساد .

(٣) العرّ الجرب . يريد أن ضغينة قلبه مها كمنّت فاتحاً سفشوا وتنتشر

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ خَفَاقَةُ الْحَشَا مِنْ هَيْفِ مِرْأَى التَّرَائِبِ وَالنَّحْرِ (١)
 وَتَبَسُّمٍ عَنْ أَلْمَى شَتِيتٍ نَبَاتُهُ الَذِيذِ إِذَا جَادَتْ بِهِ وَاضِحُ الثَّنَرِ (٢)
 مِنْ الْجَازِنَاتِ الْخُورِ مَطْلَبُ سِرِّهَا كَيْبُضِ الْأَنْوَقِ الْمُسْتَكِنَةِ فِي الْوَكْرِ (٣)
 وَإِنِّي وَإِيَّاهَا إِذَا مَا لَقِيْتُهَا لَكُلَّمَاءٍ مِنْ صَوْبِ النَّمَامَةِ وَالْخُمْرِ
 وله في وصف غادة (ص ٣٢٣) (من الكامل):

مَا رَوْضَةُ خَضْرَاءٍ أَزْهَرُ نَوْرُهَا بِالْقَهْرِ بَيْنَ شَقَائِقٍ وَرِمَالِ (٤)
 بَهِجَ الرَّبِيعِ لَهَا فَجَادَ نَبَاتُهَا وَنَمَتْ بِأَسْحَمِ (٥) وَابِلِ هَطَالِ
 حَتَّى إِذَا التَفَّ النَّبَاتُ كَأَنَّهُ لَوْنُ الزَّخَارِفِ زَيَّنَتْ بِصِقَالِ
 نَفَتْ الصَّبَا عَنْهَا الْجَاهِمَ وَأَشْرَقَتْ لِلشَّمْسِ غَيْبٌ دُجْنَةٌ وَطِلَالِ (٦)
 يَوْمًا بِأَمْلَحَ مِنْكَ بَهْجَةً مَنْطِقَ بَيْنَ الْعَشِيِّ وَسَاعَةِ الْأَصَالِ
 حَسَنًا وَلَا بِأَلَذَّ مِنْكَ وَقَدْ صَفَتْ بَعْضَ النُّجُومِ وَبَعْضَهُنَّ تَوَالِي (٧)

﴿الْحُكْمُ﴾ ولا يخلو ديوان الاخطل من الاقوال الحكمية والامثال الصائبة
 كقوله (٢٥٨) (من الطويل):

(١) الاسيلة الصقلة المحدثين. خفاقة الحشا اي ضامرة الحشا. والحيف جمع هيفاء. والتعريب
 جمع تربية موضع (القلادة ٢) النبا اللثة التي تضرب الى السواد. اراد بالشيت الانسان غير
 المتراصة المتراكبة (٣) شبهها بالجازنات جمع جازنة وهي الظابة ووصفها بالعفاف والتحصن
 (٤) انهز اسافل الحجاز مما يلي نجدًا. والشقائق جمع شقيقة وهي الفرجة بين جبين
 تنبت العشب (٥) الاسجم السحاب المظلم لانه لا يلاسه ماء (٦) الجاهم السحاب
 الذي اراق ماءه. وغب دجنة اي بعد ظلماتها. والدجنة الغيم الربان المظلم. والطلال جمع
 ظل وهو المطر الضعيف. وصف الروضة وحدها عند شروق الشمس عليها بعد ان رويت من
 مياه الامطار (٧) يقال صنت النجوم اذا مالت للغروب. وتوالي النجوم واخرها

وإن امرءاً لا ينثني عن غوايةٍ إذا ما اشتهم نفسه لجَهُولٍ
وكقوله (الديوان ٥٥) (من الكامل) :

وصاحبِ صَبَوةٍ صاحبتُ حيناً فثبتَ اليومَ من جَهْلٍ وتاباً
ونفسُ المرءِ تَرُصُّهَا المنايا وتَحْدُرُ حَوْلَهُ حَتَّى يُصَابَا
إِذَا أَمَرَتْ بِهِ أَلَقَتْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِلَاحَهَا ظُفْرًا وَنَابَا
وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَتَكْسُونِي جَنَادِلٌ أَوْ تَرَابَا
وقوله (٧٣) (من البسيط) :

اليومَ أَجِيدُ نَفْسِي مَا وَسَّعَتْ لِيكُمْ وَهَلْ تُكَلِّفُ نَفْسٌ فَوْقَ مَا تَسَعُ
وقوله (١٤٣) (من البسيط) :

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ مَغْبُوطٌ بِمَا مَنَّهُ إِذَا خَانَهُ الدَّهْرُ عَمَّا كَانَ فَاثْتَمَلَا
وقوله (١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل) :

وَالنَّاسُ هَمَّهُمُ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالٍ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

فكتفي بهذا القليل علَّه يبعث في قلوب القراء الرغبة لدرس شعر الاخطل
ومعرفة خواصه ولاسيما ان حضرة متولي طبعه قد قرَّبه منهم بتوفير الاسباب
لاقتباس منافعهم الجمَّة

١٠ القطامي التغلبي

(اسمُه ونسبُه) قال عبدالله بن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء

(ed. Hell, 121): اسمه عُمَيْرُ بنُ سُيَيْمٍ بن عمرو احد بني بكر بن حُثَيْب بن عمرو بن غنم بن تَغْلِب «والقُطامي بفتح القاف وضمتها لقبٌ غلب عليه وهو اسم من اساء الصَّقر معناه المحدِّد البصر الى الصيد لقواه (من الرجز) :

يُصَكِّنُ جَانِباً فِجَانِبَا صَكَّ الْقُطَامِيَّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا

وقد لُقِّب ايضاً بلقب آخر فدُعي بصريع الغواني لقوله (من الطويل) :

صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنٌ وَرُقْتَهُ أَكْدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابُ سَوْدُ الذَّوَابِ

والقُطامي من الأَراقِم والاراقم احياء من تغلب يجمعهم هذا الاسم وهم ستة جُشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحِث. قيل لهم ذلك اَما من الرِّقَم اي الكثير لعددهم واما تشبيهاً بالأَراقِم اي الحيات لشبه عيونهم بها . وقد افتخر القُطامي بنسبته اليهم فقال (من الوافر) :

وَرَفِدُنِي الْأَرَاقِمُ خَيْرَ رِفْدٍ وَشِيَّانُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْقُرُومُ

والقُطامي ابن اخت الاخطل التغلبي الشهير السابق ذكره
وللقُطامي التغلبي سيَّانُ شاعران . مثلهُ الْأَئَهْأَقْلُ شهرة ذكرهما الآمدي في كتابيه المختلف والمؤتلف وكلاهما كان في زمانه في عهد بني امية : احدهما القُطامي الضُّبَعي من ضبيعة بن ربيعة بن زاركان ابوه من اصحاب خالد القسري والي الكوفة .
والآخر القُطامي الكلبي واسمه الحصين وهو ابو الشترقي الوليد بن القُطامي

﴿دينه﴾ قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ١١٨) : وكان (القُطامي) نصرانياً وهو شاعر اسلامي . فقلوه «كان نصرانياً» يثبت : أولاً نسبه الى تغلب القبيلة المتحمسة في دينها حتى أيام بني عباس . وثانياً قرابته الى الاخطل الراسخ في دينه النصراني كما رأيت والقُطامي ابن اخته . وثالثاً افتخاره بقومه وبجروبها ومآثرها ما يدل على مجاراته لهدايا . رابعاً ولا يخلو شعر القُطامي من اشارات الى التوراة والكتب النصرانية (اطلب كتابنا النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

أما قول صاحب الاغانى انه «شاعر اسلامي» فليس معناه انه صار مسلماً بل انه عاش في الاسلام ولم يبلغ عهد الجاهلية كالمخضرمين . ولعل هذا الذي خدع ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال عن القطامي «كان نصرانياً فأسلم» وهو أول من قال بذلك وابن عساكر من كتبة القرن السادس للهجرة (توفي سنة ٥٧٢ هـ) وعنه اخذ الذين قالوا باسلام القطامي كعبد القادر البغدادي (في الخزانة ١ : ٣٩٣) وصاحب معاهد التنصيص . وقد جنح الى ذلك ايضاً المستشرق الالماني «بَرْت» (Barth) الذي نشر ديوانه فدهه من المسلمين مستشهداً بابن عساكر . وليس في نسخ ديوان القطامي ما يؤيده في ذكر نسبه الا ان بعض النساخ زاد ذلك على هامش نسخة مصر مستنداً الى ابن عساكر . أما ما ورد في بعض ابيات القطامي من مدح الاسلام والمسلمين فيمكن حملُه على المجاملة كما ترى في شعر الاخطل

﴿اخباره﴾ لا يُعرف الا القليل من اخبار القطامي أزهَر في القسم الثاني من القرن السابع في أيام الامويين بعد معاوية وكان معاصراً للاخطل وهو اصغر منه سنّاً فعاش زمناً بعده ولم يبلغ عهد بني عباس . وللقطامي ذكرٌ في حروب قومه التي جرت لهم مع القيسيين وصرّ وصفها في ترجمة الاخطل (اطلب الصفحتين ١٧٥-١٧٦) . ومن أيام تلك الحرب يوم ماكسين ويقال له ايضاً يوم القنطرة . وماكسين قرية لبني تغلب على شاطئ الفرات تبعد عن رأس العين مسيرة يوم جنوباً وبها حمة . قال البكري في معجم ما استعجم (ص ٥٣٣) : «وبهذه القرية لقي عُيمَر بن الحُباب بني تغلب حين غزاهم فاقتتلوا عند قنطرة القرية وهي أول قرية تراجعوا فيها فقتل فيها من تغلب زهاء خمسمائة وكان رئيسهم ورئيس من معهم من النمر وبكر سُعَيْثَ بن مُلَيْل» . أما في الاغانى (٢٠ : ١٢٨) فيقول ان «رئيس تغلب يومئذ عبد الله بن سُريج بن مرة . . . فقتل وقُتل اخوه» . قال : «وأُسِر القطامي الشاعر وأخذت إبله فاصاب عُيمَر واصحابه شيئاً كثيراً من النعم . . . ولنا أسر القطامي أتي زُفر بن الحرث بقرقيسيا فغزى سبيله ورد عليه مائة ناقة كما ذكر ادهم بن عمران العبدي» فنظم القطامي القصائد في مديح زفر كما سترى

ولم يتصل القطامي بالخلفاء كواطنه الاخطل وإنما بلغ شعره عبد الملك بن

سروان فآثى على جودة قريحته . وليس في اخباره ما يدل على تقربه من الخلفاء على

انه جاء في نسخة مصر ان القطامي قال في مديح عبد الملك قصيدته الرائية التي اولها
(من الوافر) :

أَوْنِ طَرَبٍ بِكَيْتَ وَذَكَرِ أَهْلٍ وَلِلطَّرَبِ الْمُتَاحِ لَكَ أَذْكَارُ
ولا بُدَّ أَنَّهَا أَصَابَتْ مَوْقِعًا لَدَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَهِيَ عَامِرَةُ الْإِيبَاتِ إِلَّا أَنَّا لَمْ نَجِدْ فِي
أَخْبَارِ الْقَطَامِيِّ مَا يُشِيرُ إِلَى دُخُولِهِ عَلَى هَذَا الْخَلِيفَةِ وَنَيْلِهِ سَوَابِغَهُ . وَفِيهَا يَقُولُ
وَنَعْمَ الْقَوْلُ :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هُدًى وَنُورُ كَمَا جَلَّى دُجَى الظُّلُمِ النَّهَارُ
قَرِيعُ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ هُمُ النَّبْرِ الْمَهْذَبُ وَالنُّضَارُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ الْمُنْقَرَاءِ طَعْمُ وَحِرْزُ أَيْسَ مَمَقْلُهُ يُضَارُ
وَقَدْ حَمَلَ الْخِلَافَةَ ثُمَّ حَلَّتْ بِهَا عِنْدَ ابْنِ مَرْوَانَ الْقَرَارُ

أَمَّا اخْصَ مَدِيحُهُ فَهُوَ فِي زُفَرِ الْكَلَالِيِّ وَفِي بَعْضِ الْأَعْيَانِ كَعَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ
سُلَيْمَانَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَأَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ
شِعْرُهُ وَدِيَوَانُهُ الْقَطَامِيُّ يَعْدُ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ الْمُقْلِينَ . وَقَدْ نَظَّمَهُ الْجُمَحِيُّ فِي
كِتَابِ طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ (ص ١٢١-١٢٢) فِي جُمْلَةِ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ
وَذَكَرَهُ مَعَ خُدَاشِ بْنِ بَشَرَ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغِيثِ الدَّارِمِيِّ وَكَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزَائِيِّ
وَعِيْلَانَ الشَّهِيرِ بِذِي الرُّمَّةِ

وَقَدْ وَصَفَ قَدَمَاءُ الْعَرَبِ الْقَطَامِيَّ بِالشَّاعِرِ الْفُجَلِّ وَاسْتَحْسَنُوا شِعْرَهُ . قَالَ الْجُمَحِيُّ
فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ (ص ١٢١) : كَانَ الْقَطَامِيُّ شَاعِرًا فَجَلًّا رَقِيقَ الْحَوَاشِي حُلُوَ الشُّعْرِ
وَالْأَخْطَلُ أَعْبَدُ مِنْهُ ذِكْرًا وَامْتَنَ شِعْرًا . وَقَالَ أَبُو هَلَالٍ (حَمَاسَةُ ابْنِ تَامٍ ص ١٧٠) : وَكَانَ
الْقَطَامِيُّ فَجَلًّا رَقِيقَ الْحَوَاشِي كَثِيرَ الْأَمْثَالِ . وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي كِتَابِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ
(ص ٤٥٣) : وَكَانَ (الْقَطَامِيُّ) حَسَنَ التَّشْبِيهِ رَقِيقَهُ . وَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ الْغَزَّي
الْعَامِرِيُّ فِي كِتَابِهِ تَقْرِيبَ الْمَعَاهِدِ فِي شَرْحِ الشُّوَاهِدِ (نَسْخَةُ مَكْتَبَتِنَا الشَّرْقِيَّةِ ص ٦١) :

هُوَ شَاعِرُ إِسْلَامِيٍّ مُقْلٌ فَجَلٌّ مُجِيدٌ

وجاء في الاغاني (١١٨:٢٠) عن الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَانَا حَاضِرٌ لِلْأَخْطَلِ: يَا أَخْطَلُ أَتُحِبُّ أَنَّ لَكَ بِشْعْرَكَ شَعْرَ شَاعِرٍ مِنَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا إِلَّا شَاعِرًا مِنَّا مُغْدَفُ الْقَنَاعِ خَامِلُ الذِّكْرِ حَدِيثُ السَّنِّ إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ خَيْرٌ فَيَكُونُ فِيهِ وَلَوْ دَدْتُ أَنِّي سَبَقْتُهُ إِلَى قَوْلِهِ (مَنْ الْبَسِيطُ) :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينِ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادٍ فَهَنْ يَنْبُذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْنِنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي

أَمَّا دِيوانُهُ فَقَدْ صَبَرَ عَلَى كَوَارِثِ الزَّمَانِ. فَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَاجُّ خَلِيفَةُ فِي كَشْفِ الظُّنُونِ (٣:٣٠٢) وَقَدْ تَصَفَّحَ هُنَاكَ اسْمُهُ «بِالْقَدَامِيِّ عَمِيرِ بْنِ سَيْمٍ» (كذا) . وَفِي طَبْعَةِ الْإِسْتَانَةِ (ص ٥١٩) «عَمْرُو بْنُ سَلِيمٍ» . وَفِي كِلَاهُمَا تُذَكَّرُ سَنَةُ وَفَاتِهِ فِي ١٠١ هـ الْمَوَافِقَةُ لِلْسَّنَةِ ٧١٩ م. وَدِيوانُ الْقَطَامِيِّ شَرْحُهُ كَمَا يُرَوَّى فِي عَرْضِ دِيوانِهِ أَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ السَّكَّرِيِّ. وَمِنْهُ نَسَخَتَانِ الْوَاحِدَةُ فِي بَرَلِينَ (Ahlwardt, VI, p. 548) كُتِبَتْ سَنَةَ ٣٦٤ هـ (٩٧٤م) وَقَابَلَهَا أَبُو عَلِيٍّ الْمَرْزُوقِيُّ. وَالْآخَرَى فِي الْمَكْتَبَةِ الْحَدِيثِيَّةِ تَارِيخُهَا ١٦ رَبِيعَ الْآخِرِ سَنَةِ ٥٨٢ (١١٨٦ م) وَعَنْهَا نَقَلْتُ نَسْخَةً مِنْ مَكْتَبَتِنَا الشَّرْقِيَّةِ

وَقَدْ دَخَلَتْ مِنْ شِعْرِ الْقَطَامِيِّ قَصِيدَتُهُ الْإِلَامِيَّةُ فِي جُمُوحَةِ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ فَنَظَّمَهَا هُنَاكَ أَبُو زَيْدٍ الْقُرَشِيُّ فِي جُمْلَةِ الْمَشُوبَاتِ (طَبْعَةُ مِصْرَ ١٥١) أَرَادُوا بِهَا الْقَصَائِدَ ذَاتَ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِطَةَ

وَقَدْ أَهْتَمَّ بِنَشْرِ النُّسخَةِ الْبَرُلِينِيَّةِ الْمَرْحُومُ الْمُسْتَشْرِقُ بَرْت (G. Barth) طَبْعَهَا سَنَةَ ١٩٠٢ فِي لَيْدِنَ وَنَقَلَهَا إِلَى الْأَلْمَانِيَّةِ وَعَلَّقَ عَلَيْهَا عِدَّةَ مَلْحُوظَاتٍ مَعَ رَوَايَاتٍ شَتَّى وَجَدَهَا فِي نَسْخَةٍ مِنْ مِصْرَ وَفِي مَخْطُوطَاتٍ وَمَطْبُوعَاتٍ الْإِدْبَاءِ. وَهَذَا نَحْنُ نَنْقُلُ نُسْخَةً مِنْهَا وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ فِي أَجْزَائِنَا الْخَاصَّةِ عَنْ هَذَا الشَّاعِرِ فِي بَعْضِ مَخْطُوطَاتِ مَكْتَبَتِنَا الشَّرْقِيَّةِ وَالْمَطْبُوعَاتِ الْحَدِيثَةِ

﴿مُسْتَخْبَاتُ مِنْ شِعْرِ الْقَطَامِيِّ﴾ مِنْ أَجْوَودِ شِعْرِ الْقَطَامِيِّ لِأَمِيَّتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشُّبُوبَةِ. وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْإِغَانِي (١٩:٢٠) مَا كَانَ الْبَاعِثُ لِنَظْمِهَا قَالَ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دَمَشْقَ لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ أَنَّهُ يُجِيلُ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ. وَقِيلَ بَلْ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ

ابن عبد العزيز فقليل له ان الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطي شيئاً . وهذا عبد الواحد ابن سليمان (١) فأمدحه . وكان عبد الواحد ابن عم الخليفة عبد الملك بن مروان فمدحه بقصيدته اللامية التي أولها (من البسيط) :

أَنَا مَجْهُوكٌ فَأَسْلَمُ أَيُّهَا الطَّالِسُ وَانْ بَلَيْتَ وَانْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ
فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَاتَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَمَلْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخَمْسِينَ نَاقَةً وَمَوْقَرَةً بُرّاً وَتَمْرًا وَثِيَاباً . ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَفِيهَا يَقُولُ مَا دَحَا عَبْدُ الرَّاحِدِ وَلَقْرِيشُ :

أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يَحْزُنُكَ شَأْنُهُمْ إِذَا تَخَطَّى عَبْدَ الرَّاحِدِ الْأَجَلَ
أَمَا قَرِيشُ فَلَنْ تَلْقَاهُمْ أَبَدًا إِلَّا وَهُمْ خَيْرُ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ
أَلَا وَهُمْ جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي قَصُرَتْ عَنْهُ الْجِبَالُ فَمَا سَاوَى بِهِ جَبَلُ
هُمْ الْمُلُوكُ وَابْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأَوَّلُ
وَفِي هَذِهِ اللَّامِيَّةُ يَقُولُ مِثْلًا :

وَالْعِشْرُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْقَلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ بِهِ مَا يَشْتَهِي وَلَا أَمَّ الْمُخْطَى الْهَبْلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَاتِي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجَلِ الزَّلَلُ
وَزَادَ فِي الْحِمَاسَةِ الْبَصْرِيَّةِ بَيْتًا لَمْ يُرَوْ فِي الدِّيَّانِ :

وَرَبَّمَا فَاتَ قَوْمًا بِبَعْضِ أَمْرِهِمْ مِنَ الْتَاتِي وَكَانَ الْخَزْمُ لَوْ عَجَلُوا
أَمَّا فِي الْإِغَانِي (٢٠ : ١٢٠) فَهَذَا الْبَيْتُ رَوَايَةُ أُخْرَى عَنْ لِسَانِ رَجُلٍ كَانَ يَدِيمُ
الْإِسْفَارِ سَافِرًا إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ أَعْرَابِيٌّ فَتَمَثَّلَ بَيْتَ التَّطَامِي « قَدْ يَدْرِكُ الْخ » فَقَالَ : مَا

(١) وَفِي مَجْمَعِ الْبُلْدَانِ لِابِقُوتِ (٤ : ٤٨٩) يَدْعُوهُ عَبْدُ الرَّاحِدِ بْنُ الْخَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ

زاد قاتل هذا الشعر على ان يثبُط الناس عن الحزم فهلاً قال بعد بيته هذا :
 ورجماً ضرّاً بعضُ الناسُ بَطُولُهُمْ وكان خيراً لهم لو أنّهم عجلوا
 وله في زفر بن الحرث الكلالي الذي اطلق سبيله من الاسر قصائد عامرة
 الابيات . اشهرها عَيْثُهُ التي افتتحها بقوله يخاطب ضباعة ابنة زفر (من الوافر) :

قفي قبلَ التفرُّقِ يا ضبَاعا ولا يكُ مَوْقِفُ منكِ الوَداعا
 قفي فادي أسيركِ انّ قومي وقومكِ لا أرى لهمُ أَجتماعا
 ألمَ يحزنُكِ أنْ جبالَ قيسٍ وتغلبَ قد تبَايَنتِ انْقِطاعا
 ألمَ يحزنُكِ انّ أبني زرارٍ أسالا من دِمَائِهَا التَّلَاعا
 ومنها في شكر زفر على تحلية سبيله وانعامه عليه بمائة ناقة :

أَكْفَرًا بعد ردِّ الموتِ عني وبعد عَطَائِكَ المائَةِ الرِّتَاعا (١)
 إِذْ نَ لَهْلَكْتُ لو كانتِ صِغَارُ من الاخلاقِ تُبْتَدَعُ اِبْتَدَاعا (٢)
 فلم أَرِ مُنْعِمِينَ أَقْلَ مَنْأً واكرمَ عندما اصطنعوا اصطناعا
 من البيضِ الوجوهِ بني نُفَيْلٍ أَبَتْ اخْلَافُهُمُ الا اِتِّسَاعا (٣)
 بني القَرَمِ الذي عَلِمْتُ مَعَدُّ تفرَّعَ قومُها سَعَةً وبَاعا
 وقد مدحه أيضاً بدليته التي يقول فيها (من البسيط) :

من مُبْلَغُ زَفَرٍ القيسيِّ مِدْحَتُهُ من القطاميِّ قولاً غيرَ إِفْنَادِ (٤)

(١) اكفراً اي أأجزبك كفراً . والرتاع الراتبة في المرعى . ويروى : الرباعا اي التي تنتج

في الربيع

(٢) ابتدع الشيء . استحدثه اي لو ابتدعت في أموراً صعباً لهلك

(٣) بنو نُفَيْلٍ بن عمرو بن كلاب رهط زُفَر المدوح

(٤) غير إفناد اي لا كذب فيه

اني وإن كان قومي ليس بينهم
مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَبَقَيْتَ مَعْرِفَتِي
فلن أثيبكَ بالنعما، مَشْتَمَةً
فإن هجوتك ما تَمَّتْ مُكَارَمَتِي
اذ الفوارسُ من قيس بشكَّتْهم
اذ يَعْتَرِيكَ رَجَالٌ يَسْأَلُونَ دَمِي
فقد عصيتهم والحرب مُقْبِلَةٌ
والصيدُ آلُ نُقَيْلٍ خَيْرُ قَوْمِهِمْ
المانعون غداة الروعِ جَاءَهُمْ
ايامَ قومي مكاني مُنْصِبٌ لَهُمْ
فأنتاشني لك من غبراء مُظْلَمَةٍ
فان قَدَرْتُ عَلَى خَيْرٍ جَزَيْتُ بِهِ

وبين قومك إِلَّا ضَرْبَةَ الْهَادِي (١)
وقد تعرَّضَ مِنِّي مَقْتَلٌ بَادٍ (٢)
ولن أَبْدِلَ إِحْسَانًا بِإِفْسَادٍ
وان مدحتُ فَقَدْ أَحْسَنْتُ إِصْفَادِي (٣)
حولي شُهودٌ وما قولي بِشَهَادٍ (٤)
ولو أَطْعَمْتُهُمْ أَبْكَيْتَ عُوَادِي
لا بل قدحت زناداً غيرَ صِلَادٍ (٥)
عند الشتاء اذا ما ضُنَّ بِالزَّادِ (٦)
بالمُشْرِفَةِ من ماضٍ ومُنَادٍ (٧)
ولا يظنون إِلَّا اني رادي (٨)
حَبْلٌ تَضْمَنَ إِصْدَارِي وَإِيرَادِي (٩)
والله يجعلُ اقواماً بِرِصَادٍ

قال الجهمي: لما سمع زفر هذا البيت قال: لا أقدرك الله على ذلك . وقال
يلدح زفر ايضاً (من الرجز) :

- (١) الهادي العنق اي قطع الرؤوس
- (٢) استبقيت معرفتي اي استبقيتني لمعرفةك أياي اذ ظهر مني ما يستوجب قتلي
- (٣) الإصفاة العطية (٤) الشبكة السلاح (٥) يقال صلَّد الزناد اذ لم يخرج نازلاً
- (٦) الصيد الاشراف جمع أصيد . وضن بالزاد يخل به
- (٧) المشرفية السيف . والماضي المستقيم والمُنَاد المَعُوج
- (٨) يقال أنصبه اذا ألمه وواجهه . وبرى : منصت لهم . والرادي الهالك
- (٩) انتاشني تداركي الغبراء الارض . وبرى : من نعماء . ثم شبهه بمخلصه بجبل مدَّه الله اليه

فتشبت به ونجا

يا زُفَرُ بنَ الحارثِ ابنِ الاكرمِ قد كُنتَ في الحيِّ قديمَ المَقْدَمِ (١)
 اذ اَحْجَمَ القومُ ولمَّا تُحْجَمِ انك وابْنُكَ حَفِظْتُم مَحْرَمِي (٢)
 وحقنَ اللهُ بكفِّكَ دَمِي من بعد ما ذَبَّ لساني وفي (٣)
 والرمحُ يهْتَزُّ اهْتَزَّازَ المِحْجَمِ (٤) من بعد ما اختلَّ السنانُ مِعْصَمِي
 انْقَذَتْنِي من بطلٍ مُعَمِّمٍ والخيْلُ تحتَ العارضِ المِسْومِ (٥)

وتغلبُ يدعونَ يا لَلْأَرْقَمِ (٦)

ومن امثاله وحكمه قوله من قصيدة (من الكامل) :

فأرى المَعيْشَةَ انما هي ساعةٌ فرحٌ وساعةٌ كَرْبَةٍ وتَحَقُّ
 وأرى المَنيَّةَ للرجالِ حَبائِلًا شَرَكًا يُعَادُ بِهِ لِمَن لَمْ يَعلَقِ
 واذا أَصابَكَ والحوادثُ جَمَّةٌ حَدَثٌ حَدَاكَ الى أَخِيكَ الأَوْثَقِ
 فهُمُ الرِجالُ وكلُّ ذلِكَ مِنْهُمْ تَجِدُنَّ في رُحْبٍ وفي مَتَضِيقِ
 انَّ الرِجالَ اذا طَلَبْتَ نَوَالَهُمْ مِنْهُمْ خَلِيلٌ مَلَاذِقَةٍ وَقَلَقِ
 واخو مُكَارَمَةٍ على عِلاتِهِ فوجدتُ خَيْرَهُمُ خَلِيلَ المَصْدَقِ

وروى في الاغاني (٢٠: ١٢٠) منها بيتاً لم يُرو في الديوان

ليت الهمومَ عن الفؤادِ تَفَرَّجَتْ وجلا التكلُّمُ اللسانِ المَطلَقِ
 وقد أنشد الشَّعْبِيَّ هذه الابيات عند الخليفة عبد الملك بن مروان فاستحسنها

(١) ويروى: في الحرب كرم المقدم (٢) ويروى: انت وابناك صنم محرم

(٣) ذبَّ حَفَّ وذبل (٤) المحجم آلة المحجم التي تنقص الدم

(٥) المعصم السيد صاحب العمامة . والخيْلُ المِسْومُ المنازر بعلامته

(٦) يا للارقم يريد الارقم قوم التغلبيين يدعون بعضهم بعضاً

عبد الملك وقال: أن تُكِلَّت القطامي أمه هذا والله الشعر
وله في الوصف اقوال حسنة منها قوله في عجوز من بني محارب نزل عندها ضيفاً
فبات بأسروا ليلة فقال فيها من قصيدة (من الطويل) :

وإتي وان كان المسافر نازلاً
ولا بُدَّ أن الضيف مُخْبِرُ ما رأى
سأخبر بالأنباء عن أم منزل
تَقَنَّتْ في طَلِّ وريح تَلْفَنِي
إلى حَيَزُونَ تَوْقِدَ النار بعدما
تصلى بها بَرَدَ الشتاء ولم تكن
فما راعها إلا بُغَامُ مطية
فسلمت والتسلم ليس يسرها
فردت سلاماً كارهاً ثم اعرضت
فقلت لها لا تفعلي ذا براكب
فلما تنازعنا الحديث سألتها
وان كان ذا حق على الناس واجب
مُخْبِرُ اهلِ او مُخْبِرُ صاحب
تضيّفها بين العذيب فرايب (١)
وفي طر مساء غير ذات كواكب (٢)
تلقّت الظلماء من كل جانب (٣)
تخال وميض النار يبدو لراكب (٤)
تريح بمحسور من الصوت لاغب (٥)
ولكنه حق على كل جانب (٦)
كما انخاشت الافعى مخافة ضارب (٧)
اتاك مصيب ما أصاب فذاهب (٨)
من الحي قالت معشر من محارب

(١) العذيب نهر في جهات الكوفة ورأس موضع قرب منه. ويروى: لمخبرك الانباء

(٢) تقنعت تلقت بالثوب. الطل المطر الخفيف والندى. والطر مساء الليلة المظلمة

(٣) الحيزيون المجوز المستنة. وتلقه التحفة

(٤) تصلى البرد قاسى شدة. ويروى: برد العشاء. ويروى ذات العشاء

(٥) بغام المطية صوت الابل وحنينها. وتريح بمحسور اي تخرج نفسها الضيف .

واللاغب المعبي (٦) الخائب الغريب (٧) انخاشت تقبضت. ويروى: انخازت

(٨) مصيب ما اصاب اي يكفني بما يصيبه من الضيافة

من المُشترين القِدَّ ممَّا تراهُمُ جياعاً وريفاً الناسِ ليس بناضِبٍ (١)
 فلماً بدا جرماً نُها الضيفَ لم يكن عليّ مناخُ السوءِ ضربةً لازِبٍ (٢)
 ألاّ ائمانير ان قيس اذا اشتَوَا لطارقٍ ليلٍ مثلُ نارٍ الحُباحِبِ (٣)

وله في الحماسة قوله (حماسة الي تمام ص ١٧٠) :

مَنْ تَكُنِ الحَضارَةُ اعجَبَتْهُ فايُّ رجالٍ باديةٍ تَرانا (٤)
 وَمَنْ رَبَطَ الحِجاشَ فانَّ فينا قنّاً سُلْباً وأفراساً حسانا (٥)
 وَكُنْ اذا أغْرَنَ على جَنابٍ وأَعوَرَهُنَّ هَبْ حيثُ كانا
 أغْرَنَ من الضِّبابِ على حُلُولٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مَنْ حانَ حانا (٦)
 وأحياناً على بَكَرٍ اخينا اذا ما لم نَجِدْ إلاّ اخانا (٧)

واستحسن ابن قتيلة للقطامي قوله في التشبيب (من البسيط) :

وفي الحدودِ نغماتٌ يَرُقْنَ لنا حتى تصيّدننا من كلِّ مضطادٍ (٨)

- (١) اشتواه اَتَخَذَهُ شِواءً. والقِدَّ اِماء من جلد. وريفُ الناس اَرْضُهُمُ المَخْصِبَةُ. والناضِبُ العائِر. اي اِنَّ الذي تزل عندك نالة البرد والجوع وهو ضيف لئناس مَخْصِبِينَ
- (٢) اي لم اجد في ضيافتها اسراً موجباً لابقى عندها مع حرمانها فوليتُ ذاهباً
- (٣) يريد ان نارهم لا يصطلي بها ضيف بآتيهم ليلاً في كئناز الحباحِب اي الدويبة المعروفة ببراج الليل
- (٤) يقول ائنا ولو كنّا من اهل البادية فلاننا دون اهل الحضر
- (٥) يقول انّ غيرنا يربطون الحُسُر لاشغالهم وأما نحن فنزاة لنا الرماح السُّلُب اي الظويلة او السالبة للنفوس والحيل المسومة اي المرعية او المأهلة
- (٦) يقول هذه الخيل واربابها اذا حملت على جناب اي ناحية واحتاجت الى غنائم في اي مكان وجدتها تغير على الاباعد من العرب كقبائل الضباب وهي اربعة ضَبَّة وَضَبِيب وَحَسَل وَحَسِيل. والحلول الحَي الذين يجائون في محل واحد. وحان اتي وقتُهُ
- (٧) بكر قبيلة شقيقة لتغلب. يقول اذا لم يجدوا مطلوبهم عند الاباعد عطفوا على الاقارب
- (٨) الغمامة السحابة كئى جا عن المحصّنات بالحدود

ولو كانوا اخوانهم

يَقْتُلُنَا بِجَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادٍ
فَهْنٌ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يَصْنَعُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي

هذه طرفة من ديوان القطامي نُضيف اليها بعض المقاطيع لم نجد لها في الديوان . فن
ذلك ما رواه ابن سَلَامٍ في طبقات الشعراء . (ص ١٢٢) يدح به اسماء بن خارجة وهي
تروى لغيره فقال (من الوافر) :

إِذَا مَاتَ ابْنُ خَارِجَةَ بْنِ حِصْنٍ فَلَا مَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
وَلَا رَجَعَ الْبَرِيدُ بَغْتُمْ خَيْرٍ وَلَا حَمَلَتْ عَلَى الطُّهْرِ النِّسَاءُ

وروى له في الحماسة البصرية (نسخة مكتبتنا الشرقية ١ : ٢٠) قوله يذكر يوم
ذي قار الذي غلب فيه العرب جيوش كسرى قال (من الطويل) :

وَأَنْ تَوَى الدَّاعِي بِسَيَّانٍ (أَعَزَّعَتْ رِمَاحٌ وَجَاشَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا الْقِدْرُ
هُمْ يَوْمَ ذِي قَارٍ أَنَاخُوا فَجَالَدُوا كَتَّابَ كَسْرَى بَعْدَ مَا وَقَدَ الْجُرُ
وروى أيضاً في الحماسة البصرية (ص ١٣٠) قوله يدح بني دارم (من الطويل) :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنِي دَارِمٍ عَنْ كُلِّ جَانٍ وَغَارِمٍ
هُمْ حَمَلُوا رَحْلِي وَأَدَّوْا أَمَانَتِي أَلِيَّ وَرَدُّوْا فِي رِيْشِ الْقَوَادِمِ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ قَدَّوْرَهُمْ عَلَى الْمَالِ أَمْثَالَ السَّنِينِ الْحَوَاطِمِ
وَأَنْ مَوَارِيثَ الْأَوَّلَى يَرِثُونَهُمْ كَنْوَزُ الْمَعَالِي لَا كَنْوَزُ الدَّرَاهِمِ
وَمَا ضَرَّ مَنْسُوبًا أَبُوهُ وَأُمُّهُ إِلَى دَارِمٍ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُاشِمِ
ومن حكمه قوله في فضل الاكتساب بالبأس على الطمع . (الحماسة البصرية

(٨ : ٢) (من الطويل) :

أَرَى الْبَأْسَ أَذْنَى لِلرَّشَادِ وَأَنَا دَنَا الْعَيَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يُطْمَعُ
فَدَغْ أَكْثَرَ الْأَطْلَاعِ عَنْكَ فَأَنْهَا تَضُرُّ وَإِنَّ الْبَأْسَ لَا زَالَ يَنْفَعُ

وفي الحماسة البصرية ايضاً (٢١٦: ٢) بيتان من قصيدته المذكورة في ديوانه (تحت العدد XXI ص ٦١) التي أولها (من الوافر) :

مَنْ يَكُ ارْعَاهُ الْحِمَى أَخَوَاتُهُ فَمَا لِي مِنْ اخْتِ عَوَانٍ وَلَا بَكْرٍ
أَمَّا الْبَيْتَانِ فَنَفِي وَصَفِ النَّاقَةِ لَمْ يُرَوِّهَا هُنَاكَ وَهَمَا :

إِذَا بَرَكْتَ خَرْتُ عَلَى ثَقَنَاتِهَا مَجَافِيَةً صُلْبًا كَفَنْطَرَةِ الْجِسْرِ
كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ تَجْرِي صُفُورُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجُلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ

١١ كعب بن جعيل التغلبي

﴿اسمُه ونسبُه﴾ ويقال : ابن جُعَل قال ابن سَلَام في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) : «هو كعب بن جُعَيْل بن قُمَيْرِ التغلبي» . وفَصَّل الطبري في تاريخه (١ : ٧٤٩) نسبُه فقال : «كعب بن جُعَيْل بن عَجْرَةَ بن قُمَيْرِ بن كَعْلَبَةَ بن عَوْفِ بن مَالِكِ بن بَكْرِ بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنَمِ بن ثَعْلَبِ بن وائِل» . وجاء مثل ذلك في خزانة الادب لعبد القادر البغدادي (١ : ٤٥٨) إلا انه قدَّم قُمَيْرًا على عَجْرَةَ . ثم قال : «ولكعب هذا اخ يُقال له عُمَيْرُ بن جُعَل بالتصغير» وقد دعاه ابن قتبية في الشعر والشعراء «عَمِيرَةَ بن جُعَيْل» . وهو غير عَمِيرَةَ بن جُعَل الذي ورد ذكره في المفضليات (ed. Lyall ص ٥٢١-٥١٨) وقد روينا شعره في شعراء النصرانية (ص ١٩٥) فهذا قد جاء هناك نسبُه انه «عَمِيرَةَ بن جُعَل بن عمرو بن مَالِكِ بن الحرث بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنَمِ بن ثَعْلَبِ بن وائِل» ومثله في خزانة الادب (١ : ٤٥٩) ثم قال : هو شاعر جاهلي . وكانت امُّ كعب وعَمِيرَةُ تدعى ليلي وهي من ثَعْلَبِ ايضاً

﴿زمانه﴾ عاش كعب بن جُعَيْل في أيام الخلفاء الراشدين وبلغ عهد الدولة

الاموية ذلك ما يستدل به من شعره واخباره كما سترى . الا انه كان مُسنناً في ايام معاوية وابنه يزيد وبلغ الى زمن عبد الملك عرفه الاخطل شيئاً في ذلك الوقت ﴿دينه﴾ لا نشك في نصرانية كعب بن جعيل وهو من تغلب القبيلة النصرانية وشاعرها كواطنه القطامي والاختل . وكان مكرماً في قومه النصارى المعتصين في دينهم . وانما يقال عنه انه شاعر اسلامي كما قيل عن القطامي بمعنى كونه لم ينبغ في عهد الجاهلية واشتهر في زمن الاسلام . وليس في اخباره وشعره ما يُشعر بتغييره لدينه سوى كلمة سيأتي ذكرها رواها الرواة على صور مختلفة لا يُبنى عليها برهان ﴿اخباره﴾ لا يُعوف من اخبار كعب إلا ما رواه عنه الكتبة استطراداً .

روى صاحب الاغانى (٧ : ١٧٠) عن يعقوب بن السكيت « ان كعب بن جعيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً الا اكرموا وضربوا له قبة حتى انه كان يُدّاه حبال بين وتدين فتشأ له غنماً . فاتى في ماله بن جشم ففعلوا ذلك به . فجاء الاخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبه عتبة بن الزعزل (ويروى: الوغل) ورد الغنم الى مواضعها فعاد الاخطل وأخرجها وكعب ينظر اليه فقال : « ان غلامكم هذا لأخطل » والاخطل السفيه فقال الاخطل فيه :

سُئِنْتَ كعباً بَشَرِ الْعِظَامِ وَكَانَ ابوكَ يُسَمَّى الْجَعْلَ
وَأَنْ مَكَانَكَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانُ الْفَرَادِ مِنْ أَسْتِ الْجَعْلِ

فقال كعب : قد كنت اقول لا يقهرني الا رجل له ذكر ونبا ولقد اعددت هذين البيتين لأن أهجى بها منذ كذا وكذا فغلب عليها هذا الغلام وروى القحذمي خبر الاخطل على غير صورة قال (الاغانى) : « وقع بين ابني جعيل (كعب وعميرة) وأمهما ذر : من كلام فادخلوا الاخطل بينهم فقال الاخطل : لَعَمْرُكَ أَنِّي وَابْنِي جُعِيلٌ وَأُمُّهُمَا لِإِسْتَارِ لَتِيمِ
فقال ابن جعيل : يا غلام ان هذا أخطل من رأيك ولولا ان أمي سميت أمك لتركتمك يحدو بها الركبان . فسَمِيَ الاخطل بذلك وكان اسم أمهما وأم الاخطل ليلى » :

وزاد ابن الكلبي عن قوم من تغلب في قصة كعب بن جعيل والاخطل ما

حرفه (الاغانى) : « وكان الاخطل يومئذ يُقرُزم (والقرزمة الابتداء بقول الشعر) فقال

له ابوه : أَبَرَزَمَتَكَ (١) تريد ان تقاوم ابن جُعَيْل ؟ ضربه (قال) وجاء ابن جُعَيْل على قَتْنَةٍ ذلك فقال : مَنْ صاحب الكلام ؟ فقال ابوه : لا تحفل به فإنه غلام اخطل . . .
فانصرف كعب وليح الهجاء بينهما »

وروى في الاغاني ايضاً (٤ : ١٣٠-١٣٢) انّ النابغة الجعدي كان شاعراً متقدماً وكان مُعَاباً ما هاجى قطّ الأُغلب . هاجى اوس بن مَفْرَاءَ و ليلي الاخيلية وكعب بن جُعَيْل فغلبوه جميعاً . وتما رواه من ردود كعب عليه قوله (من البسيط) :
اني لِقَاضٍ قَضَاءٍ سَوْفَ يَتَّبَعُهُ مَنْ أَمَّ قَصْداً وَلَمْ يَغْدِلْ إِلَى أَوْدٍ
فَصَلاً مِنَ الْقَوْلِ تَأْتُمُّ الْقُضَاةُ بِهِ وَلَا أَجُورُ وَلَا ابْنِي عَلَى أَحَدٍ
« سادت بنوعامر سَعْدًا وشاعرها كما « تسود » بنو عبيس بني أسد
وقد اتصل كعب بن جُعَيْل في أيام معاوية بابنته يزيد . اخبر ابن سلام في طبقات الشعراء (ص ١٠٨) وقد سبق في روايته هذه ابا الفرج الاصفهاني وغيره من الرواة وهو قد توفي بالبصرة سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦ م) قال : كان عبد الرحمان بن حسان ويزيد ابن معاوية يتناولان فاستعلاه ابن حسان فقال يزيد لكعب بن جُعَيْل : أجبته عنه وأهجه . فقال : والله ما تلتقي شفتاي بهجاء الانصار ولكن ادلك على الشاعر الفاجر الماهر فتى منّا يقال له النوث نصراني (يزيد الاخطل) فهجاهم بابيات شهيرة لا حاجة الى ذكرها

وهذا الخبر عن كعب قد رواه في الاغاني (١٤ : ١٢٢) على وجه آخر قال انّ يزيد بلغه ان عبد الرحمان شَبَّ بِرَمْلَةِ اخْتِهِ بنت امير المؤمنين معاوية فقال لكعب : اهج الانصار . فقال : أفرق من امير المؤمنين ولكن ادلك على الشاعر الكافر الماهر الاخطل ورواه البرد في الكامل (ص ١٠١) بما يُشعر بإسلام كعب فروى عنه انه قال ليُزيد : « أأهجو الانصار أُرَادِي انت الى الكفر بعد الاسلام (ويروى : بعد الشرك) ولكن ادلك على غلام من الحمي نصراني كأنّ لسانه لسان ثور يعني الاخطل النخ فتدى من اضطراب هذه الروايات انه لا يجوز ان نقرّر الإسلام لكعب دون بَيِّنَةٍ واضحة ودليل قاطع

ومن اخبار كعب بن جُعَيْل انه حارب مع قومه في يوم صفين وكان موالياً لبني امية كالاخطل وسائر عرب الشام في محاربتهم لعلي . ولكعب في اليوم السابق لتلك الواقعة رجز رواه الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٩٢) :

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدَاً لِمَنْ غَلَبَ
أَقُولُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ أَنْ غَدَاً تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ
غَدَاً نُلَاقِي رَبَّنَا فَتَحْتَسِبْ

وقال ايضاً يصف الفريقين اهل العراق مع علي واهل الشام مع معاوية وهذه الابيات كتبها معاوية وارسالها الى علي بن ابي طالب لآخيه برسوله بين البيعة او الحرب (الكامل للبرد ١٨٤ والدينوري ١٧٠ ووقعة صفين) (من المتقارب) :

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ (١)	وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارَهُونَا
وَكُلُّ لَصَاحِبِهِ مُبْفِضٌ	يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمِينَاهُمْ	وَدِنَانَاهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرِضُونَا (٢)
وَقَالُوا عَلِيُّ إِمَامٌ لَنَا	فَقُلْنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا (٣)
وَقَالُوا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ	فَقُلْنَا لَهُمْ لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا (٤)
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ	وَضَرْبُ وَطْنٍ يُقَرُّ الْعِيُونَا (٥)
وَكُلُّ يُسَرُّ بِمَا عِنْدَهُ	يَرَى غَثَّ مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا
وَمَا فِي عَلِيٍّ لِمُسْتَتَبٍ	مَقَالٌ سِوَى ضَمِّهِ الْمُخْدِثِينَا (٦)

(١) ويروي: اهل العراق (٢) ويروي في الكامل: يَقْرِضُونَا

(٣) هنداً أم معاوية (٤) ويروي البيت :

وقلنا نرى ان تدنوا لنا فقالوا ألا نرى ان تدنينا

(٥) ويروي: يَفْضُ الشُّوْنَا (٦) وروي ابن عبد ربه: لمستحدث . . سوى عصية

وايثاره اليومَ أهلَ الذنوبِ ورَفَعَ القصاصَ عن القاتلينا (١)
 اذا سِيلَ عنه زوى وَجْههُ (٢) وعمى الجوابَ عن السائلينا
 فليس يراض ولا ساخطٍ ولا في الثَّاقِ ولا الآمرينا
 ولا هو ساء ولا سرُّه ولا بُدَّ من بعض ذا ان يَكُونا (٣)

وجاء في الكامل للمبرد (ص ١٨٧) وفي الاخبار الطوال للدينوري (ص ١٧٠ -

١٨١) انَّ علياً لما قرأ هذه الابيات قال للنجاشي: أَجِبْ. فقال (من المتقارب) :
 دَعَنْ مُعَاوِيَ ما لن يكونا فقد حَقَّقَ اللهُ ما تحذرونَا
 اتاكم عليٌّ باهل العراقِ وأهلِ الحجازِ فما تصنعونا
 على كلِّ جرداء خيفانةٍ وأشعثَ هَندٍ كَسُرُ العيونا
 عليها فوارسُ تحسبهم كَأَسَدِ العَرينِ حَمِينَ العَريِنا
 يرونَ الطَّعانَ خلالَ العجاجِ وضربَ القوائسِ في النُّعجِ دينا
 همُ هزَموا الجَمعَ جَمعَ الزُّبَيْرِ وطلَّحَةَ والمُعشَرَ النَّاكِينا
 وقالوا يميناً على حَاقَّةٍ لنُهدِي الى الشامِ حرباً زُبونا
 تُشيبُ النواصيَ قَبْلَ المَشيبِ وتُلقِي الحوامِلُ منها الجَنينا
 فان يكرهُ القومُ مُلكَ العراقِ فَعِدْ ما رَضينا الَّذي تَكرهونا (٤)

(١) وفيه: وايثاره لاهالي الذنوب. قال ابن عبد ربّه في العقد (٢ : ٢٧١) اخذ كعب هذا المعنى من قول حسان بن ثابت لعلّي: « انك تقول « ما قتلت عثمان ولكن خذلتُهُ ولم أَمُرْ بِهِ ولكن لم أَنَّهُ عَنْهُ » فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك (القاتل)

(٢) ويروى: حدا شبهة. وسيل مخففة سُيِّلَ (٣) ويروى: من بعد ذا. روى ابن عبد ربّه :

ولا هوناء ولا شرّة ولا آمن بعض ذا ان يكونا
 (٤) ويروى : وان تَكروهوا الملكَ ملكَ العراقِ فقد رضى القومُ ما تَكرهونا

فَقُولُوا لَكُفْبِ أَخِي وَائِلٍ وَمَنْ جَعَلَ النَّثَّ يَوْمًا سَمِينًا
جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَاشْيَاعَهُ نَظِيرَ ابْنِ هَنْدٍ أَمَا تَسْتَحُونَا

وقد روى البلاذري في كتاب الاشراف (١) (ص ٢١٢) البيتين الآتين الكعب في مدح عبد الملك بن مروان (من الوافر) :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هُدًى وَنُورٌ كَمَا جَلَّى دُجَى الظُّلُمِ النَّهَارُ
قَرِيعُ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ هُمُ السِّرِّ الْمَهْذَبُ وَالنُّضَارُ

وقد سبق في اخبار القطامي (ص ٢٧) ان هذين البيتين من جملة قصيدة منسوبة الى القطامي رويها هنا اعظم شأن راويهما

وأصل كعب بن جعيل بسعيد بن العاص بن ابي أخينة بن سعيد بن العاص وكان امير الكوفة لعثمان وكان فصيحاً خطيباً قُتل في غزوه طبرستان سنة ٣٠هـ (٦٥١م) واخبر في الاغانى ان كعباً نزل عليه في المدينة وقد امتدحه بشعره وذكر الطبري في تاريخه (١: ٢٨٣٨) قوله (من الطويل) :

فَنِعْمَ الْفَتَى إِذَا جَالَ جِبِلَانُ دُونَهُ وَإِذَا هَبَطُوا مِنْ دَسْتِي ثُمَّ أَبْهَرَا ٢
تَعْلَمُ سَعِيدَ الْخَيْرِ أَنَّ مَطِيَّتِي إِذَا هَبَطَتْ أَشْفَقَتْ مِنْ أَنْ تُعْفَرَا
كَأَنَّكَ يَوْمَ الشَّعْبِ لَيْثٌ خَفِيَّةٍ تَحَرَّدَ (٣) مِنْ لَيْثِ الْعَرِينِ وَأَصْحَرَا

وروى الجعفي في طبقاته (ص ٧٥-٧٦) ان الفرزدق لما هرب من زياد بن ابيه في أيام معاوية الى المدينة فاستجار سعيد بن العاص فاجاره فمدحه الفرزدق وكان الحطيئة وكعب حاضرين فقال الحطيئة : هذا والله الشعر لا ما تُعَلَّلُ به منذ اليوم

(١) Anonyme arabische Chronik, ed. Abtwardt اطاب

(٢) جيلان حي من عبد القيس . ودستى كورة بين الرى وهمدان في العجم . وأبهر مدينة في نواحي اصبهان

(٣) يوم الشعب من أيام العرب ذكره الفرزدق . ويروى : تَجَرَّدَ

أيها الأمير فقال: كعب بن جُعَيْل فَضِّلُهُ على نفسك ولا تفضِّلُهُ على غيرك. فقال: بلى
افضِّلُهُ على نفسي وعلى غيره ادركتَ مَنْ قبلكَ وسبقتَ مَنْ بعْدَكَ . وروى الطبري
في تاريخه (٢: ١٠٧) هذا الخبر على وجه آخر فقال: «انَّ كعباً لما سمع شعر الفرزدق
قال: هذه والله الرويا التي رأيتُ البارحة. قال سعيد: وما رأيتُ؟ قال رأيتُ كأنني
امشي في سَكَّة من سِكَك المدينة. فاذا انا بـابن قَتْرَةَ في جُحْر (أي حُفْرَة) فكانتُه
اراد ان يتناولني فاتَّقَيْتُهُ (قال) فقام الحطيئة فشقَّ ما بين رَجُلَيْنِ حتى تجاوز الي (١)
فقال: قُلْ ما شئتَ فقد ادركتَ من مضى ولا يُدرِكُك من بقي. وقال لسعيد: هذا
والله الشعر لا يعْلَلُ به منذ اليوم (٢)

﴿شعر كعب وطبقته﴾ قد اخذ الضياع ديوان شعر كعب بن جُعَيْل . أما طبقته
فهي على قول ابن سَلَام (ص ١٢٩) الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين يريد انه
من الذين لم يشتهروا في الجاهلية وقالوا الشعر بعد الاسلام ونظمه في جملة الشعراء
عمرو بن احمر الباهلي وسُحَيْم بن وثيل الرياحي ثم اليزبوعي وأوس بن مَعْرَاء القريني
ثم السعدي . ثم قال: «وكعب بن جُعَيْل شاعر مُفْلِق قديم في أوّل الاسلام . وهو
يُدعى في كامل المبرد (ص ١٨٧) شاعر اهل الشام . وقد ذكر له القدماء ابیاتاً متفرقة
نزوي ما عثرنا عليه منها كقوله يمدح قوماً (شرح المقامات للشريشي ٢ : ٨٦)
(من الكامل):

لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سَوَاءِهِمْ لَتَطْلُبِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهُمْ عِنْدَ السُّؤَالِ أَحْسَنَ الْأَلْوَانِ
وله في الرثاء قوله في عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قُتِلَ في صفين (سنة ٣٧ هـ
٦٥٧ م) وقد رواه الطبري (١: ٣٣١٥) وياقوت (٣: ٤٠٣) وكتاب وقعة صفين
(٢١٣ و ٢٦٦) (من الطويل):

أَلَا أَنَّمَا تَبْكِي الْعَيُونُ لِفَارَسٍ بِصَفَيْنِ أَجَلَتْ خَيْلُهُ وَهُوَ وَاقِفٌ

(١) وفي الاغانى (٢١: ١٩٦) ما بين رَجُلَيْنِ حَتَّى تَجَاوِزَاهُ

(٢) وفي الاغانى (٢١: ١٩٧): لَا مَا كُنَّا نُعَلِّلُ بِهِ أَنْفُسَنَا مِنْذُ الْيَوْمِ

يُدَلُّ مِنْ أَسْمَاءٍ أَسيافَ وائِلٍ وكان فتى (١) لو أخطأته المتالفُ
 تركنَ عَيْدَ اللَّهِ بالقاعِ مُسَلِّباً تمجُّ دماً منه العروقُ النوازفُ (٢)
 يَنُوءُ وَتَعْلُوهُ شَائِبُ مِنْ دَمٍ كمالاح في جيب القميص الكتائفُ (٣)
 دَعَاهُنَّ فَاسْتَسْمَعْنَ مِنْ أَيْنَ صَوْتُهُ وأقبلن شتى والعيونُ ذوارفُ
 يُحَلِّلْنَ عَنْهُ زُرَّ دِرْعٍ حَصِينَةٍ ويُبدنَ عنه بعدهنَّ معارفُ
 وَقَدْ صَبَرَتْ حَوْلَ ابْنِ عَمِّ مُحَمَّدٍ لدى الموتِ (٤) شهباء المباركِ شارِفُ
 فَمَا يَرْحُوا حَتَّى رَأَى اللَّهُ صَبْرَهُمْ حتى أَتِيحتْ بالأُكْفِ المصاحِفُ
 بِمَرْجٍ تَرَى الرَايَاتِ فِيهِ كَأَنَّمَا اذا اجْتَمَحَتْ لِلطَّعْنِ طَيْرُ عَوَا كَفُ
 جَزَى اللَّهُ قَتْلَانَا بِصَنِينَ خَيْرَ مَا جزاهُ عِبَادًا غَادَرَتْهَا المواقِفُ (٥)
 أَلَا إِنَّ شَرَّ النَّاسِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بنو أُسْدٍ إِنِّي لِمَا قُلْتُ عَارِفُ
 وَحَالَتْ تَمِيمٌ بَعْدَهَا وَرِبَابُهَا وخالفتِ الْجَعْدَاءُ فِيمَنْ يَخَالِفُ
 مَعَاوِيَ لَا تَنْهَضُ بِغَيْرِ وَثِيقَةٍ فانك بعدَ اليومَ بالذَّلِّ آسِفُ

وقال في خزائن الادب (١: ٤٥٨) : ولكعب هذا اخ يقال له عمير بن جعيل وهو شاعر ايضا وهو القائل يهجو قومه (من الطويل) :

كَسَا اللَّهُ حَيِّي تَغْلِبَ ابْنَةُ وائِلٍ مِنَ اللُّؤْمِ اظْفَارًا بَعْلِيَا نُصُولُهَا

- (١) ويروى: تبدل... وكان فتى (٢) ويروى: مسلماً. ومسنداً يمجُّ نجياً. وفي الديوري: تمجُّ دم الحرق العروق الذوارف. ويروى: تمجُّ دماً منه. وتمجُّ دماً. والعروق نوازف
 (٣) ويروى: يئو. ويملوه شائب... ويروى: وتغشاه... اللقائف
 (٤) ويروى: ابن عم نيتنا من الموت
 (٥) وروى باقوت: بصفين ما جزا عباداً له اذ غودروا في المراحف (كذا)

قال ثم ندّم فقال (من الطويل) :

نَدِمْتُ عَلَى شَتَمِي الْعَشِيرَةَ بَعْدَمَا مَضَتْ وَأَسْتَبْتُ لِلرُّوَاةِ مَذَاهِبُهُ
فَاصْبَحْتُ لَا أَسْطِيعُ رَدًّا لِأَمَضَى كَمَا لَا يَرُدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ حَالِبُهُ (١)

أما الجمعي فأنه يروي هذه الابيات في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) لكعب وقد اضاف اليها قوله (من الطويل) :

مُعَاوِيَ أَنْصِفْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ مِنْ النَّاسِ أَوْ دَعَهَا وَحِيًّا تُضَارِبُهُ
قَلِيلٌ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ لُبَّائِي إِذَا رَابَنِي بَابُ الْأَمِيرِ وَحَاجِبُهُ
وَلَمَّا تَدَارَوْا فِي ثَرَاتِ مُحَمَّدٍ سَمَتْ بَابُنِ هِنْدٍ فِي قُرَيْشٍ مَضَارِبُهُ

(قلنا) ان في هذه الابيات نظراً . فعلى قول صاحب خزانة الادب (١: ٤٥٨) ان البيت الذي قيل في هجاء تغلب «كسا الله حيي تغلب» هو لمعيرة اخي كعب ابن جعيل المترجم هنا . ثم ذكر (ص ٤٥٩) شاعراً آخر سماه عبيدة بن جعيل وذكر نسبه وقال عنه انه «شاعر جاهلي» على أننا رأينا هذا البيت عينه في الفضليات (ص ٥١٨) في مقدمة خمسة ابيات ونسبته هناك ليست لـ اخي كعب بن جعيل بل لمعيرة بن جعيل بن عمرو الشاعر الجاهلي . وقد اثبتنا نحن هذه الابيات في شعراء النصرانية (ص ١٩٥) لذلك الشاعر الجاهلي مع ابيات أخرى نوثية رواها له صاحب الفضليات (ص ٥٢٠-٥٢٢) وذكر منها في خزانة الادب ثلاثة ابيات . فتدري ما وقع من الاضطراب في الروايات لسبب اتفاق الاسماء .

وروي أيضاً لكعب في الحماسة البصرية في باب الرثاء (١: ٢١٠) (من الطويل) :

بِرَابِيَةِ الثَّرَنَارِ (٢) قَبْرُ ثُرَابُهُ يَضُمُّ الْغَنَامُ الْجُودَ وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَا
رَأَتْ تَغْلِبَ الْعَلِيَاءَ عِنْدَ مُصَابِهِ عَيُونَ الْأَعَادِي نَحْوَ أَعْيُنِهَا خُزْرَا

(١) ويروي : واصبحت لا اسطيع دفناً لما مضى ...

(٢) الثرثار وادٍ عظيم في الجزيرة لبني تغلب يصب ماؤه في دجلة

وَوَدَّتْ نَجُومُ الْجُودِ يَوْمَ حَمَلْنَهُ عَلَى النَّعْشِ لَوْ كَانَتْ بِأَجْمَعِهَا قَبْرًا
مُنَافِسَةً مِنْهَا عَلَيْهِ وَضَنَةٌ عَلَى التُّرْبِ أَنْ تَمْحُوَ الْمَآثِرَ وَالْفَخْرَا
وَمَا بَخَلْتُ عَيْنَايَ بِالْدَّمِ مَعَ بَعْدِهِ عَلَى هَالِكٍ إِلَّا ذَكَرْتُ لَهَا عَمْرًا (١)

وروى له أيضاً يهجو المغيرة بن شعبه (٢: ١٨٢) (٢) (من الطويل) :

إِذَا رَاحَ فِي قُوْهِيةٍ (٣) فَتَازَرَا فَقُلْتُ أَلَا يَسْتَنُّ فِي لَبَنٍ مَخْضٍ
وَتَحْسَبُهُ إِنْ قَامَ لِلْمَشْيِ قَاعِدًا لِقَلَّةِ مِثْيَاسِهِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
فَاقْسَمْتُ لَوْ حَزَّتْ مِنْ اسْتِكَ بِضْعُهُ لَمَا انْكَسَرَتْ مِنْ قَرَبِ بَعْضِكَ مِنْ بَعْضٍ
فِيَا خَلْقَةَ الشَّيْطَانِ أَقْصِرْ فَإِنَّمَا رَأَيْتُكَ أَهْلًا لِلدَّوَاةِ وَالْبُغْضِ

وفي معجم البلدان لياقوت (٢: ٣٧٨) وفي تاريخ الطبري (١: ٧٤٩) بيتٌ فرد
للكعب التغلبي يذكر غزوة الملك تبّع الحميري للعراق قال (من الرمل) :

وَعَزَانَا تَبَّعُ مِنْ حَمِيرٍ نَزَلَ الْحِيرَةَ فِي أَهْلِ عَدَنٍ
وَالْبَيْتُ تَصْنَعُ فِي الطَّابِرِيِّ فَرَوَاهُ مَكْسُورًا

وَعَزَا تَبَّعُ فِي حَمِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْحِيرَةَ مِنْ أَرْضِ عَدَنٍ
وقد يروى له أيضاً في شواهد سيبويه (من الرمل) :

صَعْدَةُ نَابِتَةٌ فِي حَائِرٍ أَيْنَمَا الرِّيحُ تُمِيلُهَا تَمِيلُ
قال الصَّعْدَةُ القَنَاةُ المَسْتُوِيَةُ . وَالْحَائِرُ الْمَكَانُ الْمَطْمَئِنُّ . شَبَّهَ امْرَأَةً فِي تَأْيِلِهَا بِهَذِهِ
القَنَاةِ . وَيَلِي هَذَا الْبَيْتُ أَرْبَعَةُ ابْيَاتٍ غَزَلِيَّةٍ (خزانة الادب ١: ٤٥٧) نَضْرِبُ عَنْهَا
الصفحة

(١) نَظَنُ أَنَّهُ يُرِيدُ عَمْرًا بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْمَعْرُوفَ بِالْأَشْدَقِ قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م)

(٢) كَانَ الْحِيرَةُ وَالْبَاءُ عَلَى الْكُوفَةِ وَفِيهَا تَوَفَّى بِالطَّاعُونَ سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م)

(٣) الْقَوَاعِيَةُ التَّيَابُ الْبَيْضُ الْمَسْجُوجَةُ فِي قُوْهِسْتَانَ كُورَةِ مِنَ الْمَجْمِ

١٢ العُدَيْل بن الفرخ

﴿نسبه﴾ هو العُدَيْل بن الفرخ (وروى في الاغاني «الفرج» وهو تصحيف) بن معن بن الاسود بن ربيعة بن عجل البكري. وقال في تاج العروس: «وفي بعض النسخ «العدي» بلا لام وهو صحيح» فيكون اسمه عدياً وكان يلقب بالعباب. قال في الاغاني (١١: ٢٠): «وكان له ثمانية اخوة وأُمهم جميعاً امرأة من بني شيبان منهم أسود وكان شاعراً فارساً وسواده وشملة (وقيل سلمة) والحرث وكان يقال لامهم دَرَمْنَا»

﴿دينه﴾ كان العديل من قبيلة عجل الثابتة على نصرانيّتها حتى بعد الاسلام فقال الأبيّرد يهجوهم :

بنو عجل أذلّ من المطايا ومن لحم الجَزُور على الثمار
نُحْيَا المُسلمون اذا تلاقوا وعجل ما نُحْيَا بالسّلام

وكذلك بنو شيبان الذين منهم كانت أمه. وفي ترجمته أنّه هرب من الحجاج الى بلد الروم ولجأ الى قيصر. ولولا نصرانيّته لما فعل

﴿اخباره﴾ جاء في الاغاني (١٢: ٢٠) ما نصّه : «كان للعديل واخوته ابن عم يُسْتَمَى عمراً فتزوج بنت عم لهم بغير امرهم فغضبوا ورصدوه ليضربوه. فخرج عمرو ومعه عبد له يُسَمَّى دابغاً فوثب العديل واخوته فاخذوا سيوفهم فقالت اُمهم : اني اعوذ بالله من شرّكم. فقال لها ابنها اسود : واي شيء تخافين علينا فوالله لو حملنا اسيافنا على هذا الخنو خنو قراقر لما قاموا لنا. فانطلقوا حتى لقوا عمراً. فلما رآهم دُعر منهم وناشدهم فأبوا فحمل عليه سواده فضرب عمراً ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سواده (من الوافر) :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي رَجُلًا بِرَجُلٍ تَأْتِي لِلْقِيَامِ فَلَا تَقُومُ

وقال عمرو لدابغ : إضرب فانت حر. فحمل دابغ فقتل منهم رجلاً وحمل عمرو

فقتل آخر وقد أولاهم فقتلوا منهم اربعة وضرب العديل على رأسه. ثم تفرقوا وهرب

دابع حتى اتى الشام فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديل ضربته ومكث مدة .
ثم خرج العديل بعد ذلك حاجاً فقيل له ان دابعاً قد جاء حاجاً وهو يرتحل فياخذ
طريق الشام وقد اكثرت . فجعل عديل عليه الرصد حتى اذا خرج دابع ركب العديل
راحلته وهو ملتئم وانطلق يتبعه حتى لقيه خلف الركاب يحذو بشعر العديل ويقول
(من الرجز) :

يا دار سلمى أقفرت من ذي قار هل فيك يا قفار الدار من عار
وقد كسين عرقاً مثل القار يخرجن من تحت خلال الأوبار

فليحقه العديل فجبس عليه بعيره وهو لا يعرفه ويسير رويداً ودابع يمشي رويداً
وتقدمت إبله فذهبت وانما يريد ان يباعده عنها بوادي حنين . ثم قال العديل والله
لقد استرخى حقب رحلي أنزل فأغتر الرحل فتعيني . فتزل وغتر الرحل وجعل دابع يمينه
حتى اذا شد الرحل اخرج العديل سيفه فضربه حتى برد ثم ركب راحلته فنجوا وانشأ
يقول (من الطويل) :

ألم ترني جللت بالسيف دابعاً وان كان ثاراً لم يُصِبْهُ غليلي
بوادي حنين ليلة البدر رعتُهُ بأبيض من ماء الحديد صقيل
وقلت لهم هذا الطريق أمامكم ولم آل اذ صاروا لهم بدليل

وفي ذلك يقول جرثومة الغنزي الجلائي :

ان امرءاً بججو الكرام ولم ينل من السار إلا دابعاً كلّم
انقلب في جلان ونزاً ترومه وفاتك بالأوتار شر غرم

يجيب على ما هجا به العديل قومه حيث قال :

أهاجي بني جلان اذ لم يكن لها حديث ولا في الاولين قديم

قالوا واستمدى مولى دابع على العديل الحجاج بن يوسف وطالبه بالقود فيه

فهرب العديل الى بلد الروم . فلما صار الى بلد الروم لجأ الى القيصر فأمنه فقال في
الحجّاج (من الطويل) :

أخوفُ بالحجّاج حتى كأنما يُحرّكُ عظمُ في الفؤادِ مهيمضُ
ودونَ يدِ الحجّاج من ان تنالني بساطُ لأيدي الناعجاتِ عريضُ
مهامهُ اشباهُ كأنَّ سرّابها مُلأَ بأيدي الغاسلاتِ رحيضُ

فبلغ شعره الحجّاج فكتب الى قيصر : لتبعنّ به او لأغزيّك جيشاً أوّله عندك
وآخره عندي . فبعث به قيصر الى الحجّاج

(قال) ففرج العديل يريد الحجّاج فلما صار الى بابهِ حجبه الحاجب فوثب عليه
العديل وقال : أنّه لن يدخل على الامير بعد رجالات قريش اكبر مني ولا أولى
بهذا الباب . فتأزّعه الحاجب الكلام فأحفظه وانصرف العديل عن باب الحجّاج الى
يزيد بن المهلب فلما دخل اليه انشأ يقول (من الطويل) :

لئن أرّجَ الحجّاجُ بالبخلِ بابهُ فبابُ الفتى الازديّ بالرّفِ يُفتحُ
فتى لا يبالي الدهرَ ما قلّ ما له اذا جعلتْ ايدي المكارمِ تسنحُ
يداهُ يدُ بالرّفِ تنهبُ ما حوتْ وأخرى على الأعداءِ تسطو وتجرّحُ
اذا ما اتاهُ المُرملون تيقنوا بأنّ الغنى فيهم وشيكاً سيّسرحُ
أقام على العافين حُرّاسَ بابهِ يُنادونهم والحرُّ بالحرِّ يفرحُ
هلمّوا الى سيبِ الاميرِ وعُرفهِ فانّ عطاياهُ على الناسِ تُنفّحُ
وليس كعليجٍ من ثمودٍ بكفهِ من الجودِ والمعروفِ حَزْمُ مطرَحُ

فقال له يزيد : عرضت بنا وخاطرت بدمك . وبالله لا يصل اليك وانت في

حيزي . فامر له نجمسين الف درهم وامر له بافراس وقال له : ألقنّ بعلياء نجدي واحذر

ان تلحقك حبالُ الحجاج او تحببك حاجة . وابعث الي في كل عام فلك علي
مثل هذا . فارتحل . وبلغ الحجاج خبره فأحفظه ذلك على يزيد وطلب العديل فثأته
فاستاق ابنة واحرق بيته وسلب امرأته وبناته واخذ حليهن . فقال العديل (من
الطويل) :

سَلَبَتْ بَنَاتِي حُلِيِّهِنَّ فَلَمْ تَدَعْ سَوَارًا وَلَا طَوْقًا عَلَى النَّحْرِ مُذْهَبَا
وَمَا عَزَّ فِي الْأَذَانِ حَتَّى كَأَنَّمَا تُعْطَلُ بِالْبَيْضِ الْأَوَانِسِ رَبْرَبَا
عَوَاطِلُ لَا إِنْ تَرَى بِجُدودِهَا قُسَامَةً عُتْقٍ أَوْ بَنَانًا مُخْضَبَا
فَكَكَّتِ الْبُرَيْنَ عَنْ خِدَالِ كَأَنَّمَا بَرَادِي غِيلٍ مَاؤُهُ قَدْ تَنْضَبَا
مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ عَنْ كُلِّ حَرَّةٍ تَرَى سَمَطَهَا بَيْنَ الْجَمَانِ مَثَبَا
دَعَوْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يُجِبْ دَعَاءَ وَلَمْ يُسْمِعْنِ أَمَّا وَلَا أَبَا

قال ابو عمرو الشيباني (الاعاني ٢٠: ١٣) : «لما لج الحجاج في طلب العديل
لفظته الارض ونبا به كل مكان هرب اليه . فاتي بكر بن وائل وهم يومئذ بادون
جمع منهم بنو شيان وبنو عجل وبنو يشكر فشكا اليهم امره وقال لهم : انا
مقتول أقتلوني هكذا وانتم اغز العرب ؟ قالوا : لا والله ولكن الحجاج لا يرأغم
ونحن نستوهبك منه . فإن اجابنا فقد كفيت وان حادثنا في امرك منعناك وسألنا امير
المؤمنين ان يهبك لنا . فاقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل الى الحجاج فقالوا
له : ايها الامير اننا قد جئنا جميعا عليك جناية لا يغفر مثلها ونحن قد استسلمنا
وألقينا بايدينا اليك فأما وهبت فأهل ذلك انت وإما عاقبت فكنت المسأط المالك
العاذل . فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم ألا الفاسق العديل . فقاموا على ارجلهم
فقالوا : مثلك ايها الامير لا يستثنى على اهل طاعته واوليائه في شي . فان رأيت ان لا
تكدر منك باستثناء وان تهب لنا العديل في أول من تهب . قال : قد فعلت فهاوتوه
قبحه الله . فأتوه به . فلما وقف بين يديه انشأ (من الطويل) :

ها أنا اذا ضاقت بي الارض كلُّها اليك وقد جوت كل مكان
فلو كنت في نهلان أو شعبي أجا ليخلك إلا أن تصد تراني
فقال له الحجاج: أنشدني قولك :

ودون يد الحجاج من أن تنالني (البيت)

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير ولكني قلت (من الطويل) :

اذا ذكر الحجاج أضمرت خيفة لها بين أحناء الضلوع نفيض
فتبسم الحجاج وقال: أولى لك فظلي سبيله وعنا عنه وفرض له وتحمل دية
دايع في ماله. وما أنشده ليسترضي الحجاج عند قدومه العراق قوله (من الطويل) :

دعوا الجبن يا أهل العراق فإنما يهان ويُنسي كل من لا يُقاتل
لقد جرّد الحجاج للحق سيفه ألا فاستقيموا لا يملن مائل
وخافوه حتى القوم بين ضلوعهم كنز و القطاضت عليه الجائل
وأصبح كالبازي يُقلب طرفه على مرقب والطير منه رواحل

﴿زمانه وشعره﴾: اشتهر العدیل في زمن الدولة الاموية والمروانية وهو من رُحط ابي النجم العجلي. وكان شاعراً مُقلداً إلا أن شعره حسن مطبوع. وله في المديح اقوال مشهورة منها لاميته في الحجاج لينال الصفح عن هجائه فقال (من الطويل) :

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان حجاج علي دليل (١)
بني قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول
اذا جاز حكم الناس أجا حكمه الى الله قاض بالكتاب عقول

خليلُ امير المؤمنين وسيفه
 به نصر الله الخليفة منهم (٢)
 فانت كسيف الله في الارض خالد (٣)
 وجازيت اصحاب البلاد بلاءهم
 وصلت برآن العراق فأصبحت
 أذقت الحيام أنبي عباد فاصبحوا
 ومن قطري نلت ذاك وحواله
 اذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي
 وما خفت شيئاً غير ربي وحده
 ترى الثقلين الجن والإنس اصبحا
 وروى ابو تمام في الحماسة لعدّيل العجلي قوله في الفخر وقيل انها لابي الأخيل
 العجلي (من الطويل) :

ألا يا أسلمي ذات الدماليج والعقد
 وذات الشايات الغر والفاحم الجعد (٦)
 وذات اللثات الحم والعارض الذي
 به أبرقت عمداً بأبيض كالشهد (٧)

(١) ويروى : مصطفى و خليل

(٢) ويروى : الإمام عليهم (٣) تلحج الى خالد بن الوليد الملقب بسيف الله

(٤) ابنا عباد والقطري بن القجاء ممن خرجوا على دولة الامويين ظفرا بجم المعجّاج

(٥) في هذا البيت الاقواء

(٦) الدماليج جمع دملوج وهو العضد . والفاحم الشعر الاسود

(٧) اللثات مغازر الاسنان . والحم جمع أحمر اي اسود ويروى : الحو من المؤنة اي

الشمرة . والعارض الناب

كان ثنایها اغتبن مُدامةً
جری بفريقِ العامرية غُدوةً
اذا ما نَعْنَقْتُ قَلْتُ هذا فرائها
لعلّ الذي قاد النوى أن يرُدّها
وعلى النوى في الدار تجمعُ بيننا
لعمري لقد مرّت بي الطيرُ أنفأً
ظَلَلْتُ أَساقِي الموتِ إِخْوَتِي الأولى
كلانا ينادي يا زارُ وبيننا
قرومُ تَسَامَى من زارِ عليهمُ
أذا ما حملنا حَمَلَةً مَثَلُوا لنا
وان نحنُ نازلناهمُ بصوارمِ
كفى حزنًا أن لا أزال أرى القنا
لعمري لئن ومّتُ الخُروجَ عليهمِ
وضيّعتُ عمرًا والربابَ ودارمًا

ثَوْتُ حَجَجًا في رَأْسِ ذِي قُنَّةٍ فَرْدٍ (١)
شواحيجُ سودٌ ما تُعيد وما تُبدي
وان هنّ لم يَنْعِنَنَّ سَكَنَ من وجدي
الينا فقد يُدْنِي البعيدَ من البُعدِ
وهل يُجَمِّعُ السيفانِ ويحك في غمدي (٢)
بما لم يكن إِذْ مرّتِ الطيرُ من بُدٍ (٣)
ابوهمُ ابي عند المزاخَةِ والجدِ (٤)
قَنًا من قَنَا الحَظِيّ اومن قَنَا الهنْدِ
مُضَاعَفَةٌ من نَسْجِ داوود والسُّفْدِ (٥)
بمُرْهَفَةٍ تُذْري السَّوَاعِدَ من صُعدِ (٦)
رَدَوَانِي سرّ اَبِيلِ الحَديدِ كما زُدي
تَمِجُ نَجِيعًا من ذِراعي ومن عَضْدي (٧)
بَقَيْسٍ على قَيْسٍ وَعَوْفٍ على سَعْدِ
وعمرَ بنِ أَدْرِ كيف اصبرُ عن أَدْرِ

- (١) الاغتراب شرب المشي . ثم وصف تلك الحمرة بانها ممتعة في الدنان
- (٢) هذه الايات الاربعة ليست في النسخة المطبوعة وهي في نسخة خطية قديمة في مكتبتنا الشرقية
- (٣) يشير الى عادة العرب في مراقبة الطير فيبشرون جا ويشاءمون
- (٤) ويروي اساقى الهم . وساقاه شاركه في سقيه
- (٥) ينسب العرب اصطناع الدروع للنبي داود ولامل بلاد السُفْد . ويروي : والسُفْدُ
- (٦) المرهفة السيوف المرققة . وتذري تسقط . ومن صُعد اي من اعلى
- (٧) اراد بالذراع والعصد قومه الذين يبطش بهم على اعدائهم

لكنت كهُزَيْقِ الذي في سِقَانِهِ لَرَقْرَاقِ آلٍ فوقَ رَابِيَةِ صَالِدِ (١)
 كمرضعةِ اولادٍ أُخْرَى وُضِعَتْ بني بطنها هذا الضَّلَالُ عن القَصْدِ (٢)
 فأوصيكما يا ابني زَارٍ فتابعَا وصيةَ مُفْضِي النُّصْحِ وَالصِّدْقِ وَالْوَدِّ
 وَلَا تَعْلَمَنَّ الحَرْبُ في الهَامِ هَامِي وَلَا تَرَمَنَّ بِالنَّبْلِ وَيَحْكَمَا بَعْدِي (٣)
 أَمَا تَرَهْبَانِ النَّارِ في ابْنِي أَبِيكَمَا وَلَا تَرْجَوَانِ اللهَ في جَنَّةِ الخُلْدِ (٤)
 وإني وإن عَادِيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ لَتَأْلُمَنَّ مَمَّا عَضَّ أَكْبَادُهُمْ كِبْدِي
 فَانْ أُنِي عِنْدَ الحِفَاطِ أَبُوهُمْ وَخَالُهُمْ خَالِي وَجَدُّهُمْ جَدِّي
 فَمَا تُزْبُ أَثْرِي لو جَمَعْتَ تُرَابَهَا بَأَكْثَرِ مَنْ ابْنِي زَارٍ عَلَى العَدِّ (٥)
 هَا كُنْفَا الارضِ اللِّدَا لو تَرَعَزَا تَرَعَزَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السُّدِّ
 رِمَاحُهُمْ فِي الطُّولِ مِثْلُ رِمَاحِنَا وَهُمْ مِثْلُنَا قَدْ السُّيُورُ مِنَ الْجِلْدِ (٦)

وروى له ابن عبد ربّه في العقد الفريد قوله يذكر يوم ذي قار وحضور بني شيان وعجل فيه (من البسيط) :

مَا أَوْقَدَ النَّاسُ مِنْ نَارٍ لِمَكْرُمَةٍ إِلَّا أَصْطَلَيْنَا وَكُنَّا مُوقِدِي نَارٍ

(١) يقول لو شئتُ ان اخرج على من عاداني لأثرتُ حرباً إمليّة تضرُّ ولا تنفع ورقراق
 الآل فَوْجُ السَّرِّ

(٢) شَبَّهَ فَعْلُهُ وَعَدَمَ فَاثِدَتِهِ بِطَيْرِ النَّمَامَةِ الَّتِي تَذْهَلُ عَنْ بَيْضِهَا وَتَجْشَمُ عَلَى بَيْضِ غَيْرِهَا يُضْرَبُ
 بِمِثْلِهَا

(٣) ويروي: فَلَا تَعْلَمَنَّ الحَرْبَ. وَخَصَّصَ هَامَتَهُ وَهُوَ يَرِيدُ شَخْصَهُ

(٤) هذا قول صريح في اعتقاد الشاعر لعقاب الآخرة وثوابها

(٥) الأَثْرِي كَالْأَثَرِ هِيَ الارض اصلها اللِّدَانِ فَحَذَفَ التَّوْنِ

(٦) كُنْفَا الارض نَاحِيَتَاهَا. وَاللِّدَا

وما يُعدُّون من يومٍ سمعت به للناس أفضل من يومٍ بذى قارِ
جئنا بأسلابهم والخليل عابسةً لما استلبنا (١) لكسرى كل أسوار
ومن جيد شعر العديل قصيدته اللامية التي يدح فيها قبائل وائل ويذكر دفاعهم
عنه ويفتخر بهم فقال (الاغاني ٢٠: ١٤-١٦) (من الكامل):

صَرَمَ النِّوَانِي واستراح عواذلي وصحوت بعد صباية وتمايل
وذكرت يوم لوى عُثيق (٢) نسوة يخطرُن بين أكلة ومراجل
لعب النعيم بهن في أطلاله (٣) حتى لسن زمان عيش غافل
ياخذن زينتهن أحسن ما ترى واذا عطلن فهن غير عواطل
واذا خبان خدودهن أرينني (٤) حدق ألها وأخذن سهم القاتل
ورمينني (٥) لا يستترن بحجة ألا الصبا وعلمن ابن مقاتلي
يلسن أردية الشباب لأهلها ويجرُّ باطلهن حبل الباطل (٦)
بيض الأنوق بكسرهن ومن يرد بيض الأنوق فكسرها بمعاقل (٧)
وراك اهلك منهم ورايتهم بفروع أرعن فوقها متطاوِل
واذا سألت ابني زرار بينا مجدي ومزلي من ابني وائل
حدبت بنو بكر علي وفيهم لهم المكارم بالعديد الكامل (٨)
خطروا ورائي بالقنا وتجمعت منهم قبائل أردفوا بقبائل

(١) ويرى : يوم استلبنا

(٢) لوى عُثيق مكان بينه وبين لوى عُثيق (٣) ويرى : في اطلاله

(٤) كذا روى المصري في زهر الآداب (١: ٨٤). وفي الاغاني : واذا جنان خدودهن

أرئينا. وهو تصحيف (٥) روى المصري : برميننا

(٦) روى المصري : ذيل الباطل. وقد غفَّ ابن سريج بالآيات الاربعة السابقة

(٧) يشير الى المثل : اغرُّ من بيض الأنوق

(٨) وفي الاصل : والعديد الكامل

ان الفوارس من لجيم لم تزل
 متعمم بالناج يسجد حوله
 او رهط خظلة الذين رماهم
 قوم اذا شهروا السيوف رأوا لها
 ولئن فخرت بهم لمثل قديمهم
 اولاد ثعلبة الذين لمثلهم
 ولمجد يشكر صورة عادية
 وبنو الفزار اذا عدت صنيعهم
 واذا فخرت بتغلب ابنة وائل
 ولتغلب الغلباء عز بين
 تسطو على النعمان وابن محرق
 بالمقربات يثن حول رحاهم
 اولاد أعوج والصريح (٢) كأنها
 يلقطن بعد أزومهن على الشبا
 قوم هم قتلوا ابن هند غوة (٣)

فيهم مهابة كل ابيض فاعل
 من آل هوزة للمكارم حامل (١)
 سم الفوارس خف موت عاجل
 حقاً ولم يك سلها للباطل
 بسط الفاخر للسان القائل
 حلم الحليم ورد جهل الجاهل
 وأب اذا ذكره ليس يخامل
 وضح القديم لهم بكل محافل
 فاذكر مكارم من ندى وأوائل
 عادية ويزيد فوق الكاهل
 وابني قطام بعزة وتناول
 كالقد بين أجلة وصواهل
 عقاب يوم دجنة وتحايل
 علق الشكيم بالسن وجحافل
 وقنا الرماح تذود ورد الناهل

(١) يشير الى هوزة بن علي سيد بني حنيفة (النصراني المعروف بذي الناج) اطلب كتاب النصرانية وآداجا بين عرب الجاهلية ص ٤٤٣

(٢) اعوج والصريح فرسان من الخيل الاصيلية يضرب العرب بكرهما المثل

(٣) قتل عمرو بن كلثوم التغلبي ملك الحيرة عمر بن هند

منهم ابو حنّسٍ وكان بكفّه رَيَّ السنانِ وريُّ صَدْرِ العاملِ (١)
 ومُهَلِّلُ الشعراءِ اِنْ فَخَرُوا بِهِ وَنَدَى كُلِّيبٍ عِنْدَ فَضْلِ النَّازِلِ (٢)
 حَجَبَ الْمَنِيَّةَ دُونَ وَاحِدِ أُمِّهِ مِنْ أَنْ تَبَيَّتَ وَصَدْرُهَا بِبِلَابِلِ
 وَأَبَى مُجَاسَّةَ الشَّبَابِ فَلَمْ يَكُنْ يُسْتَبُّ مَجْلِسُهُ وَحَقَّ النَّازِلِ
 حَتَّى أَجَارَ عَلَى الْمُلُوكِ فَلَمْ يَدَغْ حَدْبًا وَلَا صَعْرًا لِرَأْسِ مَائِلِ
 فِي كُلِّ حَيٍّ لِلْهُذَيْلِ وَرَهْطِهِ نَعَمْ وَاخْذُ كَرِيمَةً بِتَنَاوُلِ
 بَيْضُ كَرَامِهِ رَدَّهِنَّ لَعُنُوهُ أَسْلُ الْقَنَا وَأُخِذْنَ غَيْرَ أَرَامِلِ
 ابْنَاوَهُنَّ مِنَ الْهُذَيْلِ وَرَهْطِهِ مِثْلُ الْمُلُوكِ وَعِشْنَ غَيْرَ عَوَامِلِ

وقد روى له في الاغاني (١١: ٢٠) ابياتاً فيها غناء لمعبد (من الطويل) :

فان تكُ من شيبانِ أُمِّي فأنِّي لَا يَبُصُّ مِنْ عَجَلٍ عَرِيضُ الْمَفَارِقِ
 وكيف بذِ كَرَى أُمِّ هَارُونَ بَعْدَمَا خَبَطْنَ بِأَيْدِيهِنَّ رَمْلَ الشَّقَائِقِ
 كَانَ نَقًّا مِنْ عَالِجٍ آذَرَتْ بِهِ إِذَا الذِّلُّ أَلْهَاهُنَّ شَدَّ الْمَنَاطِقِ
 وَأَنَا لَنُغْلِي فِي الشِّتَاءِ قَدُورَنَا وَنَصِيرُ تَحْتَ اللَّامِعَاتِ الْخَوَافِقِ

وقد روى الاصمعيّ ان الشاعر الراجز ابا نجم قال للعديل : أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ (فان
 ذكُ من شيبانِ أُمِّي البيت) أَكُنْتَ شَاكًّا فِي نَسَبِكَ حِينَ قُلْتَ هَذَا . فَقَالَ لَهُ الْعُدَيْلُ :
 أَفَشَكَّكَ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ أَوْ شَعْرَكَ حِينَ قُلْتَ :

أَنَا أَبُو النَجْمِ وَشِعْرِي شَعْرِي اللَّهُ ذَرِي مَا يَجْنُ صَدْرِي

فَأَمْسَكَ أَبُو النَجْمِ وَاسْتَحْيَا - وَمِنْ مَدِيحِ الْعُدَيْلِ مَا قَالَهُ فِي رَجُلَيْنِ عُرِفَا بِشَرَفِهَا

(١) أَبُو حَنْشٍ كُنْيَةُ عَصِمِ بْنِ النِّعْمَانِ التُّغْلِيِّ الَّذِي قَتَلَ شَرْحِبِيلَ بْنَ الْحَارِثِ لِقَتْلِهِ إِخَاهُ
 لِأُمِّهِ ذَا السُّنَيْنَةِ (٢) اطْلُبْ أَخْبَارَ كُلِّيبِ وَالْمُهَلِّلِ فِي شِعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ

و ضرب المثل بكرمها وهما حوشب الشيباني وعكرمة بن رباعي الفياض . روى عنها صاحب الاغانى ما حرقه قال (١٨: ٢٠) :

« كان حوشب بن يزيد الشيباني وعكرمة بن رباعي يتنازعا الشرف ويتباريان في الطعام ونَحَرَ الْجُرُّ في عسكر مُضْعَب . وكان حوشب يغلب عكرمة لَسَعَة يده . (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُخْتَر . . . بسفائن دقيق فَأَتَاهُ عكرمة فقال له : الله الله فيَّ قد كاد حوشب أن يَسْتَعْلِيَّ ويعلبني بِمالِه فبغني هذا الدقيق بتأخير ولك فيه مثلُ ثمنه رجاء . فقال : خذهُ . واعطاهُ أَيَّاهُ فدفعهُ الى قومه وفرقه بينهم وامرهم بِعَجْنِهِ كُلِّهِ فَعَجَنُوهُ كُلَّهُ ثُمَّ جاء بالعجين كُلِّهِ فجمعه في هَوَّة عظيمة وامر به فغَطَّى بالحشيش . وجاء بِرَمَكَة فقرَّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأفلت ثُمَّ ركضوها بين يديه وهو يتبعها حتى أَلْقَوْها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورط في العجين وبقي فيه جميعاً . وخرج قومُ عكرمة يصيحون في العسكر : يا معشر المسلمين أَدْرِكُوا فرس حوشب فقد غَرِقَ في خميرة عكرمة . فخرج الناس تعجباً من ذلك اذ تكون خميرة يُغْرَق فيها فرس . فلم يبقَ في العسكر احد الأركب ينظر وجاهزوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه . فما أخرج إلا بالعمد والجبال وغلب عليه عكرمة وافتضح حوشب فقال العديل بن النرخ يمدحها ويفخر بها (من الطويل) :

وعِكرمةُ الفياضُ فينا وحوشبُ هما قَتَيَا الناسَ اللذا (١) لم يُعمَرَا
هما قَتَيَا الناسَ اللذا لم يَنَلْهُما رئيسُ ولا الأَقْيَالُ من آلِ حَمِيرَا
وقال غيره في حوشب :

وأجودُ بالمال من حاتمٍ وأنحَرُ للجزر من حوشبٍ

وقد مدح العديل رجلاً آخر سَيِّداً على بني ربيعة بن تزار اسمه مالك بن ربيعة ابن مِسْمَعٍ لاذ بابيه بنو تميم والأزد لان والى الكوفة زياداً حمل مالا من البصرة الى معاوية فحرم عرب ربيعة فاستغاوا بربيعة بن مسمع فارسل ابنه مالكا فلحق بالمال وردّه

وانفق في الناس حتى وفاهم عطاءهم فما راجعه زياد ثم ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير
البصرة فجمع هو ايضا مالا ليعمله الى ابيه فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا به
ف فعل مثل فعله زياد فقال العديل قصيدته التي اولها (من الطويل):

أَمِنْ مَنْزِلٍ مِنْ أُمِّ سَكْنٍ عَشِيَّةَ ظَلَمْتُ بِهَا أَبْكَى عَلَيْهِ مُفَكِّرًا
مَعِيَ كُلُّ مُسْتَرْخِي الْإِزَارِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى مِنْ جَنِّ غَيْلٍ وَعَبَقْرَا
مُنِيخِي الْمَطَايَا لَا يُبَالِي كِلَاهُمَا مُقَلَّصَةً خُوصًا مِنَ الْآئِنِ ضَمْرَا

ومنها في مديح بني مسمع ومالك (عمدة ابن الرشيقي ٦: ٢ والاغاني ٢٠: ١٧):

بَنِي مِسْمَعٍ لَوْلَا الْإِلَهُ وَانْتُمْ بَنِي مِسْمَعٍ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ مُنْكَرَا
إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةٍ دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ إِذَا شَاءَ جَاؤُوا دَارِعِينَ وَحُسْرَا

ومما يروى ايضا من شعر العديل بن الفرخ ما قاله في رجل من بني عجل يدعى
جبارا كان رجل من بني القباب من رهط العديل اصاب انفه (من الطويل):

أَلَمْ تَرَ جَبَّارًا وَمَارِنَ أَنْفِهِ لَهُ ثُلُمٌ يَهْوِينَ أَنْ يَتَخَنَّمَا
وَنَحْنُ جَدَعْنَا أَنْفَهُ فَكَأَنَّمَا تَرَى النَّاسَ أَعْدَاءَ إِذَا هُوَ أَطْلَعَا
كُلُّوْا أَنْفَ جَبَّارٍ بِكَارًا فَأَنَّمَا تَرَكْنَاهُ عَنْ فَرْطٍ مِنَ الشَّرِّ أَجْدَعَا
مَعَاقِدُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُفِهِمْ بَكَارَى وَثِيْبًا تَرَكِبَ الْحَزْنَ طُلُمَا

وكان رجل من رهط العديل ضرب ايضا يد وكيع احد بني الطاغية وهما
يشربان فقطعها وافترقا فقال العديل في ذلك (من الطويل):

تَرَكْتُ وَكَيْعًا بَعْدَ مَا شَابَ رَأْسُهُ أَشْلُ الْيَمِينِ مُسْتَقِيمَ الْأَخَادِعِ
تَشْرَبُ بِهَا وَرَقَ الْإِفَالِ وَكُلُّ بِهَا طَعَامَ الذَّلِيلِ وَأَنْفَجِرُ فِي الْمَخَادِعِ

فلما قال هذا الشعر يفخر بقطع انف جبار ويد وكيع حلف رهطها ان يقطعوا
انفه ويده دون من فعل ذلك بهم . فهرب العدیل وابوه الى بني قيس بن سعد ولجأ
الى عفير بن جبیر . فقال بنو قيس بن سعد للفرخ بن العدیل أنصف قومك وأعطيهم
حقهم . فركب اليهم الفرخ ومعه رجلان من بني الحرث اسمهما حسّان ودينار فأسرته
بنو الطاغية وانتدعوه من الرجلين وتوجّهوا به نحو البصرة . فرجع الرجلان الى قومها
مستغفرين لهم فركب الثفير في نهب بني الطاغية فادركوا منهم رجلاً فاشتري منهم
الجراحة بسبعين بغيراً واخذ ابن الفرخ منهم فاطلقه . فقال العدیل يدح بني
قيس ويهجو بني طاغية (من الطويل) :

ما زال في قيس بن سعدٍ جارهمُ	على عهد ذي القرنينِ مُعطٍ ومانعُ
هم استنقذوا حسّانَ قسراً وأثمُ	لثامُ المقام والرماحُ شوارعُ
غدرتم بدينارٍ وحسّانَ عُذوةَ	وبالفرخِ لما جاءكم وهو طائعُ
فلولا بنو قيس بن سعدٍ لأصبحتُ	عليّ شِداداً قبضهنّ الاصابعُ
ألا تسألون ابنَ المُشتمِ عنهمُ	جماعةُ والحيرانُ وافيّ وظالعُ

ومما روى ابو الفرج في (الاغانى ٢٠: ١٩) عن الاصمعي انه قال: دخلتُ على
الرشيد يوماً وهو محموم فقال: أنشدني يا اصمعي شعراً مليحاً . فقلت: أرصيناً فصلاً
يريده امير المؤمنين ام شجياً سهلاً . فقال: بل غزلاً بين الفحل والسهل . فانشدته
للفرخ بن العدیل العجلي (من الطويل) :

صحاح عن طلاب البيض قبل مشيبه	وراجع غص الطّرف فهو خفيضُ
كأني لم أرع الصبا ويروقي	من الحيّ أحوى المقتلين غضيضُ
دعاني له يوماً هوّى فأجابه	فؤادٌ اذا يلقي المراض مريضُ
لمستأنسات بالحديث كأنه	تهلّل غرّ برقهنّ وميضُ

فقال لي: أعدها . فاذلت أكرها عليه حتى حفظها

وله في الكتاب ما رواه صاحب الحماسة البصرية (ص ٢٤٤ من نسخة مكتبتنا) وذلك انه كان مدح مع الفرزدق قوماً من رهطه فوصلوا الفرزدق دونه فقال (من الطويل) :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى الْفَرْزَدَقُ حُكْمَهُ وَتَخْرُجُ كَفِّي مِنْ نَوَالِكُمْ صُفْرَا
أَهْمُ فَيْشِنِي أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَأَيُّدِ حِسَانٍ لَا أُوْدِي لَهَا شَكْرَا
وَمَا يُسْتَشْهَد بِهِ مِنْ شِعْرِ الْعَدِيلِ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ قَوْلُهُ (مَنْ الرِّجْزُ) :

أَوْعِدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ رَجُلِي وَرَجُلِي شَتْنَةُ الْمَنَاسِمِ
قَالُوا الْأَدَاهِمُ الْقَيُودُ مِنْ خَشَبٍ جَمَعَ أَدْهَمُ . أَيِ تَهْدِدُنِي بِالسَّجْنِ وَتَهْدِدُ رَجُلِي
بِالْقَيُودِ وَأَمَّا رَجُلِي شَتْنَةُ الْمَنَاسِمِ أَيِ غَلِيظَةِ الْبَاطِنِ لَمْ تَوَلِّهَا الْقَيُودُ
وَمَنْ رَجَزَ الْعَدِيلَ رَائِيَّتُهُ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا وَهِيَ كَثِيرَةُ الْآبِيَاتِ ذَكَرَ مِنْهَا ابْنُ
قَتِيْبَةَ فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ قَوْلُهُ :

يَا دَارَ سَلَمَى أَقْفَرْتَ مِنْ ذِي دَارٍ (١) وَهَلْ بِأَقْفَارِ الدِّيَارِ مِنْ عَارٍ
ثُمَّ ذَكَرَ وَصْفَهُ لِلْأَبْلِ :

قَوَارِبَ الْمَاءِ سَوَامِي الْأَبْصَارِ وَهَنْ يَنْهَضْنَ بِدَكْدَاكِ هَا (٢)
أَوْزَقَ (٣) مِنْ تَرْبِ الْعِرَاقِ خَوَارٍ وَقَدْ كُسِينَ عَرَقًا مِثْلَ الْقَارِ
يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ خِلَالِ الْأَوْبَارِ

﴿وفاة العديل في البصرة﴾ روى في الاغانى (٢٠: ١٩) عن محمد بن سلام قال :
قدم العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مسعم الجحدري فوصله فاقام بالبصرة

(١) ويروى : من ذي قار

(٢) القوارب جمع قارب وهو طالب الماء ليلاً . والدكدك الأرض الغليظة . والمعار المتداعي يريد الأرض التي تجرفها السيول

(٣) الأوزق الذي لونه لون الرماد

واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بها الى ان مات . وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولدتُ مثْلَ المُدِيلِ جليلاً قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائلِ
وما زال مُذْ شَدَّتْ يداهُ إِزارَهُ يُوَفِّتُحُ الابوابَ بكرُ بنِ وائلِ

وهذان البيتان لم يُرويا في ديوان الفرزدق

١٣ العجاج بن ربيعة

﴿اسمُه ونسبُه﴾ هو عبدالله بن ربيعة بن حنيفة احد بني تميم يُكنى ابا الشعثاء والشعثاء ابنته . وقد سُمي العجاج ببيت قاله في مديح قومه :

فمرفوا ألا يلاقوا مخرجاً او يبتغوا الى العماد درجاً
حتى يعرج عندها من عجمجاً

وكان يلقب بعبدالله الطويل واكثر سكناه البصرة فُسب اليها ﴿زمانه وشعره﴾ عاش العجاج في عهد بني امية فدحهم ونال صلاتهم وقد عرف منهم يزيد بن معاوية وسليمان بن عبد الملك وبشر بن مروان بن الحكم ومدح عاملهم على العراق الحجاج بن يوسف وغيره من اعيان زمانه كعمر بن عبيد الله بن معمر والي البصرة وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال ابي فديك الخارجي الحواري فاوقع به وباصحابه سنة ٧٣هـ (٦٩٢م) فدحه العجاج بارجوزة طويلة في نحو مائتي بيت

أما شعره فقد اشتهر فيه بقصائده الرجز فأنه كان هو وابنه ربيعة من كبار الرجازين وفصحانهم وقيل ان الأغلب العجلي والعجاج واما النجم العجلي اوّل من اطلالوا القطعات ونظموا الارجيز المطوّلة . وقد اخبر ابو الفرج في الاغانى (١٨ : ١٢٤) عن ابن دريد انه قيل ليونس النحوي : من اشعر الناس ؟ قال العجاج وربيعة . فقيل له : لم لم تُغنِ الرّجّاز ؟ فقال : هم اشعر من اهل القصيد . انما الشعر كلام واجوده

اشعره». ثم ذكر مثالا من شعرهما بين فيه ما لهما من الفضل وجود القرية
 ﴿اخباره﴾ عاش العجاج في البصرة وفي البادية المجاورة لها في أيام الخلفاء
 الراشدين ثم في عهد بني امية. وكان مواليا للامويين ولعله حارب مع جيوشهم اعداء
 دولتهم كما يستدل من اوصافه لحروبهم. وقد مرّ بدمشق ودخل على خلفائها وحضر
 مع الشعراء بعض المجالس الادبية التي عقدت فيها. ووقعت بينه وبين ابي النجم
 الراجر مفاخرات كان يدعي كل منها الفضل على الآخر

ومما لا ريب فيه ان سمعة العجاج انتشرت في انحاء العرب وكان الناس يتناشدون
 شعره فنقله عنهم اللغويون واستندوا اليه في نوادر كتب اللغة
 ومما اخبره الاصفهاني في الاغانى متفكها (١٨: ١٢٤) ان راجزا من اهل المدينة
 جلس الى حلقة فيها الشعراء وبينهم العجاج وابنه روبة وهو لا يعرفها فقال: «انا رجز
 العرب انا الذي اقول :

سَروانٌ يُعطى وسعيدٌ يمنحُ مروانٌ نبعٌ وسعيدٌ خروجُ

وددت اني راهنت من احب في الرجز لانا ارجز من العجاج فليت البصرة
 جمعت بيني وبينه». فأقبل روبة على ابيه فقال: قد والله أنصفك الرجل. فاقبل عليه
 العجاج فقال: ها انا ذا العجاج فهلهم. وزحف. فقال المدني: واي العجاجين انت. قال:
 ما خلّتك تعني غيري انا عبدالله الطويل (وكان يكنى بذلك). فقال له المدني: ما
 عنيتك ولا أردتك. قال: وكيف وقد هتفت باسمي. فقال: او ما في الدنيا عجاج
 سواك؟ قال: ما علمت. قال: ولكني اعلم واياه عنيت. قال: فهذا ابني روبة.
 فقال: اللهم غفوا ما بيني وبينكم عمل وانما مرادي غير كما. فضحك الحلقة منه
 وكفا عنه

وكان العجاج يقيم في مرّبد البصرة من اشهر محالها وبها كانت مفاخرات الشعراء
 ومجالس الخطباء فيقوم بينهم العجاج محتفلا عليه جبة خز وعمامة خز على ناقه له
 قد اجاد رحلها فينشد الناس

وعاش العجاج الى أيام الوليد بن عبد الملك فات نحو السنة ٩٠ هـ (٧٠٩م)

﴿دينه﴾ ما كنا لنجسر ان ننظم العجاج في سلك شعراء النصرانية لولا كلمة
 وردت في شعره تدل على انه دان بالنصرانية وان يكن بعد ذلك عدل الى

الاسلام . وهذه الكلمة هي مطلع قصيدته الرائية الشهيرة حيث يقول :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اعْطَى الشَّبَرَ

فشرح البعض لفظة « الشَّبَر » بمعنى الخير والعطية اي الحمد لله موزع الخيرات والعطايا . ألا انَّ للفظه معنى آخر قديماً ورد في شعر عدي بن زيد الشاعر النصراني الشهيد حيث يصف امانته نحو النعمان (شعراء النصرانية ص ٤٥٢) :

لَمْ أُخْنَهُ وَالَّذِي أَعْطَى الشَّبَرَ

فورد هناك شرح الكلمة « بالانجيل والقربان » . وكذلك قال ابن السكيت في اصلاح المنطق (في الطبعة المصرية ص ١٦٩) : « وقيل في الشَّبَر ها هنا انه القربان » . فعدي اذ أقسم بالشَّبَر اراد أجلاً ما لدى النصراني في دينهم وهو القربان . وقد زاد العجّاج على قول عدي اذ خصّ الحمدلة في مقدمة قصيدته وبراءة استهلاكها بمنحة الله للشَّبَر فلا يُريد اي عطية كانت بل اكبر هبات الله التي هي عند النصراني الانجيل والقربان

ويؤيد قولنا الشرح الوارد في لسان العرب (٥٩: ٦) وفي تاج العروس (٣: ٢٨٩) لبتي عدي والعجّاج : « الشَّبَر شي . يتعاطاه النصراني بعضهم لبعض كالقربان يتقرّبون به او القربان بعينه . ونقل الصاغاني عن الخليل انَّ الشَّبَر شي . تُعطيه النصراني بعضهم بعضاً كأنهم كانوا يتقرّبون به » . وقيل الانجيل

فترى من هذه الشروح انَّ العجّاج وعدي بن زيد ضرباً عن وَتر واحد وانَّ كليهما يدين بالنصرانية . واللفظة على ما نظنَّ سريانية فان كانت بمعنى الانجيل فهي « صَحْفٌ » يراد بها البشري وهذا معنى لفظة الانجيل في اليونانية . وان كانت بمعنى القربان فهي « صَمْحٌ » ومعناها القوت والغذاء اي قوت النفس والقربان

هذا ولا نجعل انَّ بعض الرواة رويوا كلمة العجّاج « بِالْحَبَرِ وَالْخَيْرِ » وكلاهما بعيد او تصحيف فالحَبَر الاثر او السرور أما الْخَيْرِ على فَعْل او الْخَيْرِ على فِعْل بلفظ الجمع فلا ذكر لهما في المعاجم . ما لم يُقَلَّ انَّ الْخَيْرِ جمع خَيْرَة اي المختار ولا شك في انَّ العجّاج نظر الى قول عدي السابق ذكره . ولا سيما انَّ اقدم رواية هي « الشَّبَر »

واقية الى الخليل في القرن الثاني للهجرة

ولسنا لنقص بقولنا هذا ان نصرانية العجاج كانت خالصة لا غبار عليها فكما ترى هنا اثر نصرانيته تجدد ايضاً في شعره آثاراً اسلامية منها في قصيدته الرائية المذكورة حيث يذكر نبي الاسلام بقوله :

مَحَمَّدًا وَاخْتَارَهُ اللَّهُ الْخَيْرُ فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مَذَانُ غَفَرٍ
لَهُ الْإِلَهِ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ أَنْ أَظْهَرَ الدِّينَ بِهِ حَتَّى ظَهَرَ

وقيل (في الاغاني ٢١: ٨٥) ان العجاج انشد ابا هريرة صحابي محمد قوله الذي وصف فيها الخالق واعماله ويوم الحساب واهواله وهو موافق لمعتقد النصارى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَعَلَّتْ بِأَرْحِ السَّمَاءِ وَاسْتَقَلَّتْ
بِإِذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَاتَعَتْ رَبُّ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الْفَتْرُ
وَالْبَاعْثُ النَّاسَ لِيَوْمِ الْمَوْتِ يَوْمَ تَرَى النَّفُوسُ مَا أَعْدَتْ
مَنْ سَعَى دُنْيَا طَالَ مَا قَدْ مُدَّتْ إِلَى الْإِلَهِ خَلَقَهُ إِذْ طُمَّتْ (٣)
غَاشِيَةُ النَّاسِ الَّتِي تَغَشَّتْ (٤) يَوْمَ يَرَى الْمَرْتَابُ أَنْ قَدْ خَفَّتْ
وَإِذَا رَأَى مَثَنَ السَّمَاءِ انْقَدَّتْ وَحَيَّ الْإِلَهِ وَالْبِلَادَ رُجَّتْ
وَهُوَ الَّذِي أَنْعَمَ نُعْمَى عَمَّتْ دَافِعَ عَنِّي بِتَقْيِيرٍ (٥) مُؤَنِّي

(١) الْمُسْنِتُ الَّذِي إصَابُهُ الْجَذْبُ مِنْ اسْنَتِ الْقَوْمِ إِذَا اجْدَبُوا

(٢) النَّزْلُ طَعَامُ الضَّيْفِ يَرِيدُ بِهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ

(٣) إِذْ طُمَّتْهُمْ أَيِ دَفَنْتَهُمْ فِي التُّرَابِ

(٤) الْغَاشِيَةُ الْهَلَاكُ وَتَقَشَّاهُ غَطَّاهُ (٥) التَّقْيِيرُ تَصْغِيرُ نَقَرٍ هُوَ فَقْدُ الْمَالِ

بعد اللَّتْيَا واللَّتْيَا وَالَّتِي (١) اذا عَظَّمَا أَنفُسُ تَرَدَّتْ
فَارْتَاعَ رَنِي وَارَادَ رَحْمِي وَنَعْمَةً أَتَمَّمَا فَتَمَّتْ
فَرَدَّهَا عَنِي وَقَدْ أَعَدَّتْ أَظْفَارَهَا وَنَابَهَا وَحَدَّتْ
فَأَسَا وَمَسْحَاةً لَنَحْتِ جِلَّتِي

فلما سمع ابو هريرة انشاده قال : اشهد انك تؤمن بيوم الحساب . وللعجاج آثار
دينية تراها آنفاً

﴿ديوانه﴾ قد نجى ديوان العجاج من الضياع . وكان أول من اهتم بجمعه
الاصمعي . وابو عمرو الشيباني كما روى ابن النديم في الفهرست (ص ١٥٨) . وأما
اخباره واخبار ابنه روبة فجمعها عبد العزيز الجلودي من اهل البصرة . وفي المكتبة
الحديثة نسخة من هذا الديوان نقلها العلامة وليم بن الورد (W. Ahlwardt) فنشرها
مع ترجمتها الالمانية في برلين سنة ١٩٠٣

وها نحن نقطف من اراجيزه بعض المقطعات تنوياً بفضلها فنها قوله مستنياً
ومستغفراً ثم ذكراً اويلات الحرب :

يا رَبِّ رَبِّ البيتِ والمُشْرِقِ والمُرَقَّلاتِ كلَّ سَهْبٍ سَمَلَقِ (٢)
أَيْلِكَ ادْعُو فَتَقَبَّلْ مَلَقِي (٣) فاغفر خطاياي وَثِمِرْ وَرَقِي
أَنَا اذا حُرْبٌ غَدَتْ لَا نَتَقِي دِيناً وَلَا مُسْتَأْخِراً لَمْ يَلْحَقْ
تَرَدُّ حَدْ النَّابِ مِنْهَا الْأَرْوَقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَالْيَاحِ الْأَبْلَقِ (٤)
وَالْحُمْسُ قَدْ تَعْلَمُ يَوْمَ مُلَزَقِ أَنَا نَقِي أَحْسَابَنَا وَنَعْتَقِي (٥)

(١) اللَّتْيَا والتي المصيبة والداهية

(٢) المُشْرِقُ مصلى العيد . ومُرَقَّلاتِ السَّهْبِ اي الابل القاظمة الغلاة . والسَمَلَقِ الصحراء .

(٣) اي تقبل دعائي واصل الملق الورد واللفظ

(٤) النَّابِ الْأَرْوَقِ اي ذو الرِّوْق وهو طول الثنايا العليا على السُّفلى . واليَاحِ الصَّيْح . والأَبْلَقِ

الذي يختلط سوادهُ ببياضه (٥) الحُمْسُ جمع أَحْمَسِ الشَّجَاعِ . المُلَزَقِ القتال . وَنَعْتَقِي نخبتُسه

بالمشرفيات افتخار الأحمق اذهمت الدهلان بالتفرق (١)
بعد جفيف البني والتعمق دارت رحانا ورحاهم تستقي (٢)
سجال موت من يخضها يفرق

وقال يذكر حسن سيرته وعفائه :

يا رب اذ شدتني عقلا ولو تشاء أسرع انحلالا
ان كنت قد غيرت حالي حالا من كبر قد أوهن الأوصالا
فلم أكن استنطق المذالا من أن يروني للخنا قوالا
ولم أكن لجارتي غوالا ولم أكن في جنبها جهالا
ولم أكن أخادع الضلالا ولا لما حرمته أكالا
ولا لبنت جارتي خالا بعد المنام ابتغي الإذغالا (٣)
تبني ما ليس لي حالا على الإله الباعث الأثقالا
يعبني من جنة تظلالا (٤) وقد يشب الصابر النوالا

ومن اقواله أيضاً يذكر صفاته تعالى :

فالحمد لله العلي الأعظم ذي الجبروت والجلال الأفخم
وعالم الإعلان والمكتم ورب كل كافر ومسلم
والساكن الارض بأمر مخكم بنى السماوات بغير سلم

١ اراد بالأحمق الذي لا يبالي بأهوال الحرب. وبالذهلان الجبناء

٢ الجفيف الافتخار الباطل. والرحى حومة الحرب

٣ المثال المذموم. والإذغال الحيانة ٤ التظلالا من المصادر النادرة كالنظير

وربّ هذا البلد المحرّم والقاطنات اليث غير الرّيم (١)
من عهد ابرهيم لما تُطسّم

ومن مديح العجّاج قوله في يزيد بن معاوية :

فقد رأى الرّاوون غيرُ البطل (٢) أنك يا يزيدُ يا ابنَ الأفحل (٣)
اذ زلزلَ الاقوامُ لم تُزلزلِ (٤) عن دينِ موسى والرسول المرسل
اذ طارَ بالناسِ قلوبُ الضّللِ (٥) قتلاً وإضراراً بمن لم يُقتل
وكنتَ سيفَ الله لم يُفللِ (٦) يفرعُ احياناً وحيناً يَحْتَلِي (٧)
سوالفَ العادينَ هذّ العنصلِ (٨) والهامَ والبيضَ انتقافَ الحنظلِ (٩)
حتى ارفانَ الناسُ بعدَ المجولِ (١٠) وبعدَ تشوّالِ الحروبِ الشولِ (١١)
تفادياً منك ولم تُقللِ

وقال يدح الوليد بن عبد الملك وكان يكنى بابي العباس :

كم قد حَسَرْنَا من علاةٍ عَنسٍ كبداءِ كالقوسِ وأخرى جَلَسِ (١٢)

- (١) الرّيم جمع رائم من رام المكان اذا فارقه
(٢) الأفحل الأكرم (٣) زلزل القوم اضطربوا
(٤) الضّلل جمع الضالّ المتشتت المهزم
(٥) قَلَّل السيفَ كَلَمَهُ . ويفرّع يعلو فوق رؤوس العدو . ويختلي يبرز ويقطع
(٦) السّوالف مفعول يختلي جمع سالفة وهي صفحة العنق . والهدّ القطع السريع . والعنصل
البصل البرتي وانتقف الحنظل كسره من حبه استعاره كسر الرؤوس
(٧) ارفانَ سكن وهذا . المجول كربة الحرب . وتشوّال الحرب هيجاحا
(٨) حَسَرَ العلاءة اي ساق الناقة سوّقا شديداً . والعنّس الناقة الصلبة الجسم . ويقال
قوس كبداء اذا ملأ مقبضها الكف . والناقة المجلس الوثيقة الجسم

حتى احتَضَرْنَا بعدَ سَيْرٍ حَدَسٍ إِمَامَ رَغْسٍ فِي نِصَابِ رَغْسٍ (١)
 رَأْسَ قِوَامِ الدِّينِ وَابْنَ رَأْسِ خَلِيفَةَ سَاسٍ بَغِيرَ فَجَسٍ (٢)
 فِي قَنْسٍ مَجْدٍ فَاتَ كُلَّ قَنْسٍ (٣) مَلَكُهُ اللَّهُ بَغِيرَ نَحْسٍ
 قَدْ عَلِمَ الْقُدُّوسُ رَبُّ الْقُدْسِ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَوَّلَى نَفْسِ
 بِمَعْدِنِ الْمَلِكِ كَرِيمِ الْكِرْسِ فُرُوعِهِ وَاصِلِهِ الْمُرْسِي (٤)

وقال في بني مروان :

إِن بَنِي مَرْوَانَ ضَرَّ أَبُو الْبُهْمِ وَالْقَاتِلُونَ مَنْ عَصَى إِذَا اعْتَقَمَ (٥)
 دِينًا سِوَى الْحَقِّ إِلَى أَمْرِ أُمَمٍ كُلُّهُمْ يُنَمَى إِلَى عِزِّ أَشَمِّ (٦)

وقال يفتخر بقومه :

قَدْ عَلِمْتَ بِكَرٍّ وَسَعْدٌ تَعْلَمُهُ لَنَصْرَعَنَّ لَيْثًا يُرِنُ مَائَتُهُ (٧)
 نَطْنُهُ نَجْلَاءَ فِيهَا أَلَمُهُ يَجِيئُ مِنْ بَيْنِ تَرَاقِيهِ دُمُهُ
 كَمِ رَجُلٍ الصَّبَاغِ جَاشَ بَقْمُهُ (٨)

- (١) السَّيْرُ المَحْدَسُ هو المَرِيعُ . وَاحتَضَرَ كَحَضَرَ . الرَّغْسُ النِّعْمَةُ والبركة خصصها بالإمام أي الخليفة الوليد . والرَّغْسُ المَشْيُ البطيء من الإعياء
- (٢) الفَجَسُ الكِبَرُ والتعَطُّمُ
- (٣) القَنْسُ أَهْلُ الرَّأْسِ وَالذُّرُوءُ
- (٤) كَرِيمُ الْكِرْسِ أي كريم الأصل . والمُرْسِي المتأصل
- (٥) الْبُهْمُ الشُّجَاعُ . اعْتَقَمَ الرَّجُلُ إِلَى الشَّرِّ تَرَدَّدَ إِلَيْهِ
- (٦) الْأَمْرُ الْأَمَمُ الواضِعُ الْبَيْتِ . وَالْأَشَمُّ الْعَالِي الشَّرَفِ
- (٧) يُرِنُ مَائَتُهُ أي يكون لموتِهِ رَنَّةٌ حَزَنٌ وَصَرَاحٌ
- (٨) النَطْنَةُ النَّجْلَاءُ الواسعة . وَجَاشَ الدَّمُ انْصَبَّ بِفُلْيَانٍ . ثُمَّ شَبَّهُ بِفُلْيَانٍ خَشَبَ الْبَقَمِّ الذي يَطْبَخُهُ الصَّبَاغُ لِيَصْبِغَ بِطَلْحِهِ

ومن حسن اقواله وصفه لليلة قضاها بالالم والسهاد :

وليلة من الليالي مرت بكابد كابدتها وجرت (١)
كلكتها لولا الاله ضرت في ظلم ازلها فزلت (٢)
عني ولولا الله ما تجلت ما تجلت بت لها يقظان واقسأت (٣)
اذا رجوت ان تضيء اسودت دون قد امي الصبح فارجحت (٤)
منها عجاساه اذا ما التجت حسبتها ولم تكر كرت (٥)
كأنما نجومها اذ ولت زورا تباهي النور اذ تدلت (٦)

ومن اقواله الدينية قوله يذكر العمل الصالح وجزاءه عند الله :

يعلم والعالم لا كالا جهل ان حساب العمل المحصل
والأولى من غيب الامور الأول عند الاله يوم جمع العمل
بجمع الحساب والمزئيل (٧) وأن خير الخول المخول
فلذ العطاء في الحقوق النزول

وقال في مثل ذلك :

لا اشم المرء الكريم المسلما ولا أرى شتم البريء مفعنا

(١) الكابد المكابدة والمشفة

(٢) الكل كل الصدر . واستمر جر الدامية بكلكتها لخلول صائها . وأزلها اي الله

أزلتها ونحاه (٣) اقسأت اشتدت وصعبت

(٤) قد امي الصبح لو انحه الاولى . ارجحت مالت واهترت

(٥) عجاساء ظلمة الليل . والتجت اي التبت واشدت ظلامها

(٦) ولت زورا اي ولت بزورها اي صدرها (٧) المزئيل هنا المختار

ولا ابن عمي أن أراه مُفحماً وجارة البيت أراها مُحرماً (١)
 كما قضاها الله إلا إني مكارم السني لمن تكرماً
 مخافة الله وعلماً اثماً يحزي المجازي عاملاً ما قدماً

ومن التشابه النصرانية قوله يصف بقرة وحش :

واعتاد أرباضاً لها آري من معدن الصيران عُدُملي
 كما يعود العيد نصراني وبيعة لسورها علي (٢)

فمن هذه الامثلة يلوح للقراء ما صار اليه شعر الرجز في عهد بني امية اذ بلغ
 النفاية من التانة والتبسط وكان للعجاج في ذلك السهم الفائز وعلى اثره جرى ابنه
 رؤبة من بعده وعاش الى زمن دولة بني عباس ولا نعرف من نصرانيته شيئاً كما ظهر
 من شعر والده ولعله لم يثبت على دينه او جمع بينه وبين الدين المحتدي كما وقع
 لغيره من نصارى عهد الاسلام الاول الذين لم يستقروا على رأي فتقلبوا على حسب
 احوال الزمان والله اعلم

وبهذه الترجمة نختم هذا القسم من شعراء النصرانية بعد الاسلام في ايام بني
 امية . وسنتبعه ان شاء الله بقسم ثالث نخصه بالشعراء النصارى في عهد بني عباس

(١) المُفحَم المنقطع صوته لكثرة البكاء . مُحَرَّم اي معدودة حراماً

(٢) اي اعتاد هذا البقر السير في نواحي ذات بطون وحزون ووصفه بكونه من خير
 الصيران . والصيران جمع صَوْر وهي جماعة البقر . والمُدَملي التقدم في السن . ثم شبهه بالنصراني
 المتعدد في الابدان الى كنيسة ذات السور المرتفع العلي

فهرس

القسم الثاني من شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية

٩٥	مقدمة
١١٣	١ هُدبة بن الحثرم
١١٨	٢ موسى بن جابر
١٢٢	٣ شُعلة التغلي
١٢٩	٤ اعشى بني تغلب
١٣٦	٥ اعشى بني ربيعة
١٣٧	٦ مرقس الطائي
١٦٢	٧ نابغة بني شيبان
١٧٠	٨ حنين الحيري الشاعر المعني
١٩١	٩ الاخطل التغلي
٢٠٣	١٠ القطامي التغلي
٢١٣	١١ كعب بن جُعيل
٢٢٨	١٢ العُدَيْل بن الفُرخ
	١٣ العجاج بن روبة

Mais il faut se souvenir que ces arabes chrétiens étaient plus ou moins imbus des erreurs de l'hérésie. Les Nestoriens d'une part, les Eutychéens de l'autre avaient fortement entamé l'orthodoxie des Arabes chrétiens et les prédisposaient plus facilement à un certain libéralisme de mauvais aloi. De là vient également le peu de place qu'occupent les idées chrétiennes dans leurs chants. Ce silence peut aussi venir des rapsodes Musulmans qui nous ont transmis leurs œuvres poétiques, laissant de côté tout ce qui pouvait éveiller le fanatisme de leurs coreligionnaires.

Beyrouth, 10 Juin 1925.

S POÈTES ARABES CHRÉTIENS APRÈS L'ISLAM

2^d Fascicule

PÉRIODE OMAYYADE

L'histoire des Poètes chrétiens de cette période embrasse l'époque du règne des Oaliphes Omayyades à Damas (41-132 H = 661—750 J. C.). Elle a été plus brillante que l'époque précédente. La tolérance relative de Mo'awiah I et de ses successeurs à l'égard des chrétiens de leur empire a certainement dû influencer sur la verve poétique d'un Ahtal ou d'un Qotâmi, quand ils pouvaient donner libre cours à leur génie.

Cette liberté n'est cependant pas sans entraves, et l'on sent plus d'une fois l'influence de l'Islâm dans les poètes chrétiens de cette époque. Ils n'osent aborder franchement des sujets chrétiens, ni heurter de front les préjugés de leurs maîtres. Bien plus pour gagner les bonnes grâces des souverains ou de leurs fonctionnaires, ils ne se font pas faute d'accorder à leur religion des éloges déplacés.

De plus à cette époque les tribus arabes restées chrétiennes se trouvaient forcément engagées dans les luttes politico-religieuses qui divisaient les Musulmans ; on les trouve les unes dans le parti de 'Ali, les autres dans celui de Mo'awiah à Şiffin, comme plus tard dans les armées ennemies d'Ibn Zobeir et de Marwan à Marj-Rahiq. Leurs poésies se ressentent de ces situations politiques teintées de considérations religieuses.

LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS

APRÈS L'ISLAM



2^a fascicule

PÉRIODE OMAYYADE

par

LE P. LOUIS CHEIKHO S. J.



IMPRIMERIE CATHOLIQUE

Beyrouth (SYRIE)

1925

